بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم درمان الإسلامية
معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي
قسم الدراسات النظرية

أثر الثقافات الأجنبية في الأدب العباسي في العصرين الأول والثاني

بحث مقدم لنيل درجة (الدكتوراه) في الدراسات الأدبية والنقدية

إعداد الدارسة :
أماني علي محمد الحسن

إشراف البروفيسور :
بله عبد الله مدني

العام الدراسي ٢٠٠٦ـ ٢٠١٠م
١٤٢٨ – ١٤٣١ هـ

الآية

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ

صدق الله العظيم

سورة هود الآية (٨٨)

الإهداء

إلى روح الأستاذ المعلم الدكتور محمود إبراهيم عثمان

كنت إزميلاً كنت نایاً كنت قلماً وبندقية

كنت ملء السمع والبصر وكان لك في الحق قضية

إلى الزوج الغالي محمود إبراهيم عثمان

الذي منحني الكثير من عطفه وكرمه وعلمه وفكره

صَّبَرْتُ وكان الصَّبْرُ خَيْرَ مَغَبَّةٍ وهل جَزَعٌ مُجْدٍ عَلىَّ فأجْزَعُ

ولو شئْتُ أنْ أبكي دَمَاً لَبَكيْتُهُ عَلَيْهِ ولكنَّ سَاَحَةَ الصَّبْرِ أوْسَعُ

وأعْدَدْتُهُ ذُخْراً لِكُلِّ مُلِمّةٍ وَسَهْمُ المَنَايَا بِالذَّخَائرِ مُوْلَعُ

إلى الأب العطوف : محمود إبراهيم عثمان : أبي دعاء وعثمان

ذكراه الطيبة في الدنيا والدعاء الصالح له في الآخرة

إلى روحك الطاهرة ، أهديها هذا البحث ، ويقيني انك كنت ستكون أكثر فرحاً به مني ...

وَأَنْتَ وإنْ أُفرِدْتَ في دار وَحْشَةٍ فإنِّي بَدارِ الأُنسِ في وَحْشَةِ الفَرِدِ

عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ مِنِّي تَحِيَّةً ومن كُلِّ غَيْثٍ صَادِقِ البَرقِ والرَّعْدِ

الباحثة

الشكر والعرفان

الشكر أولاً وأخيراً لله رب العالمين ، والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه .

والشكر والتقدير والعرفان للبروفيسور: بله عبد الله مدني الأستاذ بجامعة القرآن الكريم ، وكان لي عظيم الشرف بإشرافه على هذا البحث ولقد كان لتوجيهاته السديدة ودعمه المعنوي لي ، أثر كبير في إتمام هذا البحث فله جزيل شكري وامتناني .

والشكر الجزيل للسيد موسى محمد احمد ، مساعد رئيس الجمهورية، ومعاونيه الكرام ،محمد محمود شميلاي ، وأونور علي محمد، وسليمان عمر محمد دين لوقفتهم الكريمة مع الباحثة .

والشكر لأسرة جامعة كسلا، من قمة الهرم إلى القاعدة، وعلى هامتها البروفيسور الإنسان محمد خير عبد الرحمن مدير الجامعة.

والشكر لأسرة كلية التربية وقسم اللغة العربية والعلوم الإسلامية؛ خاصة، والشكر والعرفان لأعضاء هيئة التدريس بالقسم وأخص من بينهم : الدكتور أبو ذر إبراهيم حاج أحمد ، والدكتور جمال محمد سعيد والأستاذ الفاضل ميرغني حمد ميرغني لوقفتهم المقدرة مع الباحثة

والشكر أجزله للأستاذ الفاضل : عبد العزيز صديق عوض مسجل معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي على مساعدته لي في كثير من الإجراءات الإدارية والشكر أيضاً للأستاذين: عثمان صالح وحاتم محمد محمود من قسم الحسابات بالمعهد لتعاملهما الراقي .

ولا أنسى شكري الجزيل لـ : سوزان علي حسين على طباعتها لهذا البحث وصبرها وسعه صدرها .

وللجميع خالص شكري وتقديري

الباحثة

ملخص البحث

هذا البحث عبارة تتبع أثر الثقافات الأجنبية في العصرين الأول و الثاني . وتأتي أهمية هذا البحث في أن العصر العباسي يعتبر العصر الذهبي للأدب العربي نتيجة لتنوع الثقافات الاجنبية الوافدة إليه . و أثرها في تغيير العادات و القيم و المفاهيم في المجتمع العربي وماترتب عليه من تغيير في أدب تلك الحقبة .

وتناولت الباحثة هذا البحث في أربعة فصول: الفصل الأول : وهو عبارة عن سرد تأريخى للحياة السياسية و الإجتماعية و الثقافية في العصر العباسى ، ويحتوى على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الحياة السياسية

المبحث الثاني : الحياة الإجتماعية

المبحث الثالث : الحياة الثقافية

الفصل الثانى : وهو عبارة عن عرض لأهم التيارات الثقافية الأجنبية المؤثرة في أدب هذه الحقبة ، ويحتوى على ثلاثة مباحث

المبحث الأول : التيار الفارسي

المبحث الثاني : التيار اليوناني

المبحث الثالث : الهند و الامم الأخرى

الفصل الثالث : وهو عبارة عن أثر الثقافات الأجنبية في العصر العباسى الأول في الشعر و النثر ، ويحتوى على مبحثين :

المبحث الأول : الشعر في العصر العباسى الأول

المبحث الثاني : النثر في العصر العباسى الأول

الفصل الرابع : وهو عن أثر الثقافات الأجنبية في العصر العباسى الثانى في الشعر و النثر . ويحتوى على ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : الشعر في العصر العباسى الثاني

المبحث الثاني : الألفاظ و المفردات الأجنبية في الأداب العباسى

المبحث الثالث : أثر الثقافات الأجنبية في النثر العباسى الثاني

توصلت من خلالها إلي نتائج أهمها :-

١/ الثقافات الأجنبية المؤثرة في الأدب العباسي ، كانت نتيجة الإحتكاك الإجتماعي و التوجهات الدينية و النقل و الترجمة .

٢/ تأثير الأدب اليوناني كان ضعيفاً لانه أدب وثنى و الذوق العربي ذوق مسلم .

٣/ أخذ العرب الكثير من الاصطلاحات الرياضية من الهند وكذلك الكثير من النظريات في الحساب و الهندسة .

٤/ أنّ جلّ الاقتراضات العربية كانت من الفارسية ، وذلك لأسباب موضوعية ، أهمها الجوار الجغرافي ، وترجمة العلوم وتسرب الحضارة الفارسية إلي العربية .

كما أوصت الباحثة بالتالي :

١/ تتبع الأثر الأجنبي في أدب العصور التي سبقت العصر العباس .

٢/ البحث عن أثر اللغة العربية في الأدب الفارسى .

Abstract

This research tries to trace the impact of foreign cultures on Abbasid literature during the first and second eras of their rule. The importance of the research lies in the fact that the Abbasid era was the golden era of Arab literature owing to the diversity of foreign cultures added to it, which had a great impact on the customs, values and concepts of Arab society, which in turn had their role in changing its literature.

The research encompasses four chapters: Chapter One includes an historical account of the political, social and cultural life during the Abbasid era. It encompasses three themes, namely: the political life, social life and cultural life.

Chapter Two encompasses a presentation of the most important foreign cultural types that influenced the literature of that era. This chapter also includes three themes: the Persian Culture, Greek culture and Indian and other nations; cultures.

Chapter Three addresses the impact of foreign cultures on poetry and prose during the first Abbasid era. It includes three themes: poetry during the first Abbasid era and Prose during the first Abbasid era.

Chapter Four addresses the impact of foreign cultures on poetry and prose during the second Abbasid era. It includes three themes: poetry during the second Abbasid era, foreign expressions and terms in Abbasid literature, and the impact of foreign culture on the second Abbasid's prose, and includes the following results.

1. The foreign cultures that influenced Abbasid literature did so due to social contact, religious attitudes and translation.

2. The effect of Greek literature was weak because it was not based on religion given that the Arab taste was Islamic in nature.
3. The Arabs adopted many Indian terms in mathematics and engineering.
4. Most of the theories adopted by the Arabs were Persian for objective reasons, including geographic proximity, translation of sciences and the dissemination of Persian civilization among the Arab societies.

The recommendations include:

1. The necessity of tracing the effect of foreign impact on the literature of the eras before the Abbasid era.
2. Searching for the effect Arabic language had on Persian literature.

المقدمة

إن الأدب العربي قد مر بمراحل عديدة عبر عصوره المختلفة منذ العصر الجاهلي مروراً بعصر صدر الإسلام والعباسي وحتى العصر الحديث ، وفي كل مرحلة من مراحله كان يشهد تطوراً ملحوظاً في الأفكار والأخيلة والمعاني طبقاً للتطورات السياسية والاجتماعية والثقافية في كل عصر . وقد عُدَّ العصر العباسي أزهى عصور الأدب العربي، لما حدث فيه من تلاقح حضاري وثقافي مع الحضارات الأجنبية القائمة آنذاك .

كل الشعوب والأمم تتبادل الأفكار، والعادات، والنظم ، فيما بينها ، وليس من المنطق أن نثبت أصالة حضارة ، ونفي كل دخيل وأجنبي عنها، فحضارات الأمم تتأثر بغيرها بقدر ما تؤثر فيها .

ولقد تعرض الأدب بصورة عامة والشعر خاصة في العصر العباسي الأول والثاني لكثير من المؤثرات الخارجية من لغات وثقافات بلاد غير عربية، جاءت نتيجة الفتح الإسلامي وتمازج تلك المجتمعات بمجتمع الجزيرة العربية ، فنتج عن ذلك أدب جديد ذو حلة زاهية تختلف كثيراً عن العصور التي سبقت لا سيما عصور الاحتجاج اللغوي.

إن الدين الإسلامي وحدَّ بين المسلمين، ودفعهم لكسب العلوم والمعارف في كل مكان ، وكان في رحلات العلماء بين الشرق للدولة الإسلامية وغربها خير مثال لهذه الوحدة الثقافية، ويتضح لنا أنّ الأمم التي تعيش على دين واحد، تنشأ على ثقافة ومبادئ واحدة من الأفكار والقيم.

لكل ذلك كان لا بد من البحث في التأثير الذي أحدثه توسع الدولة الإسلامية في الأمم المجاورة لها وإظهار جوانب ذلك الأثر في الأدب شعراً ونثراً في عصر الدولة العباسية .

وهذا البحث محاولة للكشف عن جوانب التأثير، الذي حدث في الأدب العربي في هذه الفترة من قبل تلك الحضارات الوافدة .

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل

الباحثة

أساسيات البحث:

الموضوع :

أثر الثقافات الأجنبية على الأدب العباسي في العصرين الأول والثاني.

أهمية الموضوع :

تأتي أهمية البحث في أن العصر العباسي يعتبر أزهى عصور الأدب، نتيجة لتدفق ينابيع الثقافات الوافدة إليه، التي أثرت على القيم والعادات والتقاليد، وما تولد عنها من أفكار ومعتقدات دخيلة تتعارض وقيم الأمة وتراثها، وبيان ما أفاده الفكر العربي والإسلامي من تلك الثقافات .

أهداف البحث :

يسعى البحث لتحقيق الأهداف التالية :

١-إبراز ملامح الثقافات الأجنبية في الأدب العباسي .
٢-محاولة تدوين الألفاظ الدخيلة في الأدب العباسي مع بيان أصولها .
٣-الوقوف على الأفكار الدخيلة التي تسربت إلى الأدب في ذلك العصر.
٤-تحديد معالجات استخدام هذه الأفكار والألفاظ في الأدب العباسي.
٥-الأثر الإيجابي والسلبي لتلك الثقافات على الفكر العربي والإسلامي .

أسئلة البحث :

١-ما الأسباب المدعمة لاقتراض الأدب العباسي لتلك الألفاظ والمفردات الدخيلة؟
٢-ما الألفاظ ، والمفردات ، والأفكار الأجنبية المستخدمة في الأدب العباسي في العصرين الأول والثاني وما مجالات استخدامها؟
٣-ما التغيرات التي حدثت في الألفاظ الأجنبية بعد دخولها العربية وما العوامل التي أدت إلى ذلك ؟
٤-ما مدى تأثير الثقافات الأجنبية على الأدب العباسي في العصرين الأول والثاني ؟
٥-ما أبرز ملامح التغيير التي طرأت على أغراض الشعر في تلك الفترة؟

٦-ما مدى تأثير النثر في هذا العصر بالثقافات الوافدة.

منهج البحث :

اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي .

حدود البحث :

العصر العباسي الأول والثاني ، بحدوده الزمانية في عصور الأدب وبموضوعاته.

العصر العباسي الأول ويمتد في الفترة من (١٣٢هـ - ٣٢٣هـ)

العصر العباسي الثاني ويمتد في الفترة من (٣٣٢هـ- ٥٩٠هـ)[١]

الدراسات السابقة :

الدراسة الأولى :

(الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصداها في الأدب) تأريخ نشرها ١٩٨٨م في ستة عشرة وأربعمائة صفحة. تأليف د. صالح آدم بيلو . عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى . وعضو رابطة الأدب الإسلامي ١٩٨٨م .

يتكون الكتاب من ثلاثة أبواب مقسمة إلى عدد من الفصول وتناول الكاتب في الباب الأول أهم التيارات الأجنبية ومساربها الأدبية وفي الباب الثاني ، تناول مظاهر الثقافات الأجنبية الوافدة في الأدب وتحليل النماذج المتضمنة لها. وفي الباب الثالث تناول الكاتب أدب المواجهة . وهو مواجهة الروح العربية والإسلامية للشعوبية والزندقة والإلحاد واللهو والمجون .

الدراسة الثانية :

(أثر الثقافات الأجنبية في العصر العباسي الأول وتحليل بعض النماذج المضمنة).

---

(١) (www.castledu.in)

إعداد الدارسة اعتدال عوض أبو علامة وهو بحث غير منشور ، مقدم لنيل درجة الماجستير في نوفمبر ٢٠٠١م من جامعة أفريقيا العالمية– كلية التربية والعلوم الإنسانية – قسم اللغة العربية.

استخدمت الباحثة المنهج التحليلي والمقارن . وفيه طرحت الأسئلة التالية :

١–هل استفاد الفكر العربي من الثقافات الأجنبية الوافدة ؟

٢–وما نوع هذه الثقافات وما حجم الاستفادة منها ؟

٣–هل كان الفكر العربي واعياً ومستنيراً في أخذه وإفادته ؟

٤–هل كان لامتزاج هذه الثقافات الأجنبية الوافدة إلى الفكر العربي معالم واضحة في تأثيرها على الفكر العربي الإسلامي ؟

الفصل الأول

الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية

في العصر العباسي

المبحث الأول:

الحياة السياسية

أولا: عهد سيطرة الفرس:

كان بنو أمية شديدي التعصب للعرب والعربية، فكان كل شيء في دولتهم عربي الصبغة، وكان جمهرة العرب منتشرة في كل مكان امتد إليه سلطانها، فلما قامت الدولة العباسية بدعوتها لم تجد لها من العرب أنصارا وأعوانا مثلما وجدت من الفرس وأمم الأعاجم، فاكتسحت بهم دولة بني أمية وأسست دولة قوية كان أكثر النفوذ فيها للموالي. فاستخدمهم الخلفاء والأمراء في كل شيء من سقاية الماء إلى قيادة الجيوش والوزارة، وابتدأ شأن العرب السياسي يتضاءل من ذلك الحين شيئا فشيئا، واختلطوا بالأعاجم وكان من المجموع شعب ممتزج لغة وعادة وخلقا، فأثر ذلك في جميع نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية.

كره الموالي وبخاصة الفرس الحكم الأموي كراهة عميقة، فسعوا في إسقاطه، فكان أمر الظلم على السواء من خليفة إلى آخر وليس في الإمكان تحويل الأمر من العرب إلى الفرس ليكونوا هم الحاكمين، لأنه إذا أثيرت هذه الدعوة لتجمع العرب وغير الفرس من الموالي عليهم، لذلك كانت دعوتهم أن تنقل الخلافة من يد الأمويين إلى يد الهاشميين فذلك أقرب للقبول، لأن الهاشميين عرب ولأنهم أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمويين.

وهكذا نشطت المقاومة المشتركة من العباسيين والعلويين وأنصارهم من الفرس، والتي انتهت بظهور عصر جديد عام ١٣٢هـ ودولة على رأسها أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم المعروف بالسفاح.

وبعد أن استقر الحكم للعباسيين، كان عليهم إنصاف الفرس الذين استماتوا في القتال معهم، فنال الفرس بعض أمنيتهم لأن أمنيتهم الكاملة أن تقوم دولة فارسية بملوكها وعمالها.

لقد كان للفرس في العصر العباسي الأول اعتبار ونفوذ أخذ ينمو ويترعرع ويتزايد يوما بعد يوم فاستتبع هذا غلبة الفرس حتى عد المؤرخون من أهم خصائص هذا العصر النفوذ الفارسي، وضعف النفوذ العربي، فكانت أعظم المناصب كالوزارة في يد الفرس ولكن كان الخليفة عربيا هاشمياً فالخلفاء العباسيون مقتنعون أن دولتهم قامت على أكتاف الفرس.

ويقول الجاحظ: "دولة بني العباس أعجمية خراسانية، ودولة بني مروان عربية أعرابية"[١].

ومما لاشك فيه أن نفوذ الفرس قد قوي في عهد العباسيين الأولين يقول السيوطي: "إن المنصور أول من استعمل مواليه على الأعمال وقدمهم على العرب وكثر ذلك بعده حتى زالت رياسة العرب وقيادتها"[٢].

فلما جاء الرشيد، زاد نفوذ الفرس بفضل البرامكة، وقد كانوا المصرفين للدولة وشؤونها، فاستتبع نفوذهم نفوذ جنسهم واتخذوا لذلك سياسة محكمة منها ما يرويه الطبري: "أن الفضل بن يحيى البرمكي اتخذ بخراسان جندا من العجم سماهم "العباسية" وجعل ولاءهم للعباسيين وأن عدتهم بلغت خمسمائة ألف رجل وأنه قدم منهم بغداد عشرون ألف رجل"[٣].

وقد ساعد على هذا النفوذ نوع من الولاء جديد، ظهر في هذا العصر، ولم يكن معروفا من قبل. وذلك أن الخليفة يتخذ قوما من الفرس يمنحهم شرف الانتساب إليه وإلى دولته، ويستخدمهم في القيام بشؤونه والحرب معه، ويجري عليه الأرزاق، فيسمون مواليه، وموالي دولته.

---

[١] البيان والتبيين – الجاحظ – تحقيق فوزي عطوي – دار صعب – بيروت – لبنان – ١٩٦٨م – ص ٢٠٦.

[٢] تأريخ الخلفاء، تصنيف: الحافظ جلال الدين السيوطي، دار الفكر، لبنان، بيروت، ص١٠٥.

[٣] تأريخ الطبري – تأريخ الأمم والملوك – لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري – راجعه وقدمه نواف الجراح – دار صادر – بيروت – المجلد الخامس – ص ١٧١٥ .

كما استخدم العباسيون الأولون بني برمك، وبني نوبخت من الفرس فأطلق عليهم موالي الدولة العباسية. وهذا النوع من الولاء زاد نفوذ الفرس لأنه كان يزيد عددهم، وقوتهم، وكان يشعرهم بأن الدولة دولتهم، وأن لهم سلطانا على الرعية مستمدا من سلطان خليفتهم.

وزاد نفوذهم كذلك في عهد المأمون ابن (مراجل) الفارسية عندما تعصبوا له ضد أخيه الأمين ابن (زبيدة) العربية الهاشمية.

فعدت غلبة المأمون نصرة فارسية فزادت مكانتهم رسوخا في الدولة العباسية، ويروي الطبري:

"أن رجلا تعرض للمأمون بالشام مرارا فقال له: يا أمير المؤمنين! انظر لعرب الشام كما نظرت لعجم أهل خراسان، فقال المأمون: أكثرت علي يا أخا أهل الشام! والله ما أنزلت قيسا على ظهور الخيل؛ إلا وأنا أرى أنه لم يبق في بيت مالي درهم واحد! وأما اليمن فوالله ما أحببتها ولا أحبتني قط، وأما قضاعة فسادتها تنتظر السفياني وخروجه فتكون من أشياعه، وأما ربيعة، فساخطة على الله منذ بعث نبيه من مضر، ولم يخرج اثنان إلا خرج أحدهما شارياً...) [1].

في هذه الحقبة الزمنية من عمر الدولة العباسية كان لنفوذ الفرس مظاهر عدة تمثلت في قصر المراكز الكبيرة كالوزارة على الفرس وأيضا في امتلاء القصور بالموالي الفرس الذين يقومون بأعمال شتى.

وسيطرة نفوذ العادات والتقاليد الفارسية كإحياء يوم النيروز ولبس القلنسوة وأخيرا انتشار الثقافة الفارسية والذي سنورده في فصل لاحق من هذا البحث.

ولكن ما لبث العباسيون يحاولون التخلص من نفوذ الفرس كلما رأوا أن هذا النفوذ وصل إلى مرحلة تهدد حكمهم. ولعل من أخطر ما قام به الفرس الثورة التي قام بها بابك الخرمي التي هدفت إلى إعادة مجد الفرس وديانتهم بالقوة، لكن العباسيين

---

[1] الطبري – مرجع سابق– ص٢٩٦.

تمكنوا منها أخيرا، وقد نجحوا في ذلك ثم تحولوا إلى جنس آخر، فقد أصبحوا يعتمدون ابتداء من عصر المعتصم على الجنس التركي في تأليف الجيش.

ثانيا: عهد سيطرة الأتراك:

بدأ المعتصم يشعر بضعف ثقته بالفرس، بعد توليه الخلافة وذلك أن كثيرا من الجند، لما مات المأمون كان هواهم مع ابنه العباس. لأن أم المأمون فارسية، فدعتهم عصبيتهم للمأمون –نصف الفارسي– أن يتعصبوا لابنه العباس أيضا. ففكر المعتصم أن يستعين بقوم غير الفرس وغير العرب، فهداه تفكيره إلى الأتراك.

وقد يكون سبب ميله للترك أن أمه من الأتراك، فكان في طباعه كثير من طباع هؤلاء الأتراك من القوة والشجاعة والاعتداد بقوة الجسم.

استكثر المعتصم من الأتراك، وآذوا العامة في بغداد فبنى لهم سامراء (وكانت الأتراك تؤذي العوام بمدينة السلام بجريها الخيول في الأسواق وما ينال الضعفاء والصبيان من ذلك، فكان أهل بغداد ربما ثاروا ببعضهم فقتلوه عند صدمه لامرأة أو شيخ كبير أو صبي أو ضرير) [1]. لذلك رأى المعتصم ضرورة نقلهم إلى مكان يبعد عن بغداد فاختار هذا الموضع (فلما استطاب الموضع دعا بأهل الدير فاشترى منهم أرضهم... فأسس بنيانه وهو الموضع المعروف بالوزيرية بسر من رأى...) [2].

كان من هؤلاء الأتراك الذين جاء بهم المعتصم، مسلمون، أسلموا إبان الفتح الإسلامي لبلادهم في العصر الأموي، ومنهم مجوس وثنيون، أخذوا يسلمون عند استقدام المعتصم لهم. وقد عرفوا بالشجاعة والصبر على القتال كما عرفوا بخشونة البداوة وقسوة الطبيعة. كانوا في أول أمرهم قوة للدولة، وبسببهم يرجع

---

[1] مروج الذهب ومعادن الجوهر، تصنيف أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، شرح وتقديم: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م، ج٤، ص٦٢.

[2] المرجع نفسه ، ص٦٤.

انتصارهم على الروم في وقعة عمورية سنة ٢٢٣هـ، فكانت القيادة العليا في يد الأتراك.

ومنذ ذلك التأريخ، دخلت الدولة في نزاع العصبية بين العناصر الثلاثة العرب والفرس والترك. وكان العرب قد ضعف أمرهم في نزاعهم مع الفرس، فتوجهت قوة الأتراك لإضعاف شأن الفرس. وبعد أن كانت الأحداث تتصل بأعمال الفرس وأعلامهم، أصبحت الأحداث مرتبطة بأعلام الترك، إذ كانوا قابضين على زمام الدولة والمتصرفين في شؤونها.

وبدأت العصبية ضد الأتراك من عهد دخولهم بغداد، وكره أهلها مجيئهم، إذ كانوا شؤما عليهم في حلهم وترحالهم. فلما أقاموا بينهم كانت خيولهم تصيب الضعفاء والمرضى. ولما رحلوا عنهم إلى سامراء أثر ذلك سلبيا على بغداد من حيث تجارتها وحضارتها.

زاد نفوذ الأتراك شيئا فشيئا بكثرة ما كان يرد على عاصمة الخلافة من بلادهم. وبما أبدوه من بسالة في حروبهم، وبتأييد الخلفاء لهم، فالواثق بعد المعتصم (وفي سنة ثمان وعشرين ومائتين استخلف على السلطنة أشناس التركي، وألبسه وشاحين مجوهرين وتاجا مجوهرا، وأظن أنه أول خليفة استخلف سلطانا، فإن الترك إنما كثروا في أيام أبيه) [١].

وفي أيام الواثق بالله، نكل الأتراك بالأعراب في كثير من جهات جزيرة العرب، مما كان له الأثر في ضعف نفسية العرب أمامهم.

وعندما تولى المتوكل سنة ٢٣٢هـ، فكان قد مضى على مجيء الأتراك اثنتا عشرة سنة، تمكنوا فيها من الأرض وعرفوا الناس والبلاد، وخدمتهم الحوادث في إعلاء سلطانهم (أصبحت أمور الدولة في يد الأتراك، وأصبحوا مصدر قلق واضطراب، فهم يكرهون الفرس والعرب، وهم أنفسهم ليسوا في وفاق بعضهم مع

---

[١] تأريخ الخلفاء، تصنيف: الحافظ جلال الدين السيوطي، مرجع سابق، ص٣١٥.

بعض، وهم لا ينقطعون عن المؤامرات والدسائس، وتعصب كل فريق لقائد منهم، وهم كثيرو الطمع في الأموال لا يشبعون) [١].

وعندما شعر المتوكل بالجو الخانق الذي يثيره شرور الأتراك رأى ضرورة التخلص منهم وإعادة الدولة سيرتها الأولى، ولكن باغر التركي حارس المتوكل تمكن من الغدر به في حجرة نومه بمعاونة قواد من الأتراك، فكان مقتله أول حادثة اعتداء على الخلفاء العباسيين ولم يكن الاعتداء عليه وحده، بل هو قتل لسلطان كل خليفة بعده، وكان في قتله حياة الأتراك وسلطانهم، وإنذار عام لمن أراد أن يلي الخلافة فليذعن إذعانا تاما للأتراك.

كان طبعياً أن يزداد نفوذ الأتراك بقتلهم المتوكل حتى أصبح كل خليفة يأتي من بعده لا يعدو أن يكون خاتما في أصبعهم، وقد أكثر الشعراء في ذلك العصر من وصف ما أصاب البلاد من سوء الحال وتحكم الأتراك في الخلفاء، وما عم الناس من الفوضى والاضطراب.

شعر الناس بسوء الحالة العامة من سلطة الأتراك، وحاولوا التخلص من سلطانهم، وقويت هذه الفكرة عند الخليفة المهتدي، وقد كان شجاعا قويا فظن أنه يستطيع القضاء على سلطة الأتراك، وأن الشعب يؤيده ولكن لم ينجح.

وهكذا، فقد "كان الخلفاء في العصر العباسي الأول يستطيعون إبعاد نفوذ العنصر الفارسي متى شاؤوا بقوتهم والمهابة التي كانت للخلافة، بينما الخلفاء في العصر العباسي الثاني، فشلوا في إبعاد خطر الأتراك وتسلطهم بالرغم من محاولات بعضهم الجادة في ذلك والسبب هو ضعفهم، واستهانة قادتهم بهم مما أدى إلى فقدان الخلافة لهيبتها في نفوسهم ونفوس غيرهم"[٢].

---

[١] ظهر الإسلام، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٦٩م، ج١،ص١٠.

[٢] تأريخ الأدب في العصر العباسي، مصطفى السيوفي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، ص١٥.

المبحث الثاني :

الحياة الاجتماعية

وصف الحياة الاجتماعية مدخل لفهم الحياة العلمية والعملية في ذلك الوقت، فلا يمكن فهم الحياة العلمية إلا بفهم بيئتها التي نشأت فيها والعوامل التي ساعدت عليها وطبيعة الناس الذين أنتجوها.

أولا: **طبقة الحكام**:

مما تقدم في المبحث الأول ندرك جيدا أن المجتمع العباسي كان مؤلفا من أفراد يرتدون إلى أجناس مختلفة. ولكنهم يلتقون على مبدأ واحد ودين واحد هو الإسلام. وهذا الخليط من الناس كان موزعا على ثلاث طبقات متباينة في نمط الحياة والمعاش.

وطبقة الحكام، تعتبر الطبقة العليا وهي تضم الخلفاء والوزراء والقادة والولاة ومن يتبعهم من الأفراد ومنفذي شؤون الدولة وأصحاب الاقطاعات من الأعيان والتجار[1].

وهذه الطبقة تتمتع بنعيم مفرط، فقصور الخلفاء والأمراء واسعة كل السعة، مترفة كل الترف، نظرا للأموال الكثيرة، فقد روى أن دخل بيت المال سنويا بلغ لعهد الرشيد نحو سبعين مليونا من الدنانير. وكان أهل هذه الطبقة يبذلون كثيرا على بناء القصور.

ولعل أشهر من عرف بذلك هو المتوكل الذي قيل عنه إن قصوره بلغت نحو العشرين. (تفنن الخلفاء والوزراء في بناء القصور حتى يشبه بعضها مدنا صغرى تمتلئ بالأبنية والأفنية والأساطين والقباب والبساتين والجداول والبرك والنافورات، مع التأنق في أبوابها ونوافذها وشرفتها وزخرفة حيطانها بالنقوش والصور وتعليق الستائر الحريرية عليها، ومع ما يموج فيها من البسط والسجاجيد والطنافس والمناضد والتحف

---

[1] تأريخ الأدب في العصر العباسي، مرجع سابق، ص١٨.

المرصعة بالجواهر) [١]، ومن مظاهر الترف في هذه القصور البركة التي توسطت قصر البرج إذ كانت مفروشة ظاهرا وباطنا بصفائح الفضة، واتخذ المتوكل عندها سريرا كبيرا من الذهب وهي التي وصفها البحتري بقوله:

يـا مِـنْ رأى البْرِكَـةِ الحسـناءِ رُؤْيتُهـا والآنسـاتِ إذا لاحـتْ مَغَانِيهـا

كـأنَّ جِنّ(سـليمان) الـذين ولُّـوا إبْـداعِها فـاقُوا فـي مَعَانِيهـا

كأنَّمـا الفضَّـةُ البيضـاءُ سـائلةً مـن السـبائكِ تَجْـري فـي مَجَارِيهـا[٢]

ولم يبن أحد من الخلفاء بِسرمِن رأى من الأبنية الجليلة مثل ما بناه المتوكل، فقد أنفق فيها (مائتين ألف ألف وأربعة وتسعين ألف ألف درهم) [٣] التي بلغت في الحضارة شأوا بعيدا حتى أفسدها الخلاف والعصبية بين أمراء الأتراك وتحول عنها الخلفاء إلى بغداد.

وكانت خزائن الدولة هي المعين الغدق الذي هيأ لهذا الترف أن يتخذ مساحة واسعة في الدولة. فقد كانت تحمل إليها حمول الذهب والفضة من أطراف الأرض، وكانت هذه الأموال، وهذا البذخ يتمتع به الخلفاء وحواشيهم من البيت العباسي من الوزراء والقواد وكبار رجال الدولة، ومن اتصل بهم من الفنانين، شعراء ومغنيين، ومن العلماء والمثقفين. ومن مظاهر شيوع الثراء العريض في الطبقة الحاكمة وحواشيها ومن يلوذون بها "فقد روى عن المنصور أنه فرض لكل شخص من أهل بيته ألف

---

[١] تأريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، ص٦٧.

[٢] ديوان البحتري ، منشورات صادر ، بيروت، لبنان ، الجزء الرابع ، ص ٢٤١٦ .

[٣]ظهر الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٩٩ .

ألف درهم في كل عام، ويقال أن غلة الخيزران زوجة المهدي من إقطاعاتها كانت تبلغ سنويا مائة وستين مليونا من الدراهم"[١].

أما عمال الخلفاء ووزرائهم فكانوا يحصلون الأموال الطائلة ويتبارون في إنفاقها. (فقط بلغت عمالة الفضل بن سهل أيام المأمون على ما رواه الطبري نحو ثلاثة ملايين درهم ووهب الفضل بن يحيى البرمكي ألف ألف درهم لمحمد بن إبراهيم العباسي) [٢].

وطبعي أن تدفع هذه الأموال إلى الترف في الحياة وكل أسبابها المادية من دور مزخرفة وفرش وثيرة وثياب أنيقة معطرة ومطاعم ومشارب من كل لون (ونّوه المؤرخون بأناقة المعتصم حتى قيل إن ثيابه كانت تشبه بالزُّهرة لتألقها) [٣].

وبالغ النساء، حرائر وجوارٍ في زينتهن وأناقتهن، فكن يرفلن في الثياب الحريرية، ويختلن في الحلى والجواهر، متخذات فيها تيجانا وأقراطا وخلاخيل وقلائد وقد ينظمنها على شعرهن...)[٤].

والخلفاء من أول العصر العباسي، يعلو كل خليفة ما قبله درجة أو درجات في الترف والنعيم، والإمعان في فنون الحضارة، والأغنياء يتبعوهم في ذلك على قدر مواردهم. ولذلك لما جاء المهتدي بالله (٢٢٥-٢٥٦ هـ) ونزع نزعته إلى الزهد استغرب منه ذلك، ولم يطاوعه الناس وسئموا سيرته وأدى الأمر إلى قتله. وهكذا فقد كان تيار الترف هو السمة الواضحة لهذه الطبقة وكان جارفا بحيث يمكنه اكتساح كل من يقف في طريقه.

---

[١] تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، ط١٨، دار المعارف، القاهرة، ص٤٥-٤٦.

[٢] أمراء الشعر العربي في العصر العباسي ، أنيس المقدسي ، دار العلم للملايين ، أغسطس ٢٠٠٧م، ص ٤٥.

[٣] الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، شرح عبد أ. .علي مهَنّا، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط ٤ ، الجزء الخامس ، ص٣٤٥.

[٤] تأريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، مرجع سابق ، ص ٥٠ .

ثانيا: **طبقة العلماء والشعراء والمغنيين**:

وهذه الطبقة كانت تحظى بمكانة رفيعة لدى الخلفاء والوزراء وممن يعتبرون من علية القوم. وكان هؤلاء يشكلون أنموذجا للطبقة الوسطى التي تظل – على اختلاف مستويات الناس فيها – تعيش عيشة الكفاف، لا ترقى بترفها ونعيمها:إلى عيشة الطبقة العليا، كما لا تتدنى لتصل إلى معاناة أبناء الطبقة الدنيا.

وكان الخلفاء يغدقون على العلماء والأطباء والشعراء والمغنيين ونافسهم الوزراء في هذا البذل الواسع وللبرامكة فيه ما ليس لأحد وكأنهم كانوا يبارون فيه الخلفاء، أشهرهم الفضل بن الربيع وبنو سهل وكبار الولاة والقواد.

وكان الرشيد أكثر الخلفاء إنفاقا على هذه الطبقة، لاسيما العلماء والفقهاء من أمثال قاضيه أبي يوسف والأصمعي والكسائي والأطباء من مثل جبرائيل بن بختيشوع. ويحكى أن الرشيد كان يجزل العطاء لقاضيه أبي يوسف (وأخرج عن إسحاق بن راهوية قال:

دعا الرشيد أبا يوسف ليلا فأفتاه، فأمر له بمائة ألف درهم) [1].

وكان يجزل العطاء للشعراء والمغنيين من نواله (ويكفي أن نعرف أنه وصل سلما الخاسر ووحده لمدائحه فيه بعشرين ألف دينار وطرب يوما لغناء مخارق فاقطعه ضيعة ودارا ووصله بثلاثة آلاف دينار، أما مغنيه الأثير إبراهيم الموصلي، فيقال أن صلاته له تجاوزت مائتي ألف دينار) [2].

وسار على دربه الأمين فقد كان يعجب بمغنية تسمى بزلا، يقال أنه أنفق عليها أموالا طائلة، وأنه أهداها من الجوهر ما لم تملك واحدة مثله. وكان المأمون كثير الإغداق على حاشيته، حتى قيل عنه أنه فرق في ساعة واحدة أربعة وعشرين ألف ألف درهم.

---

[1] تأريخ الخلفاء، مرجع سابق، ص٢٧٠.

[2]المرجع نفسه ، ص٤٦.

أما البرامكة (فقد كان صنيعهم فوق ذلك درجات، فقد كانت بأيديهم خزائن الدولة لعهد الرشيد فملأوا منها أيدي العلماء والأطباء والمترجمين والمغنيين والشعراء بالأموال، بل بالثروات الضخمة، على نحو ما يحكى من أنهم أعطوا إبراهيم الموصلي يوما ستمائة ألف درهم، وضيعة بمائة وستين ألفا) [١].

وعندما مرض المأمون مرضا خطيراً وعجز وجوه الأطباء عن علاجه، اذكروه بجبرائيل، فأمر بإحضاره (ولما حضر غير تدبيره كله، فاستقل بعد يوم، وبعد ثلاثة أيام صلح، فسر به المأمون سرورا عظيما... فأمر له بالمأمون بألف ألف درهم وألف كر حنطة، ورد عليه سائر ما قبض منه من الأملاك والضياع....) [٢].

وكانت في هذا العصر، مجموعة من الشعراء تمثل صور الحياة الاجتماعية المختلفة، فهؤلاء الذين يعيشون حياة رغدة، كان شعرهم يصف ترف الحياة ونعيمها، وهؤلاء الذين يعيشون البؤس والفقر كتبوا عن بؤسهم وفقرهم وخذلان الزمان لهم.

وكان كثير من شعراء هذا العصر، يمدحون الخلفاء والولاة تكسبا للمال، الذي كان ينفق عليهم بلا حساب (لا نبالغ إذا قلنا إن جميع وزراء العصر وأكثر ولاته وقواده داروا على ألسنة الشعراء، يمدحونهم طلبا للنوال) [٣]، لأن بأيديهم أموال الدولة ينفقونها للدعاية لهم. ولم يكن للدعاية حينئذ لسان سوى الشعر، فالوزير أو الوالي أو القائد حين يطريه شاعر، يذيع اسمه بين الناس، لذلك كانوا يجمعون الشعراء من حولهم لكي يعددوا مناقبهم ويصوروا كفاءتهم، وكان في مقدمتهم لعصر المتوكل، وزيره الفتح بن خاقان، وكان كثيرون يكادون يقصرون أنفسهم على مديحه، وهو من ممدوحي البحتري.

كما نجد شعراء ذلك العصر يبالغون في مدح الخلفاء، يلبسونهم لباس السماحة والكرم والحزم والمروءة وعلو الهمة والشجاعة، لكي يحوزوا لأنفسهم مجامع الحمد

---

[١] المرجع نفسه ، ص٤٧.

[٢] عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أبو أصيبعة، ضبطه وصححه ووضع فهارسه محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص١٦٩.

[٣] تأريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، مرجع سابق، ص٤٨.

والثناء (وقد يكون الخليفة سيئ السلوك مثل الأمين، ولكن الشعراء يمدحونه بنفس هذه المثالية الكريمة للخلفاء) [١].

لذلك كان الخلفاء يغدقون الأموال الطائلة على الشعراء، فأصبحت أموال الخلفاء هي مورد رزقهم ومعاشهم (وأخرج عن محمد بن حفص العجلي، قال: ولد لأبي دلامة ابنة، فغدا على المنصور فأخبره وأنشد:

لو كان يُقعد فوق الشَّمسِ مِنْ كَرَمٍ قَـوٌم لَقِيـل اقعـدوا يـا آلُ عبـاسِ

ثـم ارتقـوا فـي شُـعَاعِ الشَّـمسِ كُلّكـم إلـى السَّـماء فـأنتم أكـرمُ النَّـاسِ[٢]

ثم أخرج أبو دلامة خريطة، فقال المنصور: ما هذه؟

قال: أجعل فيها ما تأمر لي به، فقال: املؤها له دراهم، فوسعت ألفي درهم)[٣].

وأخرج عن عبد الله بن مصعب قال: دخل مروان بن أبي حفصة علي الهادي. فأنشده مديحا له، حتى إذا بلغ قوله:

تَشَـاَبَه يومـاً بأسُـهُ ونَوالُـهُ فمـا يـدري لأيهمـا الفضـلُ

فقال له الهادي: أيما أحب إليك، ثلاثون ألف معجلة أو مائة ألف تدور في الديوان؟ قال: تعجل الثلاثون ألفا وتدور المائة ألف، قال: بل تعجلان لك جميعا. فحمل له ذلك.

وكان للغناء في الناس لهذا العصر، أثر كبير، فقد شغلوا به كثيرا وكأنه نعيمهم في دنياهم الذي لا يؤثرون سواه (ويطل عصر المهدي حتى تصبح دارا كبيرة

---

[١] تأريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، مرجع سابق، ص١٦١.

[٢] تأريخ الخلفاء، مرجع سابق، ص٢٤٨.

[٣] المرجع نفسه والصفحة نفسها .

للغناء، فقد جذبت إليها المغنيين والمغنيات من كل فج، ونثرت الأموال عليهم نثرا بل كالتها كيلا) [١].

ومن أبرز المغنيين في هذا العصر، إسحق الموصلي، وقد تلقن الغناء عن أبيه إبراهيم ويقال: (أن الرشيد غضب عليه فقيده وحبسه بالرقة، ثم جلس للشرب يوما في مجلس قد زينه وحسنه، فقال لعيسى بن جعفر: هل لمجلسنا عيب؟ قال: نعم، غيبة إبراهيم الموصلي عنه؛ فأمر بإحضاري فأحضرت في قيودي، ففكَّت عني بين يديه، وأمرهم فناولوني عودا، وقال: غني يا إبراهيم؛ فغنيته:

تَضَـوَّعَ مِسْـكاً بَطْـنُ نُعمـانِ أن مَشَـتْ بـــه زَيْنَـــبُ فـــي نِسْـــوةٍ خَفِـــرَاتِ[٢]

فاستعاده وشرب وطرب، وقال: هنأتني يومي وسأهنيك بالصلة، وقد وهبت لك الهنيء والمريء؛ فانصرفت فلما أصبحت عوضت منهما مائتي ألف درهم)[٣].

وقيل أيضا (إن الهادي أعطى إبراهيم الموصلي في يوم واحد خمسين ومائة ألف دينار، وغنى ابن محرز في حضرة الرشيد بأبيات مطلعها "وأذكر أيام الحمى ثم انثنى"، فاستخف الرشيد الطرب وأمر له بمائة ألف درهم وفعل مثل ذلك لدحمان الأشقر. وهبات هذا الخليفة لندمائه وشعرائه أكثر من أن تحصى هنا. واقتدى الواثق بجده فوهب إسحق وقد غنى في حضرته مئة ألف درهم) [٤].

---

[١] تأريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص٥٩.

[٢] كتاب الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٤، ٢٠٠٢م، ج٥،ص١٨٠.

[٣] المرجع نفسه ، ص ١٨١.

[٤] أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، مرجع سابق، ص٤٩.

وحدث إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: بينا أنا ذات ليلة عند الرشيد أغنيه، إذ طرب لغنائي وقال: لا تبرح، ولم أزل أغنيه حتى نام، فأمسكت، ووضعت العود في حجري، وجلست مكاني) [١].

كثر الرقيق في هذا العصر، نتيجة للحروب الكثيرة وما تبعها من سبي وأسر، فكثر نسل الجواري، ومع الجواري انتشرت موجة الغناء واللهو والمجون، ومن دلائل ذلك أن الجارية التي كانت تحسن الغناء كانت تباع بثمن باهظ وصل مائة ألف درهم (لقد دفع جعفر بن سليمان بن علي هذا المبلغ ثمنا لكل من جاريتيه: ربيعة والزرقاء) [٢].

وكثر تعليم الجواري الغناء، واتخذ أصحابهن لهن بيوتا معدة للسماع في الأحياء المختلفة. وهذه البيوت كان يتردد عليها الناس للسماع ولم يتحرج منها حتى العلماء والأدباء والقضاة والأعيان. والظاهر أن محال الغناء كان منها المتهتك الذي يناسب المعربدين ومنها المتحفظة بعض الشيء التي تناسب المتحفظين.

ثالثا: **عامة الشعب**:

وهؤلاء يمثلون الطبقة الدنيا في الدولة. ومجال عمل هذه الطبقة يتركز في الحرف والمهن التي كانت تعد من الأعمال الوضيعة في ذلك الزمان. وكانت تعيش حياة بؤس ، تقوم على شظف العيش لينعم الخلفاء والولاة وكبار رجال الدولة. (حيثما نظرنا إلى كل قطر من أقطار العالم الإسلامي في ذلك العصر، رأينا الثروة غير موزعة توزيعا عادلا ولا متقاربا، ورأينا الحدود بين الطبقات واضحة كل الوضوح، فجنة ونار، ونعيم مفرط، وبؤس مفرط، وإمعان في الترف يقابله فقدان القوت) [٣].

وحتى غنى الأغنياء لم يكن في مأمن، فهو عرضة لغضب ذي السلطان الأعلى، فيصادرون أموالهم ويصبح حالهم أشد بؤسا من فقير نشأ في الفقر.

---

[١] مروج الذهب، المسعودي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٤م، المجلد الثالث، ص٤٤٠.

[٢] تأريخ الأدب في العصر العباسي، مرجع سابق، ص١٩.

[٣] ظهر الإسلام، مرجع سابق، ص٩٧.

ولعل البذخ الواضح في ذلك العصر وما صحبه من اعتصار الشعب، كان وراء بعض الثورات الداخلية الخطيرة كثورة الزنج والقرامطة. فقد استغل مديرو هاتين الثورتين حنق هذه الطبقة وبؤسها، فمنوها بالحلول السريعة لكل مشكلات حياتهم، فاندفعت جماهيرها خلفهم وهي لا تحمل سوى أحلام سحرية بالتغيير إلى الأحسن والأفضل.

المبحث الثالث

الحياة الثقافية

كانت الحياة الثقافية بجوانبها الأدبية والعلمية نقطة وضيئة في العصر العباسي على اختلاف مراحله. فقد شهد حركة نشطة في مجال التصنيف والتأليف والترجمة، واهتم الخلفاء والمبدعون فيه، سواء أكانوا شعراء أم علماء، ونالوا رعاية وتشجيعاً فكان نتاجهم في هذا العصر نتاجا مميزا ليشمل لونين من الثقافة، وهما العلوم العربية والإسلامية والعلوم الأجنبية التي جاءت مع حركة الترجمة التي اتسعت في العهد العباسي، نظرا للعناية التي أحاطها بها الخلفاء، وللأموال الطائلة التي كانوا ينفقونها عليها.

أولا: **الترجمة**:

لعبت الترجمة دورا بارزا في نمو وازدهار الفكر الإسلامي في العصر الذهبي وكان لها دورها في التعرف على علوم شعوب وحضارات أخرى، واقتباس كل ما يناسب الفكر الإسلامي.

عن طريق الترجمة عرف المسلمون الأوائل، وكانت بداية الترجمة تسير على خطى حثيثة في عهد الدولة الأموية ولكنها وجدت اهتماما كبيرا في عصر الدولة العباسية. (ولم تقو حركة الترجمة وتزدهر وتطلق بقوة إلا في عهد الدولة العباسية... ولما ظهر آل عباس كان أول من اهتم منهم بالعلوم، الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور) [1].

وشجعت الدولة العباسية حركة الترجمة تشجيعاً كبيرا، وتأثروا في ذلك بالفرس (والخلفاء العباسيون وإن كانوا من عنصر عربي إلا أن تنشئة كثير منهم لم تكن عربية خالصة، كتنشئة الأمويين. وهم بحكم هذه التنشئة وربما بدافع إرضاء الرجال

---

[1] حركة الترجمة وأهم أعلامها في العصر العباسي، عامر النجار، دار المعارف، مصر، ١٩٩٣م، ص٧.

المبرزين من عصبيتهم السياسية وهم الفرس، كانوا يظهرون ميلهم للعلم، كما كانوا يعملون على تشجيع العلماء) [١].

وكان المأمون واسع الفكر، شغوفا بالاطلاع، محبا للعلم والعلماء، وكان عصره أزهى العصور الإسلامية. كذلك كان المأمون يطلب من أمراء البلاد المفتوحة الكتب بدلا من الغرامة المفروضة عليهم (فلما انتصر المأمون على الروم عام ٢١٥هـ، علم أن اليونان حينما انتشرت النصرانية في بلادهم قد جمعوا كتب الفلسفة من المكتبات وألقوا بها في السراديب، فطلب المأمون من ملك الروم أن يعطيه هذه الكتب مكان الغرامة التي فرضها، فقبل "اثيلو فيلوس" ملك الروم بذلك، وعده كسبا كبيرا له. أما المأمون فأعد ذلك نعمة عظيمة عليه) [٢].

وازدهر في عهد المأمون "بيت الحكمة" ازدهارا بالغا، وبمرور الوقت أصبح "بيت الحكمة" (أهم وأعظم معهد ثقافي نشأ بعد المتحف الإسكندري الذي أسس في القرن الثالث قبل الميلاد... وقد أضفى الخلفاء على المترجمين أعظم أنواع التشريف والدعم، الأمر الذي شجع المترجمين على نقل مختلف أنواع العلوم والمعارف التي كانت للأمم التي سبقتهم... فاستفاد العرب منها أكبر فائدة حتى نبغوا بل تفوقوا على غيرهم بعد أن أضافوا إلى تلك العلوم مبتكرات جديدة) [٣].

ويقال إن الرشيد والد المأمون أنشأ دار الحكمة وبعث عماله إلى الإمبراطورية الرومانية وعين عالما مسيحيا كبيرا مسؤولا عن الترجمة وهو "ماسوية" والد يوحنا بن ماسوية (وكان يوحنا يجيد اليونانية وهو أستاذ حنين بن إسحق، أشهر المترجمين في العصر العباسي وأكثر إنتاجا وتأليفا في مجال الطب)[٤]، وعين المأمون يوحنا بن

---

[١] الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، محمد البهي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٢٢٨.

[٢] الفلسفة اليونانية في طريقها إلى العرب، عمر فروخ، بيروت، الطبعة الأولى، ص٩٨.

[٣] المؤثرات الثقافية الشرقية على الحضارة الغربية من خلال الحروب الصليبية، ميخائيل جميعان، المطبعة الاقتصادية،عمان، الأردن، ١٩٨٣م، ص٢٥.

[٤] حركة الترجمة وأهم أعلامها في العصر العباسي، مرجع ساق، ص١١.

ماسوية أمينا على الترجمة ببيت الحكمة(وكان المأمون معجبا للغاية بحنين بن إسحق ومقدرا لعلمه وفضله فاختاره لتقليد رياسة الحكمة، وجعل بين يديه كتابا نحارير ينقلون ذخائر العلم اليوناني) [١].

وأول ما نقل إلى العربية هو المنطق، وذلك في عهد المنصور، وقيل إن ابن المقفع هو أول من ترجم المنطق إلى العربية ولعل ذلك راجع إلى حاجة المسلمين الملحة إليه، فقد كان المتكلمون من المسلمين يرغبون في التسلح به ضد خصومهم من أهل الديانات الأخرى، ممن كانت لهم دراية بالمنطق والفلسفة اليونانية، ويذكر عمر فروخ بعض بواعث النقل في الإسلام لكتب الطب والعلوم والفلسفة إلى اللغة العربية، فيقول من هذه البواعث[٢]:

١- القرآن الكريم وحثه على التفكير وطلب العلم .

٢- احتكاك العرب بغيرهم من الأمم، أطلع العرب على ثقافات جديدة، فأحب العرب أن يوسعوا بهذه الثقافات آفاقاهم الفكرية.

٣- حاجة العرب إلى علوم ليست عندهم مما كانوا يحتاجون إليه في الطب وفي معرفة الحساب والتوقيت لضبط أوقات الصلوات وتعيين بدء أشهر الصوم والحج وأول السنة.

٤- العلم من توابع الحضارة: حينما تزدهر البلاد سياسيا واقتصاديا ويكثر فيها الترف، ويستبحر العمران، تتجه النفوس إلى الحياة الفكرية والتوسع في طلب العلم.

٥- زعم بعضهم أن حب السوريان لثقافتهم وحرصهم على نشرها حملاهم على نقل الكتب الفلسفية إلى اللغة العربية.

---

[١] حنين بن إسحق والعصر الذهبي للترجمة، ماهر عبد القادر، دارا لمعرفة الجامعية بالإسكندرية، ١٩٨٨م، ص٤٨.

[٢] نقلا عن تأريخ العلوم عند العرب، عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م، ص١٠٣ – بتصرف.

أما العلوم المترجمة فهي كثيرة ومتنوعة، فقد ترجمت كتب في التأريخ والفلسفة والمنطق والطب والفلك وقد نقلوا من التراث اليوناني إما مباشرة من اللغة اليونانية وإما من اللغة الفارسية التي كان قدت ترجم إليها أساسا. وكذلك نقلوا من التراث الهندي وغيره، ويبدو أنهم كانوا راغبين في نقل كل ما كتب باللغات الأخرى أو أكثره على الأقل، لذلك لم يتورعوا أن ينقلوا إلى العربية المعتقدات الفارسية القديمة.

وأخيرا نجد أن أدوار الترجمة في العصر العباسي تنقسم إلى ثلاثة: الأول من خلافة أبي جعفر المنصور إلى وفاة هارون الرشيد (١٣٦-١٩٣هـ)، والثاني يبتدئ من ولاية المأمون عام ١٩٨هـ وينتهي في عام ٣٠٠هـ ، والثالث يبتدئ من عام ٣٠٠هـ وينتهي في منتصف القرن الرابع الهجري .

ثانيا: **التصنيف والتأليف**:

في أواخر عصر الترجمة ونتيجة لحركة التدوين والترجمة، ظهرت بشائر عهد جديد هو عهد التأليف، ليشمل كثيرا من المعارف والعلوم تتمثل في الطب والعلوم الرياضية والفلكية والكيمياء والموسيقى والفلسفة، والتأريخ، والجغرافيا، والحديث النبوي، وعلم الفقه، كما أن التصنيف في الأدب شمل القصص والحكايات والنحو واللغة والبيان. (كان من أهم الأسباب التي دفعت إلى ازدهار الحركة العلمية والأدبية لهذا العصر الاتصال الخصب المثمر بين الثقافة العربية الخالصة وبين ثقافات الأمم المغلوبة المستعربة وما طوي فيها من معارف وعلوم)[١]. وقد كان من أهم مظاهر الحركة العلمية التي تدعو إلى الإعجاب في هذا العصر، الرحلات فقد أصبح تقليدا للعالِم أنه يرحل ويلاقي العلماء ويأخذ منهم ويروي عنهم مع عناء الأسفار وفقر العلماء غالبا.

في عصر المأمون شارك العرب في علوم الأوائل التي ترجموها فظهر منهم محمد بن موسى الخوارزمي الذي ابتكر علم الجبر وله شروح على كتاب أقليدس في الهندسة وكتاب بطليموس في الجغرافيا، وقد ألف فيها أول كتاب عربي جغرافي سماه

---

[١] تأريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص١٠٩.

صورة الأرض (ومع افتتاح العصر العباسي الثاني يؤلف عبيد الله بن حرداذبة الفارسي الأصل كتابه "المسالك والممالك" وهو يصرح في مطالعه بأنه اعتمد في بيان حدود الأرض ومسالكها على كتابات بطليموس) [1]. وأخذ غير عالم يتناول هذا الموضوع، غير أن أدقهم وأمهرهم علمياً اليعقوبي أحمد بن يعقوب العباسي، ففي كتابه "البلدان" اعتمد على الرحلة والطواف ببلاد ديار الإسلام واصفا لها وصف المشاهد المثبت من الأخبار وبذلك تكامل علم الجغرافيا عند العرب.

كذلك نهضوا بالرياضيات والفلك، ففي الرياضيات اعتنى الخوارزمي بالجبر والحساب وأخذ الأرقام عن الهنود ودعاها بالأرقام الهندية.

ومن نابهي الفلكيين في أوساط العصر أحمد بن محمد بن كثير الفرغاني وكتابه "أصول الفلك" له ترجمات كثيرة إلى اللاتينية وله كتب مختلفة في الاسطرلاب.

ومن العلوم الطبية والطبعية حينئذ، الصيدلة والكيمياء، وقد أنتج العصر العباسي الأول أكبر كيميائي، حتى ارتبط هذا العلم باسمه، وهو أبو موسى جابر ابن حيان الذي يعد رائد علم الكيمياء الحديثة، وقد نشأ في عصر كانت فيه الكيمياء ضربا من الدجل والشعوذة، وكانت تعرف بأنها صنعت الذهب والفضة من غير معادنها. (وكان قد ترجم كتاب "الحيوان" لأرسطو وعلى هديه ألف الجاحظ كتابه "الحيوان في هذا العلم")[2].

وترجموا في الطب مصنفات جالينوس وبقراط. وفي العصر العباسي الثاني، كان كثير من الأطباء يكلفون المترجمين بنقل كتب طبية أو كتب تتصل بالطب. يقول ابن أصيبعة (وكان مما نقلت له الكتب اليونانية وترجمت باسمه، جماعة من أكابر الأطباء مثل يوحنا بن ماسويه وجبرائيل بن بختيشوع وابنه بختيشوع وداؤد بن سرابيون وسلمون بن بنان واليسع وإسرائيل بن زكريا بن الطيفوري وحبيش بن الحسن)

---

[1] تأريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، مرجع سابق، ص١٣٥.

[2] تأريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، مرجع سابق، ص١٣٦.

[1]. وعكف المترجمون على ترجمة كتب الصيدلة والكيمياء والطب وإفادة الأطباء بما يستطيعون. ومن كبار الأطباء في العصر سنان بن ثابت بن قرة الذي أسلم على يد الخليفة القاهر بالله.

وطبيب المسلمين الأول، هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، وقد بدأ حياته بدراسة العلوم الرياضية، ثم اشتغل بالكيمياء والطب، وتُرْجِمَ إلى اللاتينية كثير من كتبه الطبية، وظل حجة الطب غير مدافع حتى القرن السابع عشر، وما زال المستشرقون يعنون به وبآثاره حتى اليوم. (وقد نشر في باريس سنة ١٩٣٣م فهرس كتبه الذي ذكره البيروني، وفي الفلسفة ١٧، وفي الرياضيات١٠ وفي الميتافيزيقيا ٦، وفي المنطق ٨، وفي علم الكلام ١٤، وفي الكيمياء ٢٣، وأكبر كتبه في الطب كتابه الحاوي وهو دائرة معارف طبية ضخمة، وقد ترجمت منه أجزاء كبيرة إلى اللاتينية) [2].

ونقلت الفلسفة اليونانية إلى العربية، ولعل أول فليسوف عربي في هذا العصر، هو الكندي يعقوب بن إسحق وهو عربي أصيل من قبيلة كندة، لذلك لقب بفيلسوف العرب. وله كتب ورسائل تتناول العلوم الرياضية والهندسية والفلكية والجغرافية والطبعية والمنطق والأخلاق والسياسة والكلام والجدل والطب، وقد ترجم كثير منها إلى اللاتينية وأثر في شعوبها تأثيرا عميقا.

واختتم هذا العصر، بفيلسوف له مكانة كبيرة في الفلسفة الإسلامية، هو الفارابي أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان. ويقال إنه من أصل فارسي، ولد في فاراب من بلاد الترك، عكف الفارابي على دراسة الرياضيات والطبعية والإلهيات، واستوعب ذلك كله ثم أخذ يوفق بينه وبين الدين الحنيف من جهة وبينه وبين العقل من جهة أخرى. واستطاع أن ينفذ من خلال ذلك إلى تشكيل الفلسفة الإسلامية في صورتها المبكرة بحيث عد فليسوف المسلمين الأول.

---

[1] عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أصيبعة، مرجع سابق ، ص٢٨٤.

[2] تأريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، مرجع سابق، ص١٣٨.

(ونما تفسير القرآن الكريم في العصر العباسي الثاني، نموا واسعا واتضحت فيه اتجاهات خمسة، سيطرت على اتجاهاته في العصور التالية، هي اتجاه التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي والتفسير الاعتزالي، والتفسير الشيعي، والتفسير الصوفي. أما التفسير بالمأثور فقد بلغ القمة المرجوة التي كانت تنتظره عند محمد بن جرير الطبري) [1].

وفي مجال الحديث النبوي الشريف، فقد طلب الخليفة أبو جعفر المنصور من الإمام مالك رضي الله عنه ، وضع كتاب في الحديث الشريف، فوضع كتاب "الموطأ" الذي يجمع بين الحديث والفقه، ثم تبارى العلماء في رواية الحديث، فكثر الوضع في الحديث، فانبرى له الأئمة بالنقد والتمحيص وكان أسبقهم إلى هذا إسحاق بن راهوية، وتلاه شيخ المحدثين الإمام البخاري وإمام السنة مسلم ابن الحجاج.

ثم ظهر بعدهما أربعة كتب تمت بها الستة الصحاح، هي كتاب الترمذي وكتاب أبي داؤد السجستاني، والنسائي، وابن ماجة.

وظهرت الحاجة لتصنيف الأدب وتدوينه عندما استشرى داء اللحن نتيجة لكثرة الأعاجم في أقطار الدولة الإسلامية، لأن العلم كان محفوظا في صدور الرجال يتعهدونه بالحفظ والرواية.

واشتهر نفر من العلماء عرفوا بالرواية، كحماد الرواية، وخلف الأحمر، والخليل بن أحمد، وأبي زيد الأنصاري، والأصمعي، ولكن كان للجاحظ القدح المعلى في تدوين الأدب في كتابيه "البيان والتبيين" و"الحيوان" ثم تتابع العلماء بعده على التصنيف كالمبرد صاحب "الكامل" وابن قتيبة في "الشعر والشعراء"، و"أدب الكاتب" وابن عبد ربه في "العقد الفريد"، وأبي علي القالي في "الأمالي" وأبي الفرج الأصفهاني في "الأغاني".

والتفت رجال من العلماء إلى جمع الشعر من أفواه الرجال، منهم المفضل الضبي، وهو الرجل الذي جمع "المفضليات" وهي مجموعة تشتمل على ست وعشرين

---

[1] المرجع نفسه ، ص١٦١.

ومائة قصيدة لشعراء إسلاميين وجاهليين، عني كثير من الأدباء بشرحها مثل أبي محمد الأنباري والتبريزي والمرزوقي.

وصنف أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي "جمهرة أشعار العرب" وجمع فيه ما اختاره العلماء من محاسن الشعر الجاهلي والإسلامي، وجعله في سبع طبقات، في كل طبقة سبع قصائد واعتمد في هذا التقسيم نهج أبي عبيدة والمفضل وهي: المعلقات والمجمهرات، والمنتقيات، والمذهبات، والمراثي، والمشوبات والملحمات. والأصمعي صاحب الأصمعيات وهي مجموعة تضم اثنتين وسبعين قصيدة لواحد وستين شاعرا أغلبهم من الجاهليين.

أما القصص والحكايات، فقد اقتبس العرب الفن القصصي من الفرس وتمكنوا منه حتى جاروهم فيه. وقد طغت شهرة كتاب "ألف ليلة وليلة" وأصله كتاب صغير للفرس اسمه "هزار أفسانه" ومعناها ألف حكاية، وقد ترجمه العرب من الفهلوية إلى العربية وأضافوا إليه من أساطير العرب والهنود واليهود وأخبار الخلفاء والأمراء والفرسان وأساطير الجان وأعمال السحرة حتى ذهب كل أثر كان عليه في الأصل عند الفرس.

وأيضا هناك كتاب "كليلة ودمنة" وهو من كتب الأخلاق التي تدعو إلى تهذيب الأخلاق بالعظة والعبرة عن طريق القصص والحكايات وضرب الأمثال الداعية إلى مكارم الأخلاق. وضعه الفيلسوف "بيدبا" الهندي لدبشليم الملك على ألسنة الحيوانات والطيور باللغة السنسكريتية ثم ترجم إلى الفهلوية ونقله عبد الله ابن المقفع إلى العربية.

وفي مجال النحو، في هذا العصر، يعد أبو بشر عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه إمام النحاة، الذي أخذ عن الخليل ويونس وعيسى بن عمر حتى حذق صناعة النحو، وأحاط بأصولها وفروعها ثم وضع كتابه المشهور "الكتاب" سرد فيه ما أخذه عن الخليل، فجاء كتابه فريدا في منهجه وسماه النحاة بالبحر تعظيما له. وهو إمام البصريين.

أما إمام المدرسة الكوفية فهو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي. درس على معاذ الهراء والرؤاسي حتى برع في النحو، له كتاب "معاني القرآن"، وكتاب "النحو".

كثر الخلاف بين العلماء البصريين والكوفيين، وتشعبت مسائل الخلاف حتى أوردت لها كتب بأكملها مثل كتاب أبي البركات الأنباري "الإنصاف في مسائل الخلاف".

أما في مجال اللغة، فيعد الخليل بن أحمد الفراهيدي، أول من وضع معجما سماه "العين" وقد أحصى فيه ما يتركب من الألفاظ من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي متبعا متوالية حسابية. ثم وضع ابن دريد "الجمهرة" ورتبه على حروف المعجم، ثم وضع الأزهري "التهذيب" وهو يضم في جوفه كتاب "العين".

أما في علم البيان، فلم يفرد له مؤلف بعينه، وكان الجاحظ قد ألم ببعض أغراضه في كتابه "البيان والتبيين"، ثم عرف له كل من أبي بكر بن دريد وأبو هلال العسكري. وظل البيان علم غير مبوب ولا مهذب حتى جاء الشيخ عبد القاهر الجرجاني، الذي يعد واضع هذا الفن. وقد أفرد علم المعاني عن علم البيان فصارا علمين مستقلين. أما علم البديع فأول من ألف فيه عبد الله بن المعتز.

الفصل الثاني

التيارات الثقافية الأجنبية

تمهيد :

إن من خصائص الثقافة، أنها إنسانية، – أي خاصة بالإنسان– الذي هو كائن مفكر يتميز عن سائر المخلوقات بما يمتلك من قدرات عقلية تمكنه من الابتكار والاختراع والإبداع (إن الثقافة هي جزء من البيئة التي قام الإنسان بنفسه على صنعها متمثلة في الأفكار والمثل والمعارف والمعتقدات والمهارات وطرق التفكير...) [١].

وتعرف الثقافة أيضا بأنها (هي طريقة الحياة في المجتمع بجوانبها كالآلات والإنشاءات والأزياء وغيرها، والمعنوية كاللغة والأدب والفن والدين وغيره) [٢]. وقد ورد أيضا (أن مكونات الثقافة العربية تتمثل في الإسلام والعروبة والقيم والمفاهيم المتوارثة والمتراكمة على مدار التأريخ) [٣].

والإسلام خاصة له تأثيره العميق في الثقافة العربية عن طريق عقائده الإيمانية وشعائره التعبيرية وقيمه الخلقية وهو دين يتغلغل في المجتمع ويؤثر في الفكر وتوجيه العقل، ولكن نتيجة للفتوحات الإسلامية واختلاط العرب المسلمين بأمم لها معتقدات وثقافات مغايرة للعقيدة والثقافة الإسلامية، ظهرت ملامح لرؤى ثقافية أخرى أثرت في المجتمعات العربية الإسلامية في العصر العباسي، لاسيما في العصر الثاني عندما أصبحت الأبواب مشرعة لدخول تيارات ثقافية مختلفة، فارسية ويونانية وهندية.

---

[١] المناهج، محمد أحمد سليم، وآخرون، القاهرة، ١٩٨٣م، ص٩.

[٢] من اجتماعيات اللغة، منير مرسي سرحان، مكتبة الأنجلو مصرية، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م، ص١٣٢.

[٣] الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٤م، ص١٧.

المبحث الأول

التيار الفارسي

ويمكن تناول هذا التيار من زاويتين كان لهما الأثر الكبير في ثقافة المجتمع العباسي في ذلك العصر، وظهر ذلك جليا في أدب تلك الفترة.

أولا: **الشعوبية**:

لفظ الشعوبية مأخوذ من الشعوب: جمع شعب وهو جيل من الناس وهو أوسع من القبيلة. وفي لسان العرب:

(الشعوبي هو الذي يصغر شأن العرب ولا يرى لهم فضلا على غيرهم) [١] وفي المعجم الوسيط نجد أن الشعوبية هي (نزعة في العصر العباسي تنكر تفضيل العرب على غيرهم وتحاول الحط منهم، وأصحاب هذه النزعة الواحد شعوبي) [٢].

نزعة الشعوبية نسبة إلى الشعوبية الأعجمية، وهي نزعة تقوم على مفاخرة تلك الشعوب للعرب بحضاراتهم، الوقت الذي كان فيه العرب منغمسين في البداوة وحياة الغلظة.

ولعل جذور هذه النزعة يعود إلى المعاملة السيئة للموالي من قبل الدولة الأموية، لذلك عظم حقد الموالي عليهم، وما أن سنحت لهم الفرصة في عهد الدولة العباسية حتى استولوا على مقاليد الحكم منهم البرامكة في عهد الرشيد وبنو سهل في عهد المأمون (وكان هذا التحول الخطير في مقاليد الحكم وما أصبح للفرس من مكانة رفيعة في المجتمع العباسي الجديد سببا في بروز نزعة الشعوبية) [٣].

وظلت نيران الشعوبية مشتعلة في العصرين الأول والثاني بسبب امتداد رقعة الدولة الإسلامية واشتمالها على قوميات مختلفة مضت تشيد بفضائل شعوبها القديمة

---

[١] لسان العرب، لابن منظور الأنصاري، المجلد الأول، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، مادة : ش ، ع، ب .

[٢] المعجم الوسيط، مجمع اللغة بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، دار المعارف، مادة : ش ، ع، ب

[٣] تأريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص٧٥.

وحضارتها، وفي مقدمة تلك القوميات، كان الفرس بسياساتهم وآدابهم، والروم بعلومهم وفلسفاتهم والهند بمعارفها الرياضية وغير الرياضية وغيرها من القوميات الأخرى.

وقد بلغت هذه الحركة ذروتها في القرن الثالث الهجري وساعد على ذلك الخلفاء العباسيون الذين كانوا يتعصبون للإسلام ولم يتعصبوا للعربية، لأن معظمهم كانوا مولَّدين – أي أن أمهاتهم غير عربيات– كما أن الوزراء أكثرهم عجم، فلقي العرب منهم عنتا شديدا.

وهذه الشعوبية كانت درجات مختلفة، تبتدئ معتدلة هادئة وتنتهي متطرفة عنيفة، فنرى قوما معتدلين مالوا إلى تسوية العرب بغيرهم، ومن قول الشعوبية على أنهم أهل تسوية ورد في العقد الفريد (ومن حجة الشعوبية على العرب أن قالت: إنا ذهبنا إلى العدل والتسوية وأن الناس كلهم من طينة واحدة وسلالة رجل واحد) [١].

ويقول صاحب الأغاني عن ديك الجن[٢]: (وكان شديد التشعب والعصبية على العرب يقول: ما للعرب علينا فضل، جمعتنا وإياهم ولادة إبراهيم صلى الله عليه وسلم، وأسلمنا كما أسلموا، ومن قتل منهم رجلا منا قتل به، ولم نجد الله عز وجل فضلهم علينا، إذ جمعنا الدين) [٣].

من الآيات التي يحتج بها الشعوبيون على مساواتهم بالعرب:

(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّـهِ أَتْقَاكُمْ) و(وإنما المؤمنون أخوة). وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته في خطبة الوداع "ليس لعربي على عجمي فضل إلا

---

[١] العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: د. عبد المجيد الترحيني، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م، المجلد الثالث، ص٣٥١.

[٢] لقب غلب عليه، واسمه عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب، سمي بديك الجن لأن عينيه كانتا خضراوين.

[٣] الأغاني، ج١٤، ص٥٢.

بالتقوى، كلكم لآدم وآدم من تراب"،[١] ومن الحديث الشريف "المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم". [٢]

وهناك قوم فرقوا بين العرب والإسلام، فهاجموا العرب من حيث هم أمة ولم يعرضوا للإسلام بمكروه، بل صرحوا بأن الإسلام دين الناس جميعا لا العرب وحدهم (يصح لنا أن نعد ابن خلدون شعوبيا... فقد حكينا ملخص رأيه في العرب....وهو رأي في أشد العنف والقسوة على العرب وخصائصهم، قلَّ أن نرى شعوبيا متطرفا وصل إلى ما وصل إليه في صراحته وشدته، ولكنه في رأينا كان مسلما حقا حر التفكير في حدود الدين) [٣].

وهناك قوم لم يفرقوا بين العرب والإسلام فحقروا من شأن العرب وسلبوهم كل مزية، وأدتهم كراهيتهم للعرب لكل ما جاء عنهم ومن ذلك الدين. ويمثل هذه النزعة أولئك الذين (.... يحقرون العرب، ويضعون من شأنهم ويسودون كل أمة عليهم، من ظلوا على دينهم القديم، أو أسلموا ولما يدخل الإيمان في قلوبهم، أو غلبت عليهم النزعة الوطنية، فكرهوا من العرب أنهم أزالوا ملكهم، وأضاعوا استقلالهم) [٤].

وقد ذكر ابن قتيبة أن ممن ذهب مذهب تلك النزعة(قوما تحلوا بحلية الأدب، فجالسوا الأشراف، وقوما اتسموا بميسم الكتابة فقربوا من السلطان فدخلتهم الأنفة لآدابهم، والغضاضة لأقدارهم من لؤم مغارسهم وخبث عناصرهم. فمنهم من ألحق نفسه بأشراف العجم، واعتزى إلى ملوكهم وأساورتهم، ودخل في باب فسيح لا حجاب عليه ونسب واسع لا مدافع عنه. ومنهم من أقام على خساسته ينافخ عن لؤمه ويدعي الشرف للعجم كلها ليكون من ذوي الشرف، ويظهر بغض العرب بتنقصها، ويستفرغ مجهوده في مشتمها، وإظهار مثالبها، وتحريف الكلم في مناقبها، وبلسانها نطق، وبهممها أنف، وبآدابها تسلح عليها فإن عرف خيرا ستره، وإن ظهر حقره، وإن احتمل

---

[١] رواه جابر بن عبد الله ، السلسلة الصحيحة للالباني ، برقم (٧٠٠)، وقال اسناده صحيح

[٢] دواه ابن حزم في المحلّى (٣٩/١١) ، ورواه ابن عبد الهادي في المحرر ، برقم (٣٩١)، ورواه ابن الملقن من رواية علي بن أبي طالب في البدر المنير (١٥٩/٩) ، ورواه ابن القيم في أعلام الموقعين (٢٣٢/٢).

[٣] ضحى الإسلام، مرجع سابق، ص٥٨.

[٤] المرجع نفسه، ص٥٤.

التأويلات صرفه إلى أقبحها، وإن سمع سوءا نشره... وإن لم يجده تخرصه) [1].
وكانت هذه النزعة من الشعوبية تهدف إلى سلب الحكم من العرب وتسليمه للأعاجم واعتمدت في ذلك على قاعدتين:

١-الأولى: إبراز مثالب العرب وتكبيرها.

٢-الثانية: إبراز فضائل العجم وتمجيدهم.

وقد اختلف الناطقون بالشعوبية بين عالم وأديب وشاعر منهم أبو عبيدة اللغوي المشهور ومنهم علان الفارسي وكان منقطعا إلى البرامكة ومنهم الكاتب الأديب سهل بن هارون.وكثر الشعر في هذا القرن من الأعاجم الذين تعلموا العربية فصاروا ينظمون في الفخر بنسبهم ويعتزون بقومهم، فافتتح ذلك بشار بن برد، الذي يعتبر أهم شاعر في العصر أوقد نيران الشعوبية وظل يمدها بحطب أشعاره وقد نسب نفسه من جهة أمه إلى الروم إذ يقول:

وقَيْصَـــــــــــرٌ خَـــــــــــالِي إذا عَـــــدَدْتُ يومـــــاً نَسَـــــبِي [2]

وإن صح ذلك كان فارسي الأب رومي الأم.

وكان هؤلاء الشعوبيون يبالغون في تصوير ما كان عليه الجاهليون وعرب البوادي من العيش الخشن ومن الغلظة، والأطعمة اليابسة الجافة وكيف أن العرب كانوا ولا يزال كثيرون منهم بدواً، رعاة أغنام وإبل، وأين هم من ملوك الأكاسرة والقياصرة، وأين هم من الحضارة والعلوم الفارسية والرومية. وفي ذلك يقول أبو نواس المتهم بالشعوبية:

فهـــذا العـــيشُ، لا عـــيشَ البـــوادي وهـــذا العـــيشُ لا اللـــبن الحليـــبِ

فـــأين البـــدو مـــن إيـــوانِ كســـرى وأيـــن مـــن الميـــادين الـــزُرُوبُ [3]

---

[1] رسائل البلغاء (كتاب العرب)، نشرها محمد كرد علي ، مطبعة البابي الحلبي ، سوريا ، ١٩١٣م ، ص ٢٧٠ .

[2] ديوان بشار ابن برد ، تحقيق محمد الطاهر عاشور ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٠م ، ص ٣٧٧.

[3] ديوان أبي نواس ، ط دار صادر بيروت لبنان ، ٢٠٠٨ م، ص ٢٦ .

وقد شعر العرب بخطورة موقفهم، ولكن لم يستطيعوا دفع الشر عنهم، ونجد في كثير من الشعر في ذلك العصر، ظلالا من الحسرة والألم، ونرى ذلك واضحا في شعر المتنبيء، فيألم وقد زار شعب بوان بفارس، من ضعف اللغة العربية فيقول:

مَغَــانِي الشِّــعْبِ طيبــاً فــي المغَــاني بِمَنْزِلَـةِ الرَّبيـع من الزَّمانِ

ولكنَّ الفتـى العربيَّ فيهـا غَرِيبُ الوَجْـهِ واليَدِ واللسانِ

مَلاَعِبُ جِنَّةٍ لَـوْ سَارَ فيها سُلَيْمـانُ لسَارَ بِتَرْجُمانِ [1]

ويقول في قصيدة أخرى يمدح فيها علياً بن إبراهيم التنوخي :

أحــــقٌّ عــــافٍ بِــــدَمْعِكَ الهِمَــــمُ أحْدَثُ شـيءٍ عَهْداً بها القِدَمُ

وإنما النَّاسُ بالمُلُوكِ ومـا تُفْلِحُ عُرْبٌ مُلُوكهـا عَجَمُ

لا أدَبٌ عنْــــــــدَهُمْ ولا حَسَــــــــبٌ ولا عُهُـودٌ لَهُمْ ولا ذِمَمُ

بكُـلِّ أَرْضٍ وَطِئْتُهَـا أُمَمٌ تُرْعَـى بِعَبْدٍ كأنَّها غَنَـمُ

يَسْتَخْشِنُ الخَزَّ حِينَ يَلْمُسُهُ وكـان يُبْرَى بِظُفْرِهِ القَلَمُ [2]

ولعل أسوأ ما أدت إليه هذه الشعوبية هو إفساد الدين بالزندقة وما اشتملت عليه من شك وإلحاد.

---

[1] شرح ديوان المتنبي ، وضعه عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٠م ، ج ٤،ص ٣٨٣-٣٨٤.

[2] المرجع نفسه ، ص ١٧٩- ١٨٠ .

ثانيا: **الزندقة**:

كلمة الزندقة في هذا العصر لم تكن تفهم على معنى واحد عند كل الناس، فمعناها في أذهان الخاصة والعلماء، غير معناها في أذهان العامة.

فقد كان العامة يطلقون على المستهتر (زنديقا) وكذلك الخليع والماجن المنهمك في الشراب، والواقع أن كثيرا من الشعراء في ذلك العصر أفرطوا في دعوة الناس إلى الفجور والإباحة وحملهم على الاستهتار. بل أنهم تعرضوا أحيانا للدين، فيسخرون ممن يقول بتحريم الخمر ومن يخوف بالنار وممن يذكر بيوم البعث وما فيه من حساب واشتد ذلك حتى وصل إلى ضرب من الإلحاد وكان أشدهم أبو نواس:

ومُلِحّـــةٍ بـــاللُّومِ تَحْسَـــب أنَّنـــي بالجَهْـلِ أُوثُـرِ صُـحْبَةَ الشُّـطَّارِ

بكَـــرَتْ علـــيّ تَلُـــومني فأَجَبْتُهـــا إنـــي لأعْـــرِفُ مَـــذْهَبَ الأبْـــرَارِ

فـدعِي المَـلام فقـد أطَعْـتُ غِـوايتِي وصَـــرَفْتُ مَعْرِفتـــي إلـــى الإنكـــارِ

ورأيـــتُ إتيـــاني اللـــذاذةَ والهـــوى وتعجُّـلاً مـن طِيـب هـذي الـدَّارِ

أحْـــرَى وأَحـــزمَ مـــن تَنَظُّـــر آجـــل علمي به رجمٌ من الأخْبارِ

مـــا جاءنـــا أحـــدٌ يُخَبِّـــر أنـــه فـي جنَّـةٍ مَـنْ مـات أو فـي النَّـارِ[1]

والذين كانوا يستمعون لهذا القول، يختلفون فيما بينهم فطائفة تسخط لمثل هذا وتحكم على قائله بالإلحاد والخروج من الدين وأخرى تراه نوعا من التملح على سبيل الفكاهة وعلى هذا الأساس شاع في ذلك العصر وصف الزنديق بالظرف. ففي الأغاني: أن محمد بن زياد كان يظهر الزندقة تظارفا فقال فيه ابن مناذر:

---

[1] تيارات ثقافية بين العرب والفرس، أحمد محمد الحوفي ، ط ٣، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ص١٥٣.

يـــا ابـــن زيـــاد، يـــا أبـــا جعفـــرٍ أظْهَـــرْتَ دِينـــاً غيـــر مـــا تُخْفِـــي

مُزَنْـــــدَقُ الظَّـــــاهرِ بـــــاللفظِّ فـــــي بـــــاطنِ إســـــلامٍ فتـــــىً عـــــفٍّ

لســـــــتَ بزنـــــــديقٍ ولكنَّمـــــــا أردْتَ أن تُوسَـــــــمَ بـــــــالظُّرفِ[1]

بهذه الصورة كان معنى الزندقة شائعا عند العامة وأشباههم، وعلى هذا المعنى قالوا: (إن علامة الزندقة شرب الخمر والرشا في الحكم ومهر البغي) [2].

وهناك معنى آخر للزندقة، كان يفهمه الخاصة والعلماء. ويعنون به اعتناق الإسلام ظاهرا والدين بدين الفرس القديم باطنا. هؤلاء كانوا يتزندقون تنزدقا علميا. (إذا كانت الشعوبية قد هدفت إلى إعادة مجد الفرس، فإن الزندقة هدفت إلى إعادة مجد الفرس، فإن الزندقة هدفت إلى إعادة دياناتهم كالمانوية والريصانية والدهرية وغيرها) [3].وبعبارة أخرى كان هؤلاء يدينون بدين المجوس عن علم ثم يتظاهرون بالإسلام تقية.

كانت الزندقة تطلق بالأكثر على المجوس أو الثنوية، أي أتباع زرادشت أو أتباع ماني الحكيم وكلاهما فارسيان، ومعروف أن الفرس قبل الإسلام كان مجوسا على دين زرادشت في منتصف القرن السابع قبل الميلاد له تعاليم ضمنها كتابه (الأفستا) وفيه زعم أن للعالم إلهين هما:

(أهورامزد) إله النور خالق كل خير، و(أهرمن) إله الظلمة خالق كل شر. وأن وراء الحياة حياة أخرى، إما نعيم أو جحيم حسب أعمال الشخص، وأن النار مقدسة طاهرة، مما جعل الفرس يقيمون لها المعابد في كل مكان.

---

[1] الأغاني، ج١٨، ص١٨٧.

[2] العقد الفريد، ج١، ص١٨٧.

[3] تأريخ الأدب العربي في العصر العباسي، مرجع سابق، ص٣٥.

وظهر في القرن الثالث الميلادي داع يسمى (ماني) (ماني بن فتق بابك بن أبي برزام من الحسكانية) [١]، واستخرج (ماني) مذهبه من المجوسية والنصرانية وقال إن مبدأ العالم كونان أحدهما نور والآخر ظلمة.

(المانوية طائفة من المجوس، أخذوا من المجوسية والنصرانية وقد كانوا ككل المجوس يعتقدون أن للخير إلها هو النور وأن للشر إلها هو الظلمة) [٢].

وقد مزج ماني في تعاليمه بين الزرادشتية والبوذية والنصرانية فأخذ من الأولى عقيدة إلهي النور والظلمة وأخذ من الثانية التناسخ وتحريم ذبح الحيوان والطيور وأخذ من الثالثة الزهد والنسك. وفرض على أتباعه صلوات وأدعية كثيرة، ولكن ظهر التعارض الواضح بين الزرادشتية والمانوية، عندما وقفت الأولى من الثانية موقف العداء عندما رأت في المانوية أداة لتخريب الكون لأنه يدعو للرهبنة وقطع النسل، بينما تدعو الزرادشتية إلى كثرة التناسل تعميرا للكون لذلك قامت بتصفية زعيمها جسديا ومن ثم أطلقوا على كل من اعتنق المانوية لقب (زنديق) أي خروجه عن دين آبائه وأجداده الزرادشتية.

وفي أواخر القرن الخامس الميلادي ظهر في إيران داع جديد هو مزدك ويسمى مذهبه (المزدكية) وهي تتفق مع المانوية والزرادشتية في الأثنية. وقد كان مزدك يأمر أتباعه (بتناول اللذات والانعكاف على بلوغ الشهوات، والأكل والشرب والمواساة والاختلاط وترك الاستبداد بعضهم على بعض ولهم مشاركة في الحرم والأهل، لا يمتنع الواحد منهم من حرمة الآخر ولا يمنعه، ومع هذه الحال، فيرون أفعال الخير، وترك القتل وإدخال الآلام على النفوس) [٣].

---

[١] الفهرست، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق المعروف بالنديم، شرح وتقديم يوسف علي طويل. وضع فهارسه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٢، ٢٠٢من ص٥٠٨.

[٢] تأريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتأريخ المذاهب الفقهية، الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ص١٤١.

[٣] الفهرس، ص٥٢٨.

و(المزدكية) كانت تحمل تناقضا واضحاً إذ أنها كانت تدعو إلى التهتك والإباحية إلى جانب حياة الزهد والتقشف (وهي بهذا قد أغرت –في حينها– كثيرا من الخلق ولكنها طوردت وطورد معتنقوها في غير ما هوادة ولا لين) [١].

إذاً الزندقة في هذا العصر هدفت إلى إعادة ديانات الفرس القديمة (وإذا كان كثير من الفرس قد أسلموا عن عقيدة وإيمان وحسن إسلامهم، فإن آخرين قد دخلوا في الإسلام لحاجة في نفس يعقوب وأظهروا الإسلام كارهين. وبقوا مقيمين لشعائر دينهم القديم متخفين) [٢]. قال الأستاذ جاكسون أستاذ اللغات الإيرانية الهندية في جامعة كولومبيا سابقا: (إن فتح المسلمين لفارس أشبه بفتح النورمان لإنكلترا. وما معركتا القادسية ونهاوند إلا مثالٌ لمعركة "هاستنغس")[٣]. وكأنه بذلك يعني أن العرب – وإن كانوا أخضعوا فارس وحكموا العنصر الفارسي– لم يستطيعوا أن يقتلوا الروح الفارسية الفكرية فبقيت متقدة في صدورهم تظهر كلما سنحت لها الفرصة، وقد جاءت الفرصة سانحة في هذا العصر حيث الحرية والتسامح الاجتماعي، مما مكن لحركات منحرفة متطرفة أن تزيد نشاطها وتوسع في طموحها الذي يرمي إلى إعادة الروح الفارسية في معتقداتها الفاسدة.

(إن بعض الفرس رأوا أن انتقال الخلافة من الأمويين إلى العباسيين لم يحقق مطالبهم. فقد انتقلوا من يد عربية وهي اليد الأموية إلى يد عربية أخرى هي يد العباسيين، ومطمح نفوسهم أن تكون الحكومة فارسية في مظهرها وحقيقتها، و في سلطتها ولغتها ودينها. ورأوا أن ذلك لا يتحقق والإسلام في سلطانه، فأخذوا يعملون لنشر المانوية والزرادشتية والمزدكية ظاهرا إن أمكن وخفية إذا لم يمكن، فكان من ذلك

---

[١] الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصداها في الأدب ، صالح بيلو، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، ص٣٥.

[٢] المرجع نفسه، ص٣٦.

[٣] Jackson, Early Persian Poetry, 1920, P.14 ، نقلاً عن أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، مرجع سابق .

فشو الزندقة) [١]. ومن أشهر المانويين الذين كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة بشار ابن برد (غير أن بشار مضى يعلن زندقته لا يزدجر مصرحا بأنه لا يؤمن إلا بالعيان وما شهده الحس) [٢].

(وروي أنه كان يفضل النار على الأرض ،ويصوب رأي إبليس في امتناعه من السجود لآدم عليه السلام ونسب إليه وقوله :

الأرضُ مُظْلِمَةٌ والنَّارُ مُشْرِقَةٌ والنَّارُ مَعْبُودةٌ مُذْ كانت النَّارُ [٣])

ومنهم أبو نواس الذي وردت له أبيات سابقة في الزندقة عنه يقول عاصم ابن حميد بن تميم الوراق:

رأيت أبا نواس؛ وهو في سراويل والناس يجرونه ويضربونه في قفاه بالنعال ويقولون: زنديق! ويرمونه بالحجارة[٤].

ومنهم أيضا حماد عجرد (وحماد من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، إلا أنه لم يشتهر في أيام بني أمية شهرته في أيام بني العباس وكان خليعا ماجنا، متهما في دينه، مرميا بالزندقة) [٥]. وعنه قال أبو نواس: كنت أتوهم أن حماد عجرد إنما رمي بالزندقة لمجونه في شعره، حتى حبست في حبس الزنادقة، فإذا حماد عجرد إمام من أئمتهم، وإذا له شعر مزاوج بيتين بيتين يقرؤون به في صلاتهم) [٦].

---

[١] ضحى الإسلام، أحمد أمين، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ج١، ص١٣٩.

[٢] الأغاني، ج٣، ص١٣٧.

[٣] خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي ، دار صادر ، بيروت، لبنان ، المجلد الأول ، الطبعة الأولى بدون تأريخ ، ص ٥٤١.

[٤] الأغاني، ج٢ (ملحق)، ص١٦١.

[٥] الأغاني، ج١٤، ص٣١٣.

[٦]المرجع نفسه ، ص٣١٧.

وهناك عبد الكريم بن أبي العوجاء (وكان عبد الكريم مانويا يؤمن بالتناسخ ويتخذ من سيرة ماني وسيلة لدعوته إلى الزندقة وتشكيك الناس في عقائدهم) [١].

وفي ذلك ما يصور جانبا من دس هؤلاء الزنادقة على الإسلام ومحاولة تشويه هديه الكريم[٢].

وعلى رؤوس الزنادقة في هذا العصر، يتقدمهم ابن المقفع الذي قتل في عهد المنصور. وفيه يقول المهدي: (ما وجدت كتاب زندقة قط إلا واصله ابن المقفع)[٣].

وأشهر من كان يرمى بالزندقة من الملوك والرؤساء (قيل البرامكة بأسرها، إلا محمد بن خالد بن برمك، كانت زنادقة وقيل في الفضل وأخيه الحسن مثل ذلك. وكان محمد بن عبيد الله كاتب المهدي زنديقا، واعترف بذلك فقتله المهدي)[٤].

ومن أبرز القواد الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الوثنية (الأفشين) أعظم قواد المعتصم الذي استمر يخفي في نفسه الكفر ولا يبديه في قوله إلى أن كشف سره بعض الزنادقة ووشوا به في ذلك في محاكمة الأفشين الشهيرة[٥] وإن صحت التهم التي نسبت إلى الأفشين، فإن هذا يدل على أن أولئك الزنادقة منهم من وصل إلى مرتبة القيادة والقوة.

---

[١] الفرق بين الفرق ، عبد القاهر بن طاهر البغدادي ، تحقيق إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، دار الجيل ، ١٩٨٧م، ص ٣٤٩ .

[٢] تأريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، مرجع سابق، ص٨٢.

[٣] الفهرست، مرجع سابق، ص٥٢٢.

[٤] انظر تأريخ المذاهب الإسلامية، ص١٤٣.

[٥] انظر تأريخ المذاهب الإسلامية، ص١٤٣.

المبحث الثاني
التيار اليوناني

إن الثقافة اليونانية تتمتع بثروة لا تقدر، وغنى عظيم في كل ما ينتجه العقل والعاطفة والذوق. في الفلسفة والرياضة والفلك وعلوم الطبيعة والحياة والطب، في الأدب والتأريخ، في السياسة وفي الفنون الجميلة. وأمدوا العالم بأفكارهم وآدابهم وعلمهم وأساطيرهم، وكان للثقافة العربية نصيب وافر من كل ذلك، إذ أن الثقافة اليونانية أهم ثقافة أثرت في الفكر العباسي ولكن عن طريق النقل والترجمة لا عن طريق اختلاط أصحابها بالعرب. (كان الجو الذي ظهرت فيه الحضارة العربية الإسلامية مشبعا بالنظريات اليونانية، فمنذ أن أغار الإسكندر على آسيا زاحفا إلى الهند، أخذت العلوم اليونانية تنتشر في الشرق) [١].

وتشبعت عقول المفكرين بمبادئ الفلاسفة الذين أنجبتهم بلاد اليونان. ولما نهض الرومان ومدوا برواقهم على شاطئ البحر المتوسط. قضوا على سيادة العنصر اليوناني السياسي، لكنهم لم يقضوا على مدينة اليونان، لأن الرومان أنفسهم كانوا يعدون اليونان أساتذة لهم في العلم والحضارة، فكان من العالم الروماني مركزان كبيران للحركات الفكرية: (أثينا في الغرب ومجرى الفلسفة فيها أدبي اجتماعي، والإسكندرية في الشرق ومجرى الفلسفة فيها ديني روحي) [٢]. وكان طلاب العلم يقصدون هذين المركزين للتبحر في العلوم والفلسفة حتى الرومان أنفسهم كانوا يؤمونهما لهذه الغاية.

وفي أوائل القرن السادس للميلاد اشتد اضطهاد الحكومة الرومانية على مفكري أثينا الذين كانوا يتشيعون للتعاليم اليونانية القديمة (الوثنية). فاضطر هؤلاء إلى هجرة الأوطان والضرب في رحاب الأرض، فساقتهم الأقدار إلى بلاط كسرى أنوشروان ذلك

---

[١] Huart, Histoire des Arabes, Paris, 1913, P.363. ، نقلاً عن أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، مرجع سابق .

[٢] Alexander, Short Hist. of Philsophy, P.117. ، نقلاً عن أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، مرجع سابق .

الملك الفارسي المحب للعلم والفلسفة، فأنزلهم على الرحبة والسعة (ولم يلبثوا أن أحدثوا في بلاده حركة فكرية جديدة ظهرت في مدرستي نصيبين وجند يسابور).[١]

وفي أوائل القرن السابع، شهدت بلاد الغرب مدينة دينية مركزها الحجاز لها من أسباب التقدم والحضارة، ولكنها انصرفت إلى تحصيل العلم والفلسفة، واتخذت في ذلك أساتذة ومفكري اليونان الذين كانت تعاليمهم قد ملأت العالم شرقا وغربا، ولاسيما تعاليم فيثاغورث وأفلاطون وأرسطو. وكان للمراكز الثقافية اليونانية أثر بالغ في نشر ثقافة اليونان، ومن أشهر هذه المراكز، الإسكندرية في مصر ثم جند يسابور في خوزستان وحران في شمالي العراق، الرها ونصيبين إلى غير ذلك من بلدان ما بين النهرين (وظلت هذه المراكز تؤدي دورها في نشر ثقافة اليونان وعلمهم إلى أن تم الاتصال بين رجالها وخلفاء العباسيين. فازدادوا من رجال هذه المراكز في ترجمة علوم الأوائل إلى العربية. وكان للسريان والنصارى في ذلك دورٌ كبيرٌ) [٢].

وفي هذا الجو اليوناني نشأت حياة العرب الفكرية مستمدة من الشرق روحها وعواطفها الدينية. ومستمدة من الغرب نظرياتها الفلسفية ومبادئها العلمية المبنية على المنطق والنواميس الطبعية على أن الذين تأثروا من أبناء العربية بالفكر اليوناني كانوا فرقتين[٣].

فرقة اعتمدت فلاسفة اليونان ولاسيما أرسطو، فشرحت أقوالهم وانصرفت إلى دراسة نظرياتهم استكشافا لأسرار الحكمة وسعيا وراء البحث العلمي. وهؤلاء المعروفون بالفلاسفة كالفارابي وابن سينا وابن رشد وإضرابهم.

وفرقة اعتمدت نظرياتهم وأساليبهم في النضال الروحي أو الكلامي وهم المتكلمون، وأولئك هم التواقون إلى الجدل والمناظرة فكانوا في حاجة إلى قوالب علمية منطقية تصب فيها أفكارهم فكان الإقبال على تراث المناطقة والمفكرين الإغريق.

---

[١] أمراء الشعر العربي في العصر العباسي ، مرجع سابق ، ص ٦٢.

[٢] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[٣] المرجع نفسه، ص٦٤.

وقد كانت الدولة العباسية، تعقد الصفقات لشراء الكتب وتدفع في سبيلها أغلى الأثمان. وقد بدأت هذه الصفقات الثقافية في عهد المنصور، فروي أنه بعث إلى ملك الروم في طلب كتب العلم فكان من جملة ما حمل إليه كتاب أقليدس ثم تتابعت جهود الخلفاء في طريق هذا التبادل الثقافي. ويشير[١] أبو الفرج الأصفهاني إلى قدوم رسل إمبراطور الدولة البيزنطية إلى بلاط الرشيد فسألوا عن الشاعر أبي العتاهية. وأنشدوا شيئا من شعره، وكان الرسول يحسن العربية، فلما نقل الرسول إلى الإمبراطور خير ما رأى وسمع كتب إلى الرشيد يسأله أن يوفد إليه أبا العتاهية وأن يأخذ فيه من الرهائن من يريد واعتذر أبو العتاهية.

لكن تنظيم هذه الصفقات الثقافية تم على أكمل وجه في عهد المأمون الذي سخر كل الإمكانيات، وطرق كل السبل ليعثر على الكنوز الفكرية الحبيسة في مكتبات القسطنطينية. وروى ابن النديم أن المأمون على اتصال بالإمبراطور البيزنطي ليو الأرمني فكتب إلى ملك الروم يسأله الإذن في إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة ببلد الروم فأجابه إلى ذلك فأخرج المأمون جماعة منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق، وسَلَماً صاحب بيت الحكمة وغيرهم (... وأنفذوا حنين بن إسحق وغيره إلى بلد الروم، فجاءهم بطرائق الكتب وغرائب المصنفات في الفلسفة والهندسة والموسيقى والأرثماطيقي والطب) [٢].

كانت أول عناية الخلفاء العباسيين موجهة إلى الطب والتنجيم والسبب في ذلك الحاجة الماسة إلى ذلك (كما أن ما شهده العصر العباسي من تطور تكنولوجي وحاجته إلى مزيد من المعرفة بالطب والرياضة والفلك، كان يدفع الخلفاء ورجال الدولة إلى الكشف عن الخبرات القديمة للإغريق والهنود والفرس وتطويرها لتوافق روح العصر) [٣].

---

[١] الأغاني، ج٣، ص١٧٩.

[٢] الفهرست، مرجع سابق، ص٢٩٨.

[٣] العالم الإسلامي في العصر العباسي، حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ، ص٢١٥.

احتاج الخليفة المنصور إلى الطب، لأنه كان كثير المرض ويشكو ذلك إلى المتطببين، كما أنه احتاج إلى التنجيم لأنه كان يعتقد أن هناك ارتباطا بين حركات النجوم وأوضاعها، وبين ما يحدث في عالمنا من نحس وسعد. ومن ذلك الحين صار الطب والتنجيم عملين رسميين، يتولاهما رجال رسميون. فجورجيوس بن جبريل بن بختيشوع صار طبيبا للمنصور واتخذ نوبخت الفارسي منجما له. ولما تولى المهدي اتخذ طبيبه عيسى الصيدلاني الملقب بأبي قريش واتخذ توفيل بن توما النصراني رئيساً لمنجميه. فلما تولى الرشيد اتخذ طبيبه بختيشوع بن جورجويس ويوحنا بن ماسويه النصراني، ولما استخلف المأمون كثر في بلاطه الأطباء والمنجمون.

وعليه نجد أن الطب والتنجيم أصبحا صناعتين يحميهما الخلفاء وكانت حاجتهم إليهما حاجة عملية، فالمنصور استشار المنجمين في اختيار الوقت الذي يبدأ فيه ببناء بغداد. والمهدي لما هم بالخروج إلى "ماسبذات" استشار توفيل بن توما النصراني المنجم. والمعتصم نصحه المنجمون ألا يغزو (عمورية) إلا في أيام نضج التين والعنب. فلم يصغ لقولهم، وغزاها، وفتحها وقال أبو تمام في ذلك بائيته المشهورة "السيف أصدق أبناء من الكتب".

أما علم النجوم، فأول من عني به في هذه الدولة، محمد بن إبراهيم الفزاري. فقد قدم على الخليفة المنصور رجل من الهند عالم بالحساب المعروف بالسندهند في حركات النجوم، فأمر المنصور بترجمة ذلك الكتاب إلى اللغة العربية، وأن يؤلف منه كتاب تتخذه العرب أصلا في حركات الكواكب، فتولى ذلك محمد بن إبراهيم الفزاري.

وكان علم النجوم يشمل ما يطلق عليه علم الهيئة والبحث عن التغيرات التي تحدث في الأرض بسبب مواقع النجوم وتأثيرها وكلا الأمرين كان عند اليونان وكلا الأمرين (التنجيم والفلك) عني به العباسيون، وأدى شغفهم بأحكام النجوم إلى تشجيع هذا العلم ومن ثم تشجيع الفلك الرياضي البحت، فرصدت الكواكب في عهد المأمون، وأصلحت آلات الرصد.

وإن أول علم اعتني به من علوم الفلسفة، علم المنطق وأول من اشتهر به في هذه الدولة عبد الله بن المقفع، الخطيب الفارسي، كاتب أبي جعفر المنصور.

(فإنه ترجم كتب أرسطاطاليس المنطقية الثلاثة التي في صورة المنطق وهي كتاب "قطاعورياس" وكتاب "باري أرميناس" وكتاب "أنو لوطيقا"[١]. وترجم مع ذلك الكتاب الهندي المعروف بكليلة ودمنة وهو أول من ترجم من اللغة الفارسية إلى العربية. وجاء في الفهرست (وقد كانت الفرس نقلت في القديم شيئا من كتب المنطق والطب إلى اللغة الفارسية، فنقل ذلك إلى العربية عبد الله بن المقفع وغيره) [٢].

وبالمقابل نجد تأثير الأدب اليوناني ضعيفا إذا ما قيس بتأثير العلم والفلسفة اليونانية. فقد ترجمت كتب كثيرة من اليونانية إلى العربية فيما يخص فروع العلوم الرياضية والطبية والفلسفة ولم تترجم كتب أدبية يونانية إلى العربية مع وفرة ما لليونان من كتب أدبية، وقد يرجع ذلك إلى أن الأدب اليوناني أدب وثني فيه آلهة متعددة وفيه عبادة أبطال، والذوق العربي ذوق مسلم لم يستسغ هذا النوع من الأدب الوثني.

---

[١] ضحى الإسلام، مرجع سابق، ص٢٦٩.

[٢] الفهرست، مرجع سابق، ص٣٩٦.

المبحث الثالث

الهند والأمم الأخرى

أولا: الهند:

وهي ثالثة الثقافات التي تعرف عليها العرب في هذا العصر وتأثروا بها، وصلة العرب بالهنود صلة قديمة، فقد كانوا على معرفة بهم منذ جاهليتهم وعاملوهم تجاريا. كما أصبحت السند بلدا إسلاميا وعرفت البصرة بأرض الهند. وانتقل الهنود رحالين إلى أرجاء العالم الإسلامي وحملوا معهم أفكارهم وثقافتهم.

زادت العلاقات التجارية والثقافية بين المسلمين والهند خلال العصر الأموي حيث فتح المسلمون السند، وزادت العلاقات قوة في عهد العباسيين "وفي عهد المنصور سنة ١٥٤هـ نقل العرب كتاب (السند هند) إلى العربية، وألف أبو إسحق إبراهيم بن حبيب الفزاري كتابا بناه على كتاب السند هند حول فيه سني الهنود النجومية إلى سنين قمرية وترجم كتاب (الأركند) وكتاب (الأزرجبهر) وهما في علم الفلك[١].

هذا ومن المعلوم أن هناك تعاملا واسعا بين التجار العرب والتجار الهنود، وكان العرب يبيعون السلع الهندية بأسمائها الهندية، وقد ورد بعضها في القرآن الكريم مثل (كافور) و(زنجبيل):

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً [٢] ﴾

﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا [٣]. زَنجَبِيلاً ﴾

على أن احتكاك العربية بالعقلية الهندية لم يبلغ كماله إلا بعد الإسلام. فإن امتداد العرب بالفتح الإسلامي قرب العناصر الهندية من العناصر العربية وجعل بينها علاقة كبيرة في التجارة والعلم والدين.

---

[١] حركة الترجمة وأعلامها، مرجع سابق، ص٤١.

[٢] سورة الإنسان، الآية(٥).

[٣] سورة الإنسان، الآية(١٧).

"وكان الفتح الإسلامي بابا لتسرب المبادئ الفلسفية الهندية إلى نفوس العرب، وقوام الفلسفة الهندية التي ظهر أثرها في تاريخ الفكر العربي الزهد والفناء الروحي، وقد انتشرت هذه المبادئ الروحية بانتشار البوذية في ولايات إيران الشرقية واحتكاكها هناك بالإسلام بعد الفتح[١] ".

إلى جانب ذلك نجد أن الأمة الهندية قد اشتهرت بنبوغها في ميدان الحكمة والطب والنجوم والحساب والرياضيات والصناعات والتماثيل والنحت. وفي الفهرست لابن النديم ذكر الكتب الهندية المشهورة والذين نقلوا منها إلى العربية ومنها كتب الطب والخرافات والأسمار والأحاديث والسحر والمواعظ والحكم، وجاء فيه نقلا عن الكندي "حكى بعض المتكلمين بأن يحيى بن خالد البرمكي بعث برجل إلى الهندي ليأتيه بعقاقير موجودة في بلادهم وأن يكتب له أديانهم فكتب له هذا الكتاب[٢] ".

وورد في الفهرست أيضا عن محمد بن إسحق:

"الذي عني بأمر الهند في دولة العرب يحيى بن خالد وجماعة البرامكة ويوشك أن تكون هذه الحكاية إذا أضفناها إلى ما نعرف من أخبار البرامكة واهتمامها بأمر الهند وإحضارها علماء طبها وحكمائها[٣]".

كما أن هنالك بعض الأفكار الهندية التي تسربت إلى العرب عن طريق الفرس. فقد اتصل الفرس بالهنود اتصالا وثيقا قبل الفتح الإسلامي وأخذوا الكثير من الثقافة الهندية وترجموها إلى لغتهم. "وقد امتد التأثير الهندي إلى الإلهيات والمقالات الأدبية والرياضيات والأدب وفي باب الإلهيات تركت نظرية الهنود في الأرواح وتناسخها وأن الأرواح لا تموت ولا تفنى وإنما هي أبدية الوجود لا سيف يقطعها ولا نار تحرقها ولا ماء يغطيها، ولكنها تنتقل من بدن إلى بدن. فقد تركت نظرية التناسخ هذه أثرا في بعض الفرق الدينية،وفي بعض قصص ألف ليلة وليلة، وعرف العلماء

---

[١] أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، مرجع سابق، ص٦٩.

[٢] الفهرست، مرجع سابق، ص٥٣٣.

[٣] المرجع نفسه ، والصفحة نفسها .

المسلمون مذهب السمنية[١] ". ونبي هذا المذهب اسمه بوداسف "وعلى هذا المذهب كان أكثر أهل ما وراء النهر قبل الإسلام وفي القديم. ومعنى السمنية منسوب إلى سمني وهم أسمى أهل الأرض والأديان... وقول لا، عندهم من فعل الشيطان، ومذهبهم دفع الشيطان[٢] ". لكن الإلهيات الهندية لم تترك إلا آثارا سطحية ولم تنفذ إلى أعماق الفكر العربي.

وكان الطب الهندي من المنابع التي وردها الطب العربي إلى جانب المنبع اليوناني. (فكان في بغداد أطباء هنود، وجلب يحيى بن خالد أطباء من الهند مثل منكة وبازيكر وقلبرقل وسندباذ) [٣].

(وكان في بغداد أطباء هنود، في الوقت ذاته الذي كان فيه أطباء يمثلون الطب اليوناني ومن هؤلاء الأطباء أيام الرشيد صالح بن بهلة) [٤].

ويقول صاحب الفهرست، إن من أسماء كتب الهند في الطب الموجودة بلغة العرب، كتاب (مسد) عشر مقالات، أمر يحيى بن خالد بتفسيره لمنكه الهندي ويجري مجرى (الكناش) وكتاب (استانكر) الجامع تفسير ابن دهن، كتاب (سيرك) فسره عبد الله بن علي من الفارسية إلى العربية، لأنه نقل أولا من الهندي إلى الفارسي[٥]. (وهكذا تعرف علماء العرب على طب اليونان وفارس والهند من خلال الترجمة واستوعبوه تماما) [٦].

ولكن الأثر العميق الذي تركته ثقافة الهند كان في الرياضيات والفلك. (ويبدو أن بعض الرياضيين الهنود وفدوا إلى بغداد في عهد المنصور وأنه كلف أحدهم

---

[١] العالم الإسلامي في العصر العباسي ، مرجع سابق ، ص ٢١٧ – ٢١٨.

[٢] الفهرست مرجع سابق ، ص ٥٣٢.

[٣]البيان والتبيين، مرجع سابق ، ص٧٨.

[٤] المرجع نفسه ، ص ٩٢.

[٥] الفهرست، مرجع سباق، ص٤٢١.

[٦] الموجز في تأريخ الطب والصيدلة عند العرب، تصدير وإشراف: محمد كامل حسين، القاهرة، ص٢٤.

باختصار كتاب الفلكي الهندي (برهمكت)، واستخرج منه كتابا أصبح أساس علم الفلك عند العرب) [١].

وقد أخذ بعض العرب الاصطلاحات الرياضية من الهنود كلفظ (الجيب) في حساب المثلثات، واقتبسوا الكثير من النظريات الهندية في الحساب والهندسة.

كما أخذ العرب عن الهنود نظام الترقيم بدلا من حساب الجمل الذي كانوا يستعملونها. أما الصفر فقد استعمله الهنود أولا ثم عرفه العرب (وكذلك كان الهنود يستعلمون "سونيا" أو الفراغ لتدل على الصفة، ثم انتقلت هذه اللفظة الهندسية إلى العربية باسم الصفر واستعملها الإفرنج) [٢].

كما أولع العرب بالقصص الهندي، ويقال إن أصل كليلة ودمنة هندي، نقل إلى الفارسية ثم نقل من الفارسية إلى العربية، وقصة سندباد هندية الأصل ترجمت إلى العربية. وعدد ابن النديم كتبا كثيرة للهند في الخرافات والأسمار والأحاديث ترجمت إلى العربية. وفي باب الحكم أخذوا عن الهند الشيء الكثير فكانت حكمة الهند أقرب إلى روح العرب وأحب أذواقهم، فهي أشبه بالأمثال العربية بجملها القصيرة ومعانيها العميقة. وامتلأت كتب العصر بالكثير من حكم الهند.

يقول ابن قتيبة "قرأت في كتاب من كتب الهند: شر المال ما لا ينفق وشر الأخوان الخاذل، وشر السلطان من خافه البريئ، وشر البلاد ما ليس فيها خصب ولا أمن[٣] ".

من ذلك نجد أن الثقافة الهندية قد تركت طابعا مميزا في مجال الأدب. (فعربت ألفاظ هندية كثيرة واقتبست بعض الآراء في الأدب والبلاغة) [٤].

---

[١] ضحى الإسلام، مرجع سابق، ج ١ ، ص٢٤٢.

[٢] حركة الترجمة وأهم أعلامها، مرجع سابق، ص٤٢.

[٣] عيون الأخبار، ابن قتيبة، ج١، ص٣.

[٤] ضحى الإسلام، مرجع سابق، ج١، ص٣٢٣.

والخلاصة أن مجرى الفكر العربي له روافد ثلاثة كبرى اليونان وهو أهمها ثم الفرس ثم الهند، وأن ما اكتسبه العقل العربي من هذه المصادر قد أيقظ فيه حركة قوية ظهرت ثمارها الفلسفية والعلمية في إبان التمدن الإسلامي.

ثانيا: **أهل الكتاب** (**اليهود والنصارى**):

وهؤلاء يعيشون في الدولة الإسلامية بجانب المسلمين ضمن عهود أكسبتهم حقوقا ومعاملات، فأعان ذلك على خلق جو من التسامح لم تعرفه الممالك البيزنطية آنئذ. وكان اليهودي والنصراني في الدولة الإسلامية يعيش متمتعا بممارسة طقوس ديانته دون تضيق من قبل المسلمين.

كما أن الإسلام أحل للمسلم أن يتزوج كتابية يهودية أو نصرانية وإن بقيت على دينها لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [1]، (فكان كثير من المسلمين يتزوجون يهوديات أو نصرانيات، ومنهن من تسلم ومنهن من تبقى على دينها. وكان هذا سببا من أسباب اتصال المسلمين باليهود والنصارى) [2].

ويؤكد شوقي ضيف هذه العلاقة في فترة العصر العباسي الأول: (وبذلك استطاع الإسلام – بتعاليمه السمحة– أن يحدث امتزاجا قويا بين العناصر المختلفة التي كانت تتألف منها الدولة العربية. وهو امتزاج لم يبلغه بامتلاك الأرض المفتوحة، وإنما بلغه بامتلاك القلوب، فإن الكثرة الكثيرة من الشعوب التي انبسط عليها سلطانه تسلم من بقوا على دينهم يشعرون تلقاء المسلمين وحكامهم بضرب من الأخوة الكريمة) [3].

هذا التسامح الكبير من الدين الإسلامي كفل حقوقا تمتع بها أهل الذمة في المجتمع الإسلامي و(بقيت تظهر كدافع رضى واطمئنان لعدة قرون وابتعدت بهم عن

---

[1] سورة المائدة، الآية(٥)

[2] ضحى الإسلام ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٣٢٣.

[3] تأريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، مرجع سابق ، ص ٩٠.

افتعال الفتن والأحداث التي تمزق شمل الأمة وعلى العكس من ذلك جعلت منهم طبقة فاعلة ومنتجة على مر العصور) [١]. إلا أنه يمكن استثناء بعض الفتن التي حدثت في أوساطهم ويرجع ذلك إلى: (تصرفات قلة من الخلفاء في مخالفة أحكام الشرع من أجل انتهاك حقوق غير المسلمين في بعض مناطق المجتمع الإسلامي الكبير) [٢].

على كل فقد خالط المسلمون اليهود والنصارى بل اتخذوا منهم أصدقاء، فقد أنشد أبو صالح مسعود بن قنديل الفزاري في ناس خالطهم من اليهود:

وَجَدْنا في اليهود رجالَ صِدْقٍ على ما كان من دِينٍ مُرِيبِ

لَعَمْرُك إنني وابْنَيْ غريض لِمثْلُ الماءِ خالطه الحليبُ[٣]

ويقول أيضا:

وإنَّني وإن كانوا نَصَارى أُحِبُّهم ويَرْتَاحُ قلبي نَحْوَهُم ويَتُوقُ [٤]

وهذا أبو نواس يحاور أبا عيسى وهو جبريل بن بختيشوع طبيب الرشيد وهو من النصارى:

سَألتُ أخي أبا عيسى وجبريلٌ له عَقْلُ

فقلتُ الخَمْرُ تُعجبني فقال كثيرُها قَتْلُ

فقلتُ له: فقدِّرْ لي فقال وقوله فَصْلُ

وجدتُ طبائعَ الإنسا نِ أربعةً هي الأصلُ

فأربعةٌ لأربعةٍ لكلِّ طبيعةٍ رِطْلُ[٥]

---

[١] مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، العدد الثالث عشر ، السنة السابعة ، مارس ٢٠٠٤م ، طهران ، ص ٥٦ ، مقال لحسن الزين

[٢] المرجع نفسه ، ص٥٨.

[٣] ضحى الإسلام، مرجع سابق، ج ١ ، ص٣٢٦.

[٤] المرجع نفسه ، والصفحة نفسها .

[٥] ديوان أبي نواس ، ط دار صادر ، ص ٣٠٧.

وكان يشارك في الحياة اليومية أصحاب الديانتين، النصرانية واليهودية. وموقف العرب من النصارى أنهم كانوا أقرب للعرب من اليهود مودة وأسلم صدورا. لأن اليهود طووا قلوبهم على عداوة الإسلام ورسوله الكريم منذ مقامه بين ظهرانيهم في يثرب على حين آوى نصارى الحبشة من هاجروا إليهم من أصحاب الرسول فرارا من اضطهاد قريش.

بينما كان نصارى بغداد ينهضون بالصناعات المربحة مندمجين في حياة الخلفاء والرعية، كان اليهود يحترفون الصناعات الرذيلة الحقيرة. "فمن النصارى كتاب السلاطين وأطباء الأشراف والعطارون والصيارفة، أما اليهود فمنهم الصباغون والدباغون والقصابون والعشابون وقد رسخ في ذهن العرب أنهم أقذر الأمم"[١].

ومن أشهر الأطباء النصارى في هذا العصر بختيشوع[٢] ابن جورجس، خدم هارون الرشيد وتميز في ايامه. ويأتي من بعد ابنه جبرائيل بن بختيشوع "كان مشهورا بالفضل، جيد التصرف في المداواة عالي الهمة، سعيد الجد، حظيا عند الخلفاء، رفيع المنزلة عندهم، كثيري الإحسان إليه"[٣].

وكان هنالك المترجمون النصارى الذين لعبوا دورا عظيما في نقل علوم الأوائل وترجمتها إلى العربية على نحو ما ورد ذكره في فصل سابق. ومن أشهر هؤلاء حنين بن إسحق، وكان طبيبا نسطوريا من مدرسة جند يسابور، ومن أنبه المترجمين، قسطا بن لوقا البعلبكي وكان مسيحيا من أصل يوناني. كما أن الخليفة المتوكل استعان بكتاب عالمين بالترجمة، يترجمون بين يديه وهو يتصفح ما ترجموا وفي مقدمتهم اصطفن بن بسيل[٤]. وخاتمة هؤلاء المترجمين أبو بشر متى ابن يونس، وكان من أصل يوناني وقد عني بترجمة جميع آثار أرسطو من المنطق وغير المنطق[٥].

---

[١] تأريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، مرجع سباق، ص٩٦.

[٢] معنى بختيشوع عبد المسيح، لأن في اللغة السريانية (البخت العبد ويشوع عيسى عليه السلام)، الفهرست، ص١٦٥.

[٣] الفهرست، مرجع سابق، ص١٦٧.

[٤] ابن أصيبعة، ص٢٦٢.

[٥] الفهرست، ص٤٢٩.

إلى جانب ذلك كان لكل من اليهودية والنصرانية ثقافة خاصة بها، قد تسرب الكثير منها إلى المسلمين. أهم منبع للثقافة اليهودية التوراة، وقد ذكرت في القرآن الكريم، ووصفت بأنها كتاب من كتب الله المنزلة ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [1].

وكلمة التوراة يستعملها المسلمون كثيرا للدلالة على كل الكتب المقدسة عند اليهود "وكان لليهود بجانب ذلك سنن ونصائح وشروح لم تنقل عن موسى عليه السلام كتابة، وإنما تداول نقلها شفاهة ونمت على تعاقب الأجيال، ثم دونت بعد، وهذا هو المسمى بالتلمود"[2].

وحول هذه الكتب الدينية، نسج كثير من الأدب اليهودي والقصص والتأريخ والأساطير. وقديما تسربت الثقافة اليهودية إلى من جاورهم من العرب، جاء في الحديث عن ابن عباس: "كان هذا الحي – من الأنصار – وهم أهل وثن مع هذا الحي من اليهود وهم أهل كتاب فكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم وكانوا يقتدون بكثير من فعلهم".

ويذكر أحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام[3]، أن أهم الطرق التي دخلت بها الثقافة اليهودية إلى المسلمين هي من دخل منهم في الإسلام ككعب الأحبار ووهب بن منبه. (ونرى نفرا منهم يسلمون منذ عهد الإسلام الأول ويذيعون كثيرا من الإسرائيليات التي دخلت في تفسير القرآن الكريم على نحو ما هو معروف عن كعب الأحبار ووهب بن منبه) [4].

ولعل أهم المعارف التي تأثرت بهم هي تفسير القرآن الكريم. فقد تشابه ذلك مع تفسير التوراة، خاصة في قصص الأنبياء، واختلف عنه في أن القرآن الكريم لا يتعرض لتفصيل جزئيات المسائل وإنما يتخير ما يمس جوهر الموضوع وموضع العبرة. فجاء المفسرون للقرآن ينقلون عن مسلمة اليهود ما جاء في كتبهم من شروح

---

[1] سورة المائدة، الآية(٤٤).

[2] ضحى الإسلام، مرجع سابق، ص٣٢٨- ٣٢٩ .

[3] ضحى الإسلام، مرجع سابق، ص٣٤٢.

[4] تأريخ الأدب العربي، ص٩٦.

قصص الأنبياء التي وردت في التوراة وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات والتي تعرف بالإسرائيليات. وكان منهم من أسلم بلسانه ولم يسلم بقلبه مثل عبد الله بن سبأ وقد لعب دورا واسعا في فتنة عثمان والتأليب عليه وإحداث أول فرقة في الإسلام.

وكان لليهود أثر غير قليل في بعض المذاهب الإسلامية كالمعتزلة. وروى صاحب العقد الفريد عن الشعبي أنه قال لمالك بن معاوية "أحذرك الأهواء المضلة، وشرها الرافضة، فإنها يهود هذه الأمة يبغضون الإسلام، كما يبغض اليهود النصرانية، ولم يدخلوا في الإسلام رغبة ولا رهبة من الله، ولكن مقتا بأهل الإسلام وبغيا عليهم وقد حرقهم علي بن أبي طالب... وذلك أن محبة الرافضة محبة اليهود قالت اليهود لا يكون الملك إلا في آل داود. وقالت الرافضة لا يكون الملك إلا في آل علي بن أبي طالب، وقالت اليهود لا يكون جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح المنتظر وينادي مناد من السماء ، وقالت الرافضة لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي وينزل بسبب من السماء، واليهود يؤخرون صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم وكذلك الرافضة ، واليهود لا ترى الطلاق الثلاث شيئا، وكذا الرافضة واليهود لا ترى للنساء عدة، وكذا الرافضة – واليهود تستحل دم كل مسلم وكذلك الرافضة، واليهود حرفوا التوراة وكذلك الرافضة حرفت القرآن. واليهود تنتقص جبريل وتقول هو عدونا من الملائكة، وكذلك الرافضة تقول غلط جبريل من الوحي إلى محمد بترك علي بن أبي طالب. واليهود لا تأكل لحم الجزور وكذلك الرافضة...) [1].

إلى جانب ذلك تنسب كثير من المسائل الكلامية والخلافات إلى المسلمين عمن أسلم من اليهود مثل النسخ والتشبيه والرجعة.

---

[1] العقد الفريد ، أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي ، تحقيق مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، المجلد الثاني ، ص ٢٤٩– ٢٥٠ .

وحق قول رسولنا الكريم: لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن! [١]

ودخلت كتب الأدب نصائح يهودية تروى عن أنبيائهم وصلحائهم، كالذي روي عن شعياء، قال لبني إسرائيل "إن الدابة تزداد على كثرة الرياضة لينا، وقلوبكم لا تزداد على كثرة الموعظة إلا قسوة، وإن الجسد إذا صلح كفاه قليل من الحكمة، كم من سراج أطفأته الريح، وكم من عابد أفسده العجب! يا بني إسرائيل اسمعوا قولي، فإن قائل الحكمة وسامعها شريكان، وأولاهما بها من حققها بعمله"[٢].

وعلى كل فقد كانت هناك ثقافة يهودية، بعضها صحيح علميا وبعضها غير صحيح، بعضها أخذ عن أهل العلم بالكتاب وبعضها أخذ عن عوام اليهود، وهذا وذاك نفذ منه إلى المسلمين شيء غير قليل. وتجادل اليهود والمسلمون كل يدعو إلى دينه ويقيم الحجة على صحته، فكان ذلك من أسباب انتشار الثقافتين. وقد حكت لنا الكتب الكثير من الجدل. من أقدمها ما روي عن أوس من بني قريظة، فقد أسلمت امرأته ودعته أن يسلم فأبى، وقال:

دَعَتْنِي إلى الإسلامِ يوم لَقِيتُهَا فقلتُ لها لا بَلْ تعالي تَهَوَّدِي

فنحن على تِوراة موسى ودِينِهِ وَنِعْمَ لَعَمْري الدينُ دينُ مُحَمّدِ

كلانا يرى أن الرَّشَادةَ دِينُهُ ومن يُهْدَ أبوابْ المراشِدِ يُرْشَدِ[٣]

كما كان للنصارى ثقافة دينية أهمها الإنجيل وما به من شروح وقصص وأخبار. وقد عرف المسلمون هذه الثقافة عن طريق انتشارها بين القبائل العربية، خاصة تغلب ونجران وكذلك عن طريق من أسلم من النصارى.

---

[١] رواه ابن أبي شيبه في مصنفهه عن عبد الرحمن ابن صخر ،برقم (٣٨٣٧٢)، واحمد بن حنبل في مسنده ، برقم (١٠٤٤٦) ، ورواه البخاري في صحيحة ، برقم (٧٣١٩)

[٢] ضحى الإسلام ، مرجع سابق ، ج ١، ص ٣٣٨ .

[٣] ضحى الإسلام ، مرجع سابق ، ص٣٣٨.

ومن جانب الأدب فقد تسرب بعض النصرانية إلى الأدب العربي، وذلك من وجوه عدة، منها أن بعض الشعراء كانوا نصارى أشهرهم الأخطل ومنه قوله:

لمّـــا رأَوْنـــا والصّـــليبَ طالعـــا ومـــارَ سَـــرْجسَ وســـمّاً ناقِعَـــا

وابصـــــروا رايَاتِنـــــا لوَامِعـــــا كـــالطّيرِ إذ تَسْـــتَورِدُ الشّـــرائِعا[1]

رد عليه جرير:

أفبالصـــليب ومـــارِ ســـرجس تتّقـــي شَـــهْبَاءَ ذات مَنَاكِـــبٍ جُمْهـــورا؟ [2]

ولكن أثر النصرانية في شعر الأخطل قليل لانصهاره في المجتمع الإسلامي، كقوله:

وقَـــدْ حَلفْـــتُ يمينـــاً غيَـــرَ كاذِبَـــةٍ بـــاللهِ رَبّ سُـــتورِ البيـــتِ ذي الحُجُـــبِ

وكُـــلِّ مُـــوفٍ بنَـــذْرٍ كـــان يَحْملُـــهُ مُضَـــرَّجٍ بِـــدِماءِ البُـــدْنِ مُخْتَضِـــبِ [3]

وفي العصر العباسي لم يشتهر كثير من النصارى بالشعر العربي وأشهرهم أبو قابوس فقد كان شاعرا نصرانيا من أهل الحيرة وكان منقطعا إلى البرامكة يمدحهم ويمنحونه فقد سأل جعفراً بن يحيى البرمكي ثوبا يلبسه يوم العيد في الكنيسة:

أبـا الفضـلِ لـو أبْصَـرْتَنا يَـوم عيـدِنا رأيـتَ مباهـاةً لنـا فـي الكنـائسِ

فـلا بُـدّ لـي مـن جُبـةٍ مـن جِبَـابكم طَيْلسـان مـن خِيـار الطّيـالسِ[4]

ولكن الأثر الكبير كان في جانب المواعظ، ففي العقد الفريد "قال عيسى عليه السلام للحواريين لا تنظروا في أعمال الناس كأنكم أرباب، وانظروا في أعمالكم كأنكم

---

[1] ديوان الأخطل ، تقديم وشرح كارين صادر ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط الأولى ، ١٩٩٩م ، ص ١٦٥.

[2] شرح ديوان جرير ، قدم له وشرحه تاج الدين شلق ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٥م ، ص ٣١٨ .

[3] ديوان الأخطل ، ط دار صادر ، ص ٣٩.

[4] ضحى الإسلام ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٣٤٨ .

عبيد فإنما الناس رجلان مبتلى ومعافى، فأرحموا أهل البلاء وأحمدوا الله على العافية". "ولقي رجل راهبا فقال يا راهب صف لنا الدنيا، فقال: الدنيا تخلق الأبدان وتجدد الآمال وتباعد الأمنية وتقرب المنية". وغيرها كثير.

وكان للرهبان المنتشرين في العالم الإسلامي أثر مهم في زهد الزهاد حينئذ. إذ كانوا يرون تقشفهم وخلوصهم للعبادة والنسك. ولعبت الأديرة دورا مهما في الحياة الدينية والاجتماعية وذلك من جانبين متناقضين فقد كانت رمزا للزهد والورع لزهاد المسلمين، ومرتعا خصبا للخليعين من الشعراء والأدباء ويجتمع إليهم أهل المجون، حيث تشرب الخمر وتعزف الأغاني، لأن الأديرة كانت تتخذ في أجمل المواقع وأحسنها. "وتنتشر أديار النصارى في أنحاء المملكة، وكانت غنية ببساتينها وخمورها واتصل الأدباء بها وأكثروا من القول فيها"[1]، مثل قول ابن المعتز:

يا ليالِيَّ بالمَطِيْرةِ والكَرْ ... خِ وديرِ السوسي بالله عُودي

كنتِ أنموذجات من الجنّةِ ... لكنها بغير خُلُودِ

أشربُ الرَّاحَ وهي تشرب عقلي ... وعلى ذاك كان قَتْلُ الوليدِ[2]

ومما لا شك فيه أن المسلمين اندمجوا في النصارى لهذا العصر اندماجا واسعاً وهو اندماج جعلهم يحتفلون بأعيادهم الدينية كعيد يوم السعانين عرف في العصر العباسي وما بعده، وقالت فيه الشعراء شعرا كثيرا:

يا شادناً رَامَ إذا مرَّ ... في السَّعانين قَتْلِي

يَقُولُ لي كيف أَصْبَحْتَ ... كيف يصبح مثلِي[3]

كما اتخذ المسلمون القبور مساجد تقليدا لليهود والنصارى وأبنية الأضرحة وإيقاد المصابيح والتوجه بالدعاء نحو القبور.

---

[1] ظهر الإسلام، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، ط٥، ١٩٦٩م، ج١،ص٨٢.

[2] ديوان ابن المعتز ، شرح مجيد طراد ، ط دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ج٢، ص ١٨٥.

[3] ضحى الإسلام ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٣٥٢.

من كل ما تقدم نرى تأثر المسلمين الكبير بعادات وتقاليد اليهود والنصارى التي كانت ضمن ثقافة ذلك العصر.

الفصل الثالث

أثر الثقافات الأجنبية في الأدب العباسي
العصر الأول (الشعر والنثر)

المبحث الأول

الشعر

أخذ الشعراء في العصر العباسي الأول يهجرون ألفاظ البادية ويعمدون إلى ألفاظ الحضارة السلسة، اللينة. كما أصبحت الجمل قابلة للتكيف بالمعاني الجديدة التي جاءت بها الحضارة، وكان التأثير كبيرا في الشعر، فبعد أن كان الشاعر يستعمل في وصفه كثيرا من الكلمات الحسية والتعابير المادية، فلا يتكلم إلا عن الصحراء والمرأة والأطلال والحروب، تحول مضمون الشعر واختلط بالمعاني الروحية والنفحات الفلسفية.

وقد نزع الشعراء في هذا العصر للتزود بجميع أنواع المعرفة وكانوا يجدون لذة عقلية في ذلك فأصبحوا يتمثلون كثيرا من الألوان الهندية والفارسية واليونانية ويحيلوها غذاءً شعريا بديعا.

"ومن الشواهد عليه كذلك أن شعراء العصر العباسي كانوا يطلعون على هذه المعارف والأفكار المترجمة ويعكفون على دراستها ثم ينقلونها إلى معان ومصطلحات إلى شعرهم"[١] وفي ذلك يذكر شوقي ضيف بأن أبا نواس قد تأثر في أشعاره بأفكار الثقافة الهندية"[٢]، ومن ذلك قوله في الخمر[٣]:

تُخُيِّـــــرَتْ والنجـــــوم وَقْـــــفٌ لـــم يـــتمكن بهـــا المـــدارُ[٤]

يريد أن الخمر تخيرت حين خلق الله الفلك.

---

[١] التيارات الأجنبية في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ط٢ ، عثمان موافي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ص١٣٤.

[٢] تأريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص١٤٨.

[٣] الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م، ج٢،ص٧٨٨.

[٤] المرجع نفسه، ص٧٨٨.

كما ظهر التعامل مع النجوم وذكرها كثيرا في أسفارهم في مثل قول أبي تمام في بائيته المشهورة في فتح عمورية :

عجائبـــاً زَعَمُـــوا الأيـــامَ مُجْفِلَـــةً عَـنْهُن فـي صَـفَرِ الأصْـفارِ أو رَجَـبِ

وَخَوَّفــوا النَّــاسَ مِــنْ دَهْيَــاء مُظْلِمَــةً إذا بــدأ الكوكــبُ الغَرْبِــي ذو الــذَّنَبِ

وصـــيَّروا الأبْـــرَاجَ العليـــا مُرَتَّبَـــةً مــا كــان مُنْقَلِبــاً أو غيــر مُنْقَلِــبِ[1]

وعن تأثر الشعراء بالعلوم الهندية، يذكر ابن قتيبة قول أبي نواس:

قُـــلْ لزهيـــر إذا حـــدا رشـــدا أَقْلِـــلْ أو أَكثْـــرِ فأنْـــتَ مِهْـــذَارُ

سَـــخُنْتَ مِـــنْ شِـــدَّة البُـــرُودةِ حـــ تـــى صِـــرْتَ عنـــدي كأنَّـــك النَّـــارُ

لا يَعْجَـــبِ الســـامعونَ مِـــنْ صِـــفَتِي كـــذلك الـــثَّلْجُ بـــاردٌ حـــارُ[2]

ويعلق بقوله: " وهذا الشعر يدل على نظر أبي نواس علم الطبائع، لأن الهند تزعم أن الشيء إذا أفرط في البرد عاد حارا مؤذيا، ووجدت في بعض كتبهم: لا ينبغي للعاقل أن يغتر باحتمال السلطان وإمساكه، فإنه إما شرس الطبع بمنزلة الحية إن وطئت فلم تلسع لم يغتر بها فيعاد وطئها أو سمح الطبع بمنزلة الصندل الأبيض البارد إن أفرط في حكه عاد حارا مؤذيا"[3].

وفي العقد الفريد يتمثل ابن عبد ربه بحكمة من (كليلة ودمنة) هي: (إن الحازم يكره القتال ما وجد بّداً منه، لأن النفقة فيه بالنفس والنفقة في غيره بالمال) وقد نقل أبو تمام هذا المعنى في شعره :

كـــم بِـــيْنَ قَـــوْمٍ إنّمـــا نَفَقَـــاتِهم مَـــالٌ وقَـــوْمٍ يُنْفِقُـــون نُفُوســـا[4]

---

[1] ديوان أبي تمام، تحقيق: محمد محي الدين، مطبعة صبيح ، طبعة محمد جمال ، ص ١٣٧ .

[2] الشعر والشعراء ، ابن قتيبة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٢م، ج٢، ص٧٩١-٧٩٢.

[3] المرجع نفسه ، ص ٧٩٢.

[4] العقد الفريد، ج ١ ، ص ١٢٧ .

وغيرها من الحكم الأجنبية التي جاء بعضها في ثنايا الكتب العلمية الفلسفية المترجمة قد تسربت إلى الأدب العربي فصاغها كثير من شعراء العصر في شعرهم وتمثلوا بها في حياتهم وفي أدبهم.

وقد تأثر أبو العتاهية بالحكم الهندية فكتب "ذات الأمثال"، "وهي أرجوزة مزدوجة لأن كل بيت فيها مثلٌ يضرب" :

حَسْبُكَ مما تَبْتَغِيْه القُوتُ ... ما أكثَرَ القُوتَ لِمَنْ يموتُ

الفَقْرُ فيما جَاوزَ الكِفَافَا ... ما اتَّقَى اللهَ رَجَا وخَافَا

هي المَقَادِيرُ فَلُمْنِي أو فَذَرْ ... إن كنتُ أخطأتُ فما أخطأ القَدَرُ

لكلِّ ما يُؤذِي وإن قَلَّ أَلَم ... ما أطولَ اللَّيلَ على مَنْ لَمْ يَنَمْ

ما انْتَفَعَ المرءُ بِمِثْلِ عَقْلِ ... وخير ذُخْرِ المرءِ حسن فِعْلِهِ [1]

ويصور أبو العتاهية في بعض شعره؛ الزاهد الناسك في صورة بوذا إذ يقول[2]:

يا مَنْ تَشَرَّفَ بالدُّنيا وزينَتِهَا ... ليس التَّشرُّف رَفْعُ الطِّينَ بالطِّينِ

إذا أرَدْتَ شَرِيْفَ النَّاس كلهم ... فانْظُرْ إلى ملكٍ في زي مسكينِ[3]

ومعروف أن بوذا – عند الهنود – كان ملكا أو ابن ملك خلع ثيابه ملكا وساح في العالم عابدا ناسكا.

---

[1] الأغاني، ج٤، ص٤٠، الهامش.

[2] المرجع نفسه، ص٤٠.

[3] تأريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص٢٤٢.

كما أثرت الثقافة اليونانية في شعر وشعراء هذا العصر، وكانت أكثر عمقا، فقد فتحت أمامهم ساحات للفكر الفلسفي وأيقظت فيهم روح استكشاف المعاني واستخراج ما دق منها. وكان ما ترجم من مراثي اليونان للإسكندر المقدوني عند وفاته أثراً في شحذ أذهان الشعراء، وقد نقل منها أبو العتاهية أطرافا إلى مراثيه في صديقه علي بن ثابت. "من ذلك أن أحدهم وقف عند رأسه وقال: سكنت حركة الملك في لذاته وقد حركن اليوم في سكونه جزعا لفقده، فأخذ هذا المعنى أبو العتاهية قائلا :

يـــا علـــيُّ بـــن ثابـــتِ بَـــانَ مِنِّـــي صـــاحبٌ جَـــلَّ فَقْـــدَهُ يـــوم بِنْتَـــا

قـد لَعَمْـري حَكَيْـتَ لِـيْ غُصَـصَ المـو تِ وحرَّكْتَنِـــي لهـــا وسَـــكَنْتَا [1]

وقال فليسوف آخر: "الإسكندر كان أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمـــس[2] " فتمثـــل أبـــو العتاهيـــة ذلـــك المعنـــى فـــي رثـــاء صـــديق لـــه:

بَكَيْتُـــكَ يـــا علـــيُّ بِـــدُرِّ عِيْنِـــيْ فَلَـــمْ يُغَـــنِ البُكـــاءُ عليـــك شـــيَّا

طَوَتْـــكَ خُطُـــوبُ دَهْـــرِكَ بعـــد نَشْـــرٍ كـــذاك خُطُوبُـــهُ نَشْـــراً وطَيَّـــا

كَفَـــى حُزْنَـــاً بِـــدَفْنَكَ ثُـــمَّ إنِّـــي نَفْضَـــتُ تُـــرابَ قَبْـــرِكَ مِـــنْ يَـــدَيَّا

وكانـــت فـــي حَيَاتِـــكَ لِـــيْ عِظَـــاتٌ وأنـــت اليـــومَ أَوعَـــظُ مِنْـــكَ حَيَّـــا[3]

وعلى كل حال فهذه الأفكار اليونانية، التي انتقلت إلى البيان العربي من خلال ما ترجم من كتب أرسطو المنطقية دليل واضح على الدور الفاعل الذي لعبته هذه

---

[1] الأغاني، مرجع سابق، ج٤، ص٤٤.

[2] تأريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ص١٥١.

[3] البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ١٩٦٨م، ج ١ ، ص٢١١.

الكتب العلمية والفلسفية بوجه خاص في نقل التيارات الأجنبية إلى الأدب العربي، والشعر في هذه الفترة.

ولعل أهم فئة تأثرت بما ترجم عن اليونان، هي فئة شعراء المعتزلة، فقد تشبعوا بالفلسفة اليونانية حتى ألموا بكل جوانب المعاني الحسية والعقلية، وذلك بمحاورة أصحاب الملل والنحل في المساجد، مستنبطين آراء فلاسفة اليونان. وكان لهذه الفرقة شعراء تغذت عقولهم بالمنطق والفلسفة، أشهرهم العتابي، بشر بن المعتمر، والنظام، وهؤلاء استخلصوا الثقافات الأجنبية من فلسفة مترجمة إلى فلسفة إسلامية "حتى تحول الاعتزال في هذا العصر كنزا فلسفيا سائلا ما يزال يرفد الفكر العربي بدرره وجواهره، وتحول شباب الشعراء وغيرهم يستمدون منه عتادا لعقولهم ومادة خصبة لخواطرهم"[١].

وممن تغلغلت في أشعارهم كثير من الطوابع العقلية الدقيقة، بشر بن المعتمر ويصور ذلك إذ يقول :

لله درُّ العَقْـــــلِ مِـــــنْ رائـــــدٍ وصَـــاحِبٍ فـــي العُسْـــرِ واليُسْـــرِ

وحـــــاكمٍ يَقْضِـــــي عَلَـــى غائِـــبٍ قَضِـــــيَّة الشـــــاهدِ للأمْـــــرِ

وإنْ شَـــــيْئاً بَعْـــــضُ أفْعالِـــــهِ أنْ يُفْصِـــل الخَيْـــرِ مـــن الشَّـــرِ

لـــذو قـــوى قـــد خَصَّـــهُ رَبَّـــهُ بخَـــالصِ التَّقْـــدِيسِ والطُّهْـــرِ[٢]

فالشاعر هنا قد سخر عقله في الرد على أصحاب النحل بآراء جديدة يدعمها العقل بأدلته وبراهينه.

---

[١] العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص٤١٥.

[٢] الحيوان، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، ص٢٩٢.

والعتابي، من الذين شغفوا بالاعتزال، وكان في شعره يصور المعاني ويصوغها معرضا المعنى في معارض مختلفة يساعده في ذلك عقله الاعتزالي الخصب من مثل قوله :

إمـــامٌ لـــه كـــفٌّ يَضُـــمّ بنانهـــا عصا الدينِ ممنوعاً من البرْي عُودُها

وعـــيْنٌ مُحـــيطٌ بالبريَّـــة طَرْفُهـــا ســـواءٌ عليـــه قُرْبهـــا وبَعِيُـــدها

وأصْـــمَعُ يقظـــانٌ يبيـــتُ مُناجِيـــاً لـــه فـــي الحشـــا مســـتودعاتٌ يكيـــدُها

ســـميعٌ إذا نـــاداهُ فـــي قَعْـــرِ كُرْبَـــةٍ مُنَـــادٍ كَفَتْـــهُ دعـــوةٌ لا يعيـــدُها[١]

ومنهم النظام، وعنه قال أبو نواس:

فَقُلْ لمَنْ يَدّعي في العِلْم فَلسفَةً

حَفِظْتَ شيئاً وَغَابتْ عنك أشياءُ [٢]

ويقول عنه ابن النديم[٣]: " ذهب في شعره مذهب الكلام الفلسفي، وكان مع ذلك حسن البلاغة، مليح الألفاظ، جيد الترسل". من شعره:

أُعاتِبهُ صَفْحاً وأَعْرِضُ بالتي

لها بين أحناء القبول دَبيبُ

أخافُ لجاجاتِ العتابِ واشتكى

وللجَهْلِ في قَلْبِ الحليمِ نَصِيْبُ

أذلُّ له كأني بذَنْبِهِ إليّ

بِذَنبٍ لي إليه أتوبُ[٤]

---

[١] البيان والتبيين، مرجع سابق، ص٤٣.

[٢] ديوان أبي نواس ، طبعة دار صادر ، ص ٧.

[٣] الفهرست، مرجع سابق، ص٢٨٨.

[٤] المرجع نفسه، ص ٢٨٩ .

ومن شعراء هذا العصر، ممن تأثر بأفكار المعتزلة العقدية الحسن بن هانئ، المعروف بأبي نواس "وكان أبو نواس يصدر عن فكرة المرجئة في حواره للنظام ... ومما كان يحاوره فيه أبو نواس فكرة صدق الوعد والوعيد على الله وهي إحدى الأفكار الأساسية في عقيدة المعتزلة"[١]. فقال في إحدى خمرياته:

فَقُلْ لمَنْ يَدّعي في العِلْم فَلسفَةً حَفِظْتَ شيئاً وَغَابتْ عنك أشياءُ

لا تَحُظر العَفوَ إنْ كنتَ امرَأ حَرِجاً فإنْ حَظْرَكَهُ بالدّينِ إزْرَاءُ[٢]

كما أكسبت مجالس المعتزلة عقل أبي نواس بكثير من المعاني الجديدة والأخيلة المبتدعة مثل:

لا أَزودُ الطّيْرَ عن شجَرٍ قَدْ بلوْتُ المرّ من ثَمرِهْ

خْفتُ مأثورَ الحديثِ غداً وغدٌ دانٍ لمُنْتَظِرهْ[٣]

ومثل هذه الصور، كثيرة في شعر أبي نواس، متأثرا بطبع المعتزلة وحججهم والتجريد في تفكيرهم. وهذه المعاني الجديدة لم تكن معروفة في الشعر العربي قبل هذا العصر.

أما الثقافة الفارسية، فقد أثرت كثيرا في الشعر والشعراء، وكان تأثيرها أكبر من أثر الثقافة الهندية واليونانية وذلك لأن كثيراً من شعراء هذا العصر كانوا يجيدون اللغة الفهلوية، فضلا عن أن كثيرا منهم كان ذا أصول فارسية.

وقد ترجمت أمثال بزر جمهر الوزير الفارسي إلى اللغة العربية، وتناولتها كتب الأدب، ونقل الشعراء معانيها الدقيقة كقوله: "إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق فإنها لا

---

[١] العباسي الأول، مرجع سابق، ص١٥٥.

[٢] ديوان أبي نواس ، طبعة دار صادر ، ص ٧.

[٣]ديوان أبي نواس ، طبعة دار صادر ، ص ١٨٩.

تغني، وإذا أدبرت عنك، فأنفق فإنها لا تبقى"[١]. وقد أخذه بعض الشعراء وزاد عليه قائلا :

فأنفقْ إذا أنْفقتَ إنْ كنتَ موسراً

وأنفِقْ – على ما خيّلتْ – حين تُعْسِرُ

فلا الجُودُ يُفْني المال والجَدُّ مقبلٌ

ولا البُخْلُ يُبْقي المال والجَدُّ مُدْبِرُ[٢]

وكان للمفاهيم العقدية السائدة في بلاد فارس، أثر كبير على شعراء هذا العصر – قد وردت تلك العقائد في فصل سابق – فمن هؤلاء الشعراء، أبو العتاهية الذي تأثر بعقيدة المانوية، عندما اتجه إلى حياة الزهد، فأدخل في قصائده كثيراً من أفكار تلك العقيدة من مثل قوله:

لكل شيء معدنٌ وجوهرٌ وأوسطٌ وأصغرٌ وأكبرُ

وكلُّ شيءٍ لاحقٌ بجوهرِهِ أصغره متصلٌ بأكبرِهِ

الخيرُ والشَّرُّ هما أزواجْ لذا نتاجٌ ولذا نتاجْ

لكل إنسان طبيعتانْ خيرٌ وشرٌّ وهما ضدانْ

والخَيْرُ والشَّرُّ إذا ما عُدا بينهما بونٌ بعيدٌ جدّا[٣]

---

[١] عيون الأخبار، ابن قتيبة، مطبعة دار الكتب، ج٣،ص١٧٩.

[٢] المرجع نفسه ، ص ١٧٩ .

[٣] ديوان أبي العتاهية ، تحقيق لويس شيخو ، ط بيروت ، ١٩٢٧م ، ص ٣٨٦.

وقد دفعته صلته بالمانويين إلى الاطلاع الواسع على الآداب الفارسية، ونَقْلِ كثيرٍ من حكمها إلى أشعاره، ومن خير ما يصور ذلك قصيدته (ذات الأمثال) التي صور فيها نظرية الخير والشر المانوية، التي منها الأبيات السابقة.

ولعل من أشهر شعراء هذا العصر، ومن كانت للثقافة الأجنبية أثر كبير في شعره بشاراً بن برد، لا سيما وأنه فارسي الأصل. وعن أصله يقول صاحب الأغاني "هو بشار بن برد بن بهمن بن ازدكرد بن شروستان بن بهمن بن دارا بن فيروز"[١].

هذا الشاعر أثرى الشعر العربي بكثير من المعاني والمفردات الأجنبية، إلى جانب المعتقدات الفاسدة، فقد كان متهما في دينه فأدخل في شعره شيئاً من إلحاده:

الأَرْضُ مُظْلِمـــــةٌ والنَّـــــارُ مُشْـــــرِقَةٌ والنَّــارُ مَعْبــودةٌ مُــذْ كانــتِ النَّــارُ[٢]

كما أن بشارا أدخل في شعره كثيراً من الأفكار الشعوبية، وهي من الثقافات الوافدة في ذلك العصر، التي لم تعرفها الجزيرة العربية كما ورد ذكرها في فصل سابق، ومن ذلك قوله:

ودَعـــــــاني مَعْشَـــــــرٌ كُلُّهُـــــــمُ حُمُـــــقٌ دَامَ لَهُـــــم ذَاكَ الحُمُـــــقْ

لـــيس مِـــنْ جُـــرْمٍ ولكـــن غَـــاظَهُم شَـــرَفي العَـــارِضُ قَـــدْ سَـــدَّ الأُفُـــقْ[٣]

وكان يتبرأ من ولائه للعرب، ويحض الموالي على نبذ ولائهم في قوله:

أصبحتُ مولى ذي الجلالِ وبعضُهم

---

[١] الأغاني، ج٣، ص١٢٧.

[٢] المرجع نفسه، ص١٢٩.

[٣] ديوان بشار ابن برد ، تقديم إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط الأولى ٢٠٠٠م ، ص ٣٩٢.

مولى العَرِيب فجد بفضلك فافخر

مولاك أكرمُ من تميمٍ كلها

أهلُ الفعالِ ومن قريش المِشْعَرِ

فارجع إلى مولاك غير مُدافعٍ

سبحان مولاك الأجلّ الأكبرِ[١]

كذلك قال المتوكلي وهو من شعراء الخليفة المتوكل ونديمه:

أنــا ابــنُ الأكــارِم مِــنْ نَسْــلِ جَــمْ[٢] وحـــــائزُ إرثِ ملـــــوكِ العجـــــمْ

ومُحـــــي الـــذي بـــادَ مـــن عِـــزّهم وعَفَـــى عليـــه طـــوال القِـــدَمْ

وطالـــــــبُ أوتـــــــارَهم جَهْـــــرةً فَمَـــنْ نَـــامَ عـــن حَقّهـــم لَـــمْ أَنَـــمْ[٣]

أما أبو نواس فقد تهجم على العرب بطريقة أخرى، هي سخريته من الشعراء العرب في تقديم قصائدهم بالبكاء على الأطلال ووصف الدابة والرحلة والغزل ويدعو إلى بدء القصائد بالخمريات:

عـــاجَ الشّـــقي علـــى رســـمٍ يُســـائِلُه وعُجـــتُ أســـألُ عـــن خمّـــارةِ البلـــدِ

يبكـــي علـــى طلـــلِ الماضـــين مـــن أســـدِ لا درَّ درّكَ قُـــلْ لـــي مـــن بنُـــو أسَـــدِ؟

لا جـفَّ دَمْـعُ الـذي يبكـي علـى حَجَـرٍ ولا صَـفَا قَلْـبَ مـن يصـبو إلـى وَتَـدِ

كـم بَـيْنَ ناعـتٍ خَمْـراً فـي دَسَـاكِرِها وبـين بـاكٍ علـى نـوْءِى ومُنْتَضَـدِ[٤]

---

[١] معجم الأدباء، ياقوت الحموي، طبعة الدكتور فريد رفاعي، ج١،ص٣٢٣.

[٢] جم: يعني جمشيد ملك الفرس، (تيارات ثقافية، ص١٥٤، الهامش).

[٣] تيارات ثقافية ، مرجع سابق ، ص ١٥٤ .

[٤] ديوان أبي نواس، المطبعة العمومية، مصر، ١٨٩٨م، ص٢٦٦.

وقوله:

لا تبْــكِ ليلـــى ولا تطــرَبْ إلـــى هنـــدِ وأشــرَبْ علــى الــوردِ مــن حمــراءَ كــالوردِ[1]

وقوله:

صِـــــفَةُ الطُّلِـــــول بلاغـــــةُ القِـــــدْمِ فاجعَــلْ صِــفاتكَ لابنَــةِ الكــرْمِ[2]

وهنالك من كان يفاخر بنسبه الفارسي، ويخلطه أحيانا بفخره بالإسلام من مثل قول مهيار الديلمي :

وأبـــــي كســـــرى عـــــلا إيوانُـــــهُ أيــن فــي النّــاسِ أبٌ مثْــلُ أبــي؟

قــد قَبَسْــتُ المجْــدَ مــن خيــرِ أبِ وقَبَسْــتُ الــدّينَ مــن خيــرِ نَبِــي

وَضَـــمَمْتُ الفَخْـــرَ مِـــنْ أطْرَافِـــهِ سُــؤْدَدُ الفُــرْسِ ودِيــنُ العَــرَبِ [3]

العادات والتقاليد الأجنبية:

هنالك العديد من العادات والتقاليد الأجنبية التي وثقها شعر ذلك العصر، ومعظمها فارسي الأصل، لأنها ذات صلة وثيقة بالديانات الفارسية القديمة، ورغم ذلك أخذ العرب المسلمون يتأثرون بها شيئا فشيئا حتى جاء العصر العباسي فعظم تأثرهم بها.

من هذه العادات، الاحتفال بعيدي النيروز والمهرجان. والنيروز كلمة فارسية معناها اليوم الجديد، وهو يوافق أول الربيع.

---

[1] ديوان أبي نواس، مرجع سابق، ص٢٦٥.

[2] المرجع نفسه، ص٣٢٣.

[3] التيارات الأجنبية، مرجع سابق، ص١٥٤.

"والنيروز أعظم أعياد الفرس وأجلها، ويتميز على عيد المهرجان بأنه استقبال السنة، وافتتاح جباية الخراج، وزمن توليه العمال واستبدالهم وضرب الدراهم والدنانير، وتزكية بيوت النيران..." [1].

وقد وردت شواهد كثيرة في شعر العصر، تكشف بوضوح عن انتشار هذا العيد بكل طقوسه في البيئة العباسية من ذلك قول أبي نواس:

يباكرُنَا النّوْروزُ في غَلَسِ الدُّجى بِنَوْرٍ على الأغصَانِ كالأنجمِ الزُّهرِ
يلوحُ كأعلام المَطارِفِ وشيُهُ من الصّفرِ فوق البيضِ والخُضرِ والحمرِ
إذا قابَلَتْهُ الرّيحُ أومَا برأسِهِ إلى الشّربِ أن سُرّوا ومالَ من السّكرِ [2]

وهذا ابن الرومي مهنئا ممدوحه بهذا العيد المجوسي:

يومُ الثَّلاثَاء وما يومُ الثَّلاثَاء في ذَرْوةٍ من ذُرا الأيامِ عليَاءِ
كأنَّما هو في الأسبوعِ واسطةٌ في سَمْطِ درٍّ يُحَلِّي جيد حسناءِ
ما طابق اللهُ نيروزَ الأميرِ به إلا لتلقاه فيه كّل سرَّاءِ

إلى أن يقول:

فاسْعَدْ بنيروزِكَ المَسْعودِ طالعُه يابنَ الأكارِمِ في خَفْضٍ ونَعْمَاءِ
واعطِ نَفْسَكَ فيه قِسْطَ راحتِهَا إنَّ العُلا ذات أثقالٍ وأَعْبَاءِ
قِدْ كان عِيداً مَجُوسيّا فشرَّفهُ مَلْهَاكَ فيه وما تَلْهُو بِفَحْشَاءِ [3]

---

[1] التاج في أخلاق الملوك، الجاحظ، تحقيق: أحمد زكريا باشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ص١٤٦.

[2] ديوان أبي نواس، ص٢٢٢-٢٢٣.

[3] ديوان ابن الرومي، شرح: محمد شريف سليم، ج١، ص٣٦./ ط دار الكتب العلمية ، ص ٣١-٣٢.

وأيضا قول البحتري في مدح الهيثم الغنوي :

أَتَاكَ الرَّبِيعُ الطَّلْقُ يَخْتَالُ ضَاحِكاً

مِنَ الحُسْنِ حتَّى كَادَ أنْ يَتَكلَّمَا

وَقَدْ نَبَّهَ النيروزُ في غسقِ الدُّجَى

أَوَائِلَ وَرْدٍ كُنَّ بالأَمْسِ نُوَّمَا[١]

ومن الأعياد الفارسية التي دخلت المجتمع العباسي، عيد المهرجان وهو عيد يأتي بعد النيروز "وهو الأيام الستة الأوائل من أول شهرهم وهو يوافق أول الخريف، فالنيروز استقبال الربيع، والمهرجان استقبال الخريف"[٢].

ويختلف المؤرخون في سبب تسميته بهذا الاسم، فالمسعودي يرى أن سبب التسمية أن الفرس كانوا يسمون شهورهم بأسماء ملوكهم، وكان لهم ملك يسمى مهر وكان يأخذهم بالعنف والشدة فمات في نصف الشهر الذي يسمونه مهرماه، فسمى ذلك اليوم مهرجان أي نفس مهر ذهبت[٣].

ويرى آخرون أن سبب ذلك يرجع إلى انتصار أفريدون على الضحاك في اليوم الأول من شهر مهر، فاحتفلوا به وجعلوه عيدا وأطلقوا عليه اسم: مهرجان، ومعناه إدراك الثأر أو حفظ الروح فمهر تعني حفاظ وجان الروح[٤].

وفي هذا المعنى يقول عبد الله بن طاهر :

إذا مـــــا تَحَقَّـــــق بالمَهْرجَـــــا نِ مــن لــيس يَعْــرِفُ معنــاهُ غَاظَــا

---

[١] ديوان البحتري، مطبعة الجوائب بالقسطنطينية، ١٣٠٠هـ، ص٢٣٤.

[٢] التيارات الأجنبية في الشعر العربي، مرجع سابق، ص١١٢.

[٣] مروج الذهب، المسعودي، مرجع سابق، ج٢،ص١٠٣

[٤] نهاية الإرب في فنون الأدب، النويري، ط دار الكتب المصرية، ١٩٣٥م، ص١٨٧.

ومعنـــاهُ أَنْ غَلَـــبَ الفُـــرْسُ فيـــه فَسَّـــموه للـــرّوحِ حَقّـــاً حِفَاظَـــا [1]

وعلى كل فقد أثر هذا العيد برسومه وتقاليده في المجتمع العباسي، وظهر التعامل به واضحا في طبقة الأمراء والخلفاء وعامة الشعب. وقد وردت شواهد كثيرة عليه في شعرهم، منها قول الثرواني مؤكدا الأصل الفارسي لهذا العيد:

أتَـــاكَ علـــى الـــدُّخولِ المَهْرجـــانُ تُشـــيِّعه المَعَـــازِفُ والقيـــانُ

وزُفّـــتْ نَحـــوكَ صَـــهْباءُ صِـــرْفَا تســـير بهـــا وتَحْمِلُهـــا الـــدِّنانُ

لهـــذا اليـــوم فضـــلٌ مُسْـــتَبِينٌ علـــى الأيـــامِ تَعْرِفُـــهُ وشَـــانُ

إذا وَقْرّتـــــه عَظّمـــــتَ كِسْـــــرَى وأكْرَمَـــكَ الشّـــريفُ الهرمـــزانُ

وأَصْـــفَاك الهـــوى بهـــرام جـــور وسَـــارع فـــي رِضَـــاكَ الفيـــروزانُ

لِـــــتُعظِّم الـــــذي عَظَّمُـــــوه ودانَ بـــــه أُوُائلهـــم ودَانُـــوا [2]

وأيضا قول ابن الرومي مؤكدا كذلك أصل هذا العيد الفارسي:

وعَهْـــدَ كِســـرَى نَعِـــيْمُ عَـــيْشُ مـــن ابـــن كســـرى وحســـن مَلْهَـــى

فظَـــلّ فـــي المَهْرجَـــانَ عِيْـــدٌ يَجْمَـــعُ دينـــاً لـــه ودُنْيـــا

ولـــيس بِـــدْعا ولا عَجِيبَـــاً أنْ يَـــنْظِمَ المَعْنَيـــين مَعْنَـــى [3]

---

[1] التيارات الأجنبية في الشعر العربي، مرجع سابق، ص٢٠٤.

[2] التيارات الأجنبية في الشعر العربي ، مرجع سابق ، ص٢٠٦.

[3] ديوان ابن الرومي، شرح أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج١ ، ص ١٨ .

وفي موضع آخر يقول:

أحـــــبُّ المَهْرجَـــــانَ لأن فيـــــه سُـــــرُورا للملـــــوكِ ذوي السَّـــــناءِ

وبابـــــاً للمصـــــير إلـــــى أوانٍ تُفَـــــتَّحُ فيـــــه أبـــــوابُ السَّـــــماء

أُشَـــــبّهه إذا أَفْضَـــــى حَمِيـــــداً بإفْضَـــاء المَصِـــيْفِ إلـــى الشّـــتاءِ[1]

وقال ابن الرومي في تهنئة عبيد الله بن عبد الله بيوم المهرجان:

مـــا رَأتْ مِثْـــلُ مَهْرجانْـــكَ عَيْنَـــاً أردشـــــيرٍ ولا أنـــــو شـــــروانِ

مَهْرجَـــــانٌ كأنَّمـــــا صَـــــوَّرَتْهُ كيـــف شَـــاءتْ مُخَيَّـــراتُ الأمـــانِي[2]

ويصف البحتري قدوم هذا العيد وما يحدث فيه من لهو وشراب :

أُغـــادِي أُرْجُـــوَانِ الـــرَّاحِ صِـــرْفاً علـــى تُفَّـــاحِ خَـــدٍّ أُرْجُـــوَانِي

إذا مَالَـــتْ يَـــدِي بالكَـــأسِ رُدَّتْ بِكَـــفٍّ خَضِـــيبِ أطـــرَافِ البَنَـــانِ

تَأَمَّـــلْ مِـــنْ خـــلال الشَّـــكِّ فـــانظر بِعَيْنِـــكَ مـــا شَـــرِبْتُ ومَـــنْ سَـــقَانِي

تَجِـــدْ شَـــمْسَ الضُّـــحَى تَـــدْنُو بِشَـــمْسٍ إلـــيَّ مِـــنَ الرَّحِيـــقِ الخُسْـــرُوَانِي

سُـــــبُوتُ الإِصْـــــطِبَاحِ مُعَشَّـــــقَاتٌ وَأَحْظَـــــاهُنَّ سَـــــبْتُ المَهْرَجَـــــانِ[3]

وهنالك أعياد أجنبية أخرى، غير الأعياد الفارسية، دخلت المجتمع العربي، وشارك المسلمون في الاحتفال بها بكامل طقوسها، منها عيد الشعانين، وهو عيد نصراني، ويعني عيد التسابيح (كان النصارى يحتفلون به ويسمونه الزيتونة، ويقع في

---

[1] ديوان ابن الرومي ، ط دار الكتب العلمية ، ج١ ، ص ١٦ .

[2] ديوان ابن الرومي ، ط دار الكتب العلمية ، ج ٣ ، ص ٤١٨.

[3] ديوان البحتري، شرح يوسف الشيخ محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٠م، ج ١، ص ١٣٩-١٤٠ .

سابع يوم من صومهم) [١]. وكان له مراسم تتبع في هذا اليوم (ومن عاداتهم في هذا العيد الخروج من الكنيسة بسعف النخيل وأغصان الزيتون ويزعمون أنه اليوم الذي خرج فيه السيد المسيح من القدس راكبا حماره، ومتجها به إلى صهيون، وحوله من الناس يسبحون، ومع أن هذا العيد نصراني، فقد ذكر أن بعض مجان المسلمين كانوا يشاركون النصارى احتفالهم به، كما كانوا يشاركونهم أيضا الاحتفال في بعض أعيادهم الأخرى) [٢].

ومن ذلك قول الثرواني[٣]:

اسْـــــقِني الـــــرَّاح صَـــــبَاحَا قَهْـــــوةً صَـــــهْبَاء رَاحَـــــا

واصْـــطَبِحْ فـــي الـــدِّيْر الأعلـــى فـــي الشَّـــعانِين اصْـــطِباحَا

إنَّ مَـــنْ لَـــمْ يصـــطحبها الـــ يـــوم لـــم يَلْـــقَ نَجَاحَـــا

ثـــم قَلِّـــدْنِي مـــن الزَّيْـــ تُـــونِ والخُـــوصِ وِشَـــاحَا

فـــي الشَّـــعانِينِ وإنْ لا قَيْـــتُ فـــي ذاك افْتِضَـــاحَا

عظَّـــمَ الإعـــلام والرُّهـــ بـــان والصُّـــلْب المِلاحـــا [٤]

وهناك العديد من الاديرة كانت محط رحال كثير من المسلمين الماجنين . مثل دير سمالو بباب الشماسية يقول فيه خالد بن يزيد الكاتب :

يـــأُ منـــزل القَصْـــفِ فـــي سَـــمَالو مـــالِيْ عـــن طِيْبِـــكَ انتِقَـــالُ

---

[١] نهاية الأدب في فنون الأدب، النوير، مرجع سابق، ص١٩١.

[٢] الديارات، الشابشتي، تحقيق: كوركيس عواد، ط١، بغداد، ١٩٥١م، ص٢٤.

[٣] وهو محمد بن عبد الرحمن الثرواني ،شاعر عباسي كوفي ، من المطبوعين في الشعر والمتطرحين بالديارات والمدمنين لشرب الخمر ، وهو من الشعراء العباسيين المنسيين (www.islam port. com)

[٤] الديارات، الشابشتي، مرجع سابق ، ط٢، ص٢٣٠.

واهـــــاً لأيَّامِـــــكَ الخَـــــوَالي والعَـــــيْشُ صَـــــافٍ بهـــــا زِلاَلُ

تلـــــك حَيَـــــاةُ النُّفُـــــوسِ حَقّـــــاً وكـــــلّ مـــــا دُونِهـــــا مُحَـــــالُ[1]

وقول أبي نواس في لهوه ومجونه في دير بهرذان:

بـــــدَيْرِ بهْـــــرَذانَ لـــــي مَجْلِـــــسٌ ومَلْعَـــــبٌ وسْـــــطَ بَسَـــــاتِينِهِ

رحْـــــتُ إليـــــه ومعـــــي فِتَيـــــةٌ نَـــــزورُهُ يـــــوْمَ شَـــــعانِينِهِ

بكـــــلّ طـــــلاّبِ الهـــــوَى فاتـــــكٍ قَـــــدْ آثـــــرَ الـــــدّنْيا علـــــى دينِـــــهِ[2]

وقوله في موضع آخر موضحا طقوس هذا العيد مقسما بإنجيليه:

بـــــا نْجِيـــــلِ الشَّـــــعانينِ المُفَـــــدَّى وشَـــــمْعَلةِ النَّصـــــارَى فـــــي الطَّريـــــقِ

وبالصُّـــــلْبِ العظيمـــــة حـــــين تَبْـــــدو وبالزِّنَـــــارِ فـــــي الخصّـــــرِ الرَّقِيْـــــقْ

وبالحُسْـــــنِ المُرَكَّـــــبِ فيـــــك ألاَّ رَحِمْـــــتَ تَحَرّقِـــــي وجُفُـــــوفَ رِيقِـــــي[3]

ومن أعياد النصارى التي كان يشارك فيها المسلمون، وتضمنتها أشعارهم، عيد الفصح "وهو العيد الكبير عند النصارى، ويزعمون أن المسيح عليه السلام، قام فيه بعد الصلب بثلاثة أيام"[4].

---

[1] مقدمة كتاب الديارات ، مرجع سابق ، ص ١٠ .

[2] ديوان أبي نواس ، طبعة دار صادر ، ص ٣٨٠-٣٨١ .

[3] التيارات الأجنبية في الشعر العربي ، مرجع سابق ، ص ٢١٠.

[4] نهاية الإرب في فنون الأدب، مرجع سابق، ص١٩١.

وقد وردت إشارة لهذا العيد في قول البحتري:

لِيَكْتَنِفْـــــكَ السُّـــــرُورُ والفَـــــرَحُ ولا يَفُتْـــــكَ الإِبْرِيـــــقُ القَـــــدَحُ

فَـــتْحٌ وفِصْـــحٌ قَـــدْ وافَيَـــاكَ معـــاً فـــالفَتْحُ يُقْـــرَأ والفِصْـــحُ يُفْتَـــتَحُ[1]

وقول الثرواني:

قُلْـــــــتُ والنُّجـــــــومُ طَالِعِـــــــةٌ فـــي ليلـــةِ الفصـــحِ أوّل السَّـــحَرِ

هـــل لـــك فـــي مَـــارِ فـــايتون وفـــي دَيْـــرِ ابـــن مزعـــوق غيـــر مُخْتَصِـــرِ

يَفِـــيضُ هـــذا النَّســـيمُ مِـــنْ طَـــرَفِ الشَّـــام ودرُّ النَّـــدى عَلَـــى الشَّـــجَرِ

ونســـــأُل الأرضَ عـــــن مَنَابِتَهـــــا وعَهْـــــدَها بـــــالرَّبِيعِ والمَطَـــــرِ [2]

وقوله ايضاً :

بمـــــــارة مـــــــريم الكُبْـــــــرَى وظِـلِّ فَنَائِها فَقِـفِ

بقَصْـرِ أبـي الخَصِيبِ المُشْـ رِف المُوَقَّى عـلى النَّجَفِ

فاكنَـافِ الخـورنق والسّـ ديـر مَلاعِـبُ السَّلَـفِ

إلـى النَّخـل المُكَمـمِ والحمـائم فوقـه الهُتُفِ

فـدع قَولَ العزول وبَـا كِـرْ الصَّهْبَـاء في لُطْفِ [3]

---

[1] ديوان البحتري، ط دار الكتب العلمية ، ص ٣٠٣ .

[2] الديارات، مرجع سابق، ص٢٣١.

[3] port. comWWW.islam

ومن العادات الوافدة، التي انتشرت في هذا العصر، شيوع بعض الأزياء غير العربية – الفارسية بصفة خاصة– وذلك لغلبة هذا العنصر على شؤون الدولة (فقد قرر أبو جعفر المنصور لبس القلانس، وهي القبعات السود الطويلة، المخروطة الشكل، بصفة رسمية، كما أدخل استعمال الملابس المحلاة بالذهب. وكان اللباس العادي للطبقة الراقية، يشتمل على سرواله فضفاضة، وقميص ودراعة وسترة، وقفطان، وقباء، وقلنسوة. أما لباس العامة فيشتمل على: إزار، وقميص، ودراعة، وسترة طويلة، وحزام وكانوا ينتعلون الأحذية والنعال. أما الخلفاء والقضاة فكانوا يلبسون العمامة، والطيلسان، كما كانوا يلبسون قلنسوة طويلة حولها عمامة ذات لون أسود، وهو شعار العباسيين) [١].

وقد حرص الخلفاء العباسيون على أن يجعلوا لكل طبقة من الناس، ولكل أصحاب مهنة زيا خاصا بهم. فكان للعلماء مثلا زي خاص "وأول من اصطنع لهم هذا الزي، أبو يوسف قاضي الرشيد وكان ملبوس الناس قبل ذلك شيئا واحدا، لا يتميز أحد عن صاحبه بلباسه"[٢].

ومن الشواهد الشعرية، قول أبي دلامة، يذم القلانس الطويلة الدخيلة على الزي العربي عندما ألزمهم (الخليفة المنصور) بلبسها:

وكنـــا نُرْجِـــي مـــن إمـــامٍ زَيـــادةً فَجَـــادَ بطُـــولٍ زَادَهُ فـــي القَلانِـــسْ

تراهـــا علـــى هَـــامِ الرِّجَـــالِ كأنَّهـــا دِنَـــانُ يَهُـــودٍ جُلِّلَـــتْ بـــالبَرَانِسَ[٣]

---

[١] تأريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، حسن إبراهيم، ط٥، النهضة المصرية، ١٩٥٩م، ج٢، ص٤١٢.

[٢] وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيقك محمد محي الدين عبد الحميد، ١٩٤٨م، مطبعة بولاق، ج١، ص٣٣.

[٣] البداية والنهاية ، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي ، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح ، دار الحديث القاهرة ، المجلد الخامس ، ص ١١٩ .

وهجا ابن الرومي، أصحاب القلانس الطويلة في عصره:

ألا إنَّمـــا الـــدُّنْيا كجِيفَـــةِ مَيْـــتٍ وطُلاَّبِهـــا مِثْـــلُ الكِـــلابِ النَّـــواهسِ

وأَعظَمهـــم ذَمَّـــاً لهـــا وأَشَـــدُّهُم بهـــا شَـــغَفَاً قـــومٌ طِـــوالُ القَلانِـــسِ[1]

ويظهر ضيقه وتذمره من هذه الملابس الأجنبية في قوله:

يُسَـــائِلُني فَـــرْخُ الزِّنـــا فَـــيْمَ عِمَّتـــي أمِـــنْ سَـــقَمٍ، أم زِيْنَـــةٍ للأَوانِـــسِ

فَقلْـــتُ لـــه لا مِـــنْ سِـــقَامٍ لَبِسْـــتُها ولا زِيْنَـــةٍ للعَـــاهِراتِ النَّجَـــائِسِ

ولكنَّنـــي مُـــذْ كنْـــتُ طِفْـــلاً ويافِعَـــاً ومُقْتَـــبِلاً أُغْـــرَى بـــبغضِ القَلانِـــسِ

ولا اشْـــتَهي لـــبس الـــدَّرارِيعِ والقَبَـــا ولا ذَاكَ ممـــا ارْتضِـــى فـــي المَلابِـــسِ[2]

ومن العادات الأجنبية، التي كان لها حضور كبير في الحياة الاجتماعية في تلك الفترة، الاشتغال ببعض الألعاب مثل لعبة الشطرنج.

ويشير كثير من الباحثين، أن أصلها هندي "فأغلب الظن أن الفرس أخذوها عن الهنود وانتقلت إلى العرب آخر الأمر عن طريق الفرس، وقد ترتب على ذلك بقاء بعض المصطلحات الخاصة بهذه اللعبة بأسمائها الفارسية مثل كلمة شاه أي ملك، ورخ أي طابية، وبقيت عبارة كش ملك، أي مات الملك، كما بقيت كلمة شطرنج لهذه اللعبة"[3].

---

[1] ديوان ابن الرومي ، ط دار الكتب العلمية ، ج٢، ص ٢٣٢ .

[2] ديوان ابن الرومي ، اختيار كامل كيلاني (٣ اجزاء) ، ط التجارية بالقاهرة ، ص ٢٥٢ – ٢٥٣ .

[3] تراث فارس "فارس والعرب" مجموعة أبحاث لجماعة من المستشرقين، ترجمة بعض علماء مصر، طبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٥٩م، ص١١٣.

دخلت هذه اللعبة في المجتمع العباسي، واشتهر بمهارة لعبها الكثيرون، بعد الإلمام بقواعدها. وها هو ابن الرومي يصف مهارة أبي القاسم الشطرنجي في هذه اللعبة :

تُهْـــزِمَ الجَمْـــعَ أَوْحَـــدياً وتَلْـــوِي بالصَّـــــنَادِيدِ أيَّمـــــا إلـــــواءِ

وتُحَـــطّ الرِّخَـــاخَ بعـــد الفـــراز يـــن فَتَـــزْدَاد شـــدَّة اسْـــتِعلاءِ

رُبَّمـــا هَـــالَني وحَيَّـــر عَقلـــي أَخْـــذُك اللاعبـــين بالبأسَـــاءِ

ورِضَـــاهُم هنـــاك بالنَّصـــفِ والرُّبْـــ ع وأدنـــى رِضَـــاكَ فـــي الإربـــاء

واحْتِـــراسُ الـــدُّهاة منـــك واعْصَـــا فُـــكَ بالأقويـــاء والضُّـــعَفَاءِ

عـــن تـــدابيرك اللّطـــاف اللـــواتي هـــن أخفـــى مـــن مُستســـرِّ الهَبَـــاءِ

فأخـــال الـــذي تُـــديرُ علـــى القَـــو مِ حُروبـــاً دوائـــر الأرَحـــاءِ

وأظـــنّ افْتِراسِـــك القِـــرْنَ فـــالقر ن منايـــا وشَـــيْكَة الأرداءِ

وأرى أنَّ رقعـــة الأدم الأحْـــ مَـــر أرضٌ عَلَّتهـــا بـــدمِاءِ

غَلْـطَ النّـاسُ لسـت تَلْعـب بالشِّـطْ نْـجِ لكـنْ بـأنْفُسِ اللُّعبـاءِ[1]

ويقول المأمون في وصف هذه اللعبة، مبينا حقيقة ما ترمز إليه:

أرضٌ مُرَبّعـــةٌ حمـــراءَ مِـــنْ آدم مـــا بـــين إلفـــينِ موصـــوفينِ بـــالكَرَمِ

[1] ديوان ابن الرومي، شرح: محمد شريف سليم، ج١، ص١٩-٢٠./ ط دار العلمية ، ج١، ص ٢٤.

تَــذاكَرا الحَــرْبَ فــاحتلا لهــا شَــبَهاً مِـنْ غيـر أن يَسْـعَيا فيهـا بِسَـفْكِ دَمِ

هــذا يَغِيــرُ عَلَــى هــذا وذاك علــى هــذا يَغِيــرُ وعَـيْنُ الحَـرْبِ لَـمْ تَـنَمِ

فـانْظُرْ إلـى الخَيْـلِ قَـدْ جَاشَـتْ بمَعْرِكَـةٍ فــي عَسْـكَرينِ بــلا طَبْـلٍ ولا عَلَـمِ[1]

ومن واقع هذه اللعبة استمد كثير من الشعراء تشبيهاتهم وصورهم البيانية، كقول ابن المعتز:

وحيطـــــانٍ كَشِـــــطْرَنْجِ صـــــفُوفٌ فمــا تَنْفَــكّ تَضْــرِبُ شَــاه مَاتَــا[2]

وتشبيه ابن الزيات كف على بن سعيد، وقد امتدت في حركة سريعة إلى الخوان، ملتقطة ما عليه من صنوف الأطعمة، بالرخ الذي يتصيد البيادق هنا وهناك:

فكــأنَّ كَفّــك فــي الخُــوانِ وقَــدْ رُمْــتَ فيـــــه بـــــالأمِ رَاحـــــةٍ وبَنَـــــانِ

رُخٌ يحُـــــشَ بَيَادِقَـــــاً مَبْثُوثَـــــةٌ بَعُـدَتْ عــن الفَرَســينِ والفَــرَزانِ [3]

إلى جانب الشطرنج، هنالك لعبة الضرب بالصولجان، وهي فارسية الأصل. يقول ابن قتيبة (وقرأت في الآيين: من إجادة الضرب بالصولجان، أن يضرب الكرة قدما ضربة خلسة، يدير فيها يده إلى أذنه، ويميل بصولجانه إلى أسفل صدره، ويكون ضربه متشازرا مترفقا مترسلا، ولا يفل الضرب ويرسل السنان خاصة وهو الحامية لمجاز الكرة إلى غاية الغرض، ثم الجري بالكرة من موقعها والتوخي للضرب لها تحت محزم الدابة، ومن قبل لبتها في رفق وشدة المزاولة والمجاحشة على تلك الحال والاستعانة في الكرة بسوط والتأثير في الأرض بصولجان والكسر له جهلا باستعماله

---

[1] مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المسعودي ، ج ٤ ، ص ٢٥٢ .

[2] التيارات الأجنبية في الشعر العربي، مرجع سابق، ص٢٢٣.

[3] ديوان ابن الزيات ، تحقيق جميل سعيد ، ط نهضة مصر بالفجالة ، ١٩٤٩م ، ص ٢٢٣ .

أو عقر قوائم الدابة، والاحتراس من إيذاء من جري معه في ميدانه، وحسن الكف للدابة في شدة جريه، والتوخي من الصرعة والصدمة على تلك الحال، والمجانبة للغضب، والسب، والاحتمال، والملاهاة، والتحفظ من إلقاء كرة على ظهر بيت) [١].

ومعنى الآيين التي وردت في كلام ابن قتيبة، هو أحد كتب الفرس وتعني (نظام أو دستور أو عادة) [٢].

ومن الشواهد على هذه اللعبة في الشعر العباسي، ما جاء به أبو نواس في الأبيات التالية:

قَـــدْ أَشْـــهَدُ اللّهـــو بفتيـــانٍ غُـــرَرْ مِـــنْ وَلَـــدِ العبّـــاسِ ســـاداتِ البَشَـــرْ

ومـــن بنـــي قَحْطَـــان والحـــيّ مُضَـــرْ مـــن كـــلِّ مـــألوفٍ كَـــرِيمِ المُعْتَصَـــرْ

مُكَلّـــــــلاتٍ ببهـــــــارٍ وَزَهَـــــــرْ فانْتُـــدِبُوا فـــي يـــومِ قَـــرٍ وخَصَـــرْ

إذا ذرّ قَـرُن الشَّـمسِ فـي غـبِّ مَطَـرْ صـــوالجاً يَصْـــبُو إليهـــا مَـــنْ نَظَـــرْ

مَحْنِيّـــــةٌ أَطْرَافهـــــا فيهـــــا زَوَرْ قَـــدَّرها شَـــابِرُها لمّـــا شَـــبَرْ

مُدْمَجَـــةُ الأركـــانِ مُـــدْمَاةُ الطُـــرَرْ شَـدّد صَـفْحَتي مَتْنِهـا حَشْـو الشَّـعَرْ

فلـــيس للإشـــقّاء بالجلـــد أَثَـــرْ يحســـبن تفاحـــا تَـــدلّى مِـــنْ شَـــجَرْ

حتّـــى إذا مـــا أعْلَـــقَ القَـــومُ الخَطَـــرْ ووكلـــوا بـــالنّبرِ مِقْـــدَاما ذَكَـــرْ

فلـــم يَجْـــرِ فـــيهم ولا العَـــيْنُ فَتَـــرْ واسْـــتَقْدمَ القَـــوَم رئـــيسٌ ذو خَطَـــرْ

---

[١] عيون الأخبار، مرجع سابق، ج١، ص١٣٣-١٣٤.

[٢] المعجم في اللغة الفارسية، محمد موسى هنداوي، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٩٢م، ص١.

بِكُـــرَةٍ دَحَـــا بهـــا ثُـــم زَجَـــرْ فانْحَـــدَرتْ كـــالنّجم ولَّـــى فانْكَـــدَرْ

رَفْعَـــاً وَوَضْـــعاً أيّمـــا ذَاكَ اســـتَقَرْ تـدفع بالضّـرِب إذا الضـرّبُ اسْـتَمَرْ

تَـــدَافعَ النَّبـــلُ بإزعـــاجِ الـــوَتَرْ فـلا تـرى فـيهم حَلِيْمـاً ذا وَقَـرْ [1]

وقال العباس بن الأحنف واصفا دقائق هذه اللعبة:

إذا وَقَّعُوهَـــا بعُـــودِ الخِـــلافِ رَفَعْنَـــا جميعـــاً إليهـــا العُيُونَـــا

فَمَـــنْ راكـــضٍ مائـــلٍ نَحْوهـــا وأصـــحابُهُ نَحْوهـــا رَاكِضُـــونَا

ومَـــنْ وَاقِـــفٍ رَاكِـــبٍ مُهْرهـــا لتَمْضِـــي عليـــه فريـــداً مَكِيْنَـــا

ومَـــنْ مُخْطِـــئٍ حـــين طَابَـــتْ لـــه فَظَـــلّ لمـــا فَـــات منهـــا حَزِينَـــا

نَـــرَى بعضـــنا راكبـــاً مُـــدْبِرا وبعـــضٌ إلـــى ضَـــرْبِها مُقْبلِينَـــا

ومـــا المُـــدْبِرُون مـــن المُقْبلِـــينَ ومـــا المُقْبِلُـــون مِـــنَ المُـــدْبِرينَا

يَخُوضُـــون بـــالقمر إنْ سُـــوبقوا وكـــلٌّ يَخَـــالُهم لاعِبينَـــا

تَرَانـــا نَصـــيْحُ بطيـــارة أمِنَّـــا قَوائِمُهـــا أنْ تَخُونَـــا

إذا مـــا أَرَدْنَـــا بهـــا مَوْطِنَـــا وَجَـدْنا بهـا طَـوعَ عَطْـفٍ ولينَـا[2]

---

[1] مختارات البارودي، تحقيق: ياقوت المرسي، ط القاهرة ١٣٢٩هـ، ج٤، ص٢٧-٢٨.

[2] التيارات الأجنبية في الشعر العربي ، مرجع سابق، ص٢٢٥.

أثر الشعوبية والزندقة في الشعر العباسي:

وجدت الشعوبية حيزا كبيرا في الشعر العباسي، إذ برز شعراء من أصول غير عربية وأخذوا يرددون دعاوى شعوبية، مقللين من قدر العرب، وأبرزهم بشار بن برد في افتخاره بأصله الفارسي:

هَـــلْ مِـــنْ رَسُـــولٍ مُخْبِـــرٍ عنِّـــي جميـــعَ العَـــرَبِ
مَـــنْ كـــان حيَّـــاً مِـــنْهمُ ومَـــنْ ثَـــوى فـــي التُّـــرُبِ
بـــأنَّي ذو حَسَـــبٍ عـــالٍ علـــى ذي الحَسَـــبِ
جَـــدِّي الـــذي أســـمو بـــه كســـرى وساســـانُ أَبـــي
وقَيْصـــرٌ خـــالي إذا عَـــدَدتُ يومـــاً نَسَـــبِي
كـــم لـــي وكـــم لـــي مـــن أبٍ بتاجـــه مُعْتَصِـــبِ

إلى أن يقول مطاعنا العرب:

ولا حَـــدا قـــطُّ أَبـــي خَلـــفَ بعيـــرٍ جَـــرِبِ
ولا أتـــى حَنْظَلَـــةً يَثْقُبُهـــا مـــن سَـــغَبِ
ولا أتـــى عُرفُطَـــةً يَخْبِطُهـــا بالخشـــبِ
ولا تقصـــعتُ ولا أكلـــتُ ضـــبّ الحِـــزَبِ
إنّـــا مُلـــوكٌ لـــم نَـــزَلْ فـــي ســـالفاتِ الحِقَـــبِ[1]

[1] ديون بشار بن برد، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٠م، ص٣٧٧-٣٧٨.

ومن ثم يتحول إلى الهجوم المباشر على العرب معيبا عليهم شظف عيشهم، وأصلهم البدوي:

سأُخْبِرُ فاخِرَ الأعرابِ عنِّي ... وعنه حين بارَزَ للفخَارِ

أنا ابنُ الأكرَمينَ أَباً وأُمّاً ... تنازعني المَرازبُ عن طُخارِ

...أحين لَبِسْتَ بعد العُرى خَزّاً ... ونادَمتَ الكِرامَ على العُقارِ

ونلِتَ من الشبارِقِ والقلايا ... وأُعطِيتَ البنفسَجَ في الخُمارِ

تُفَاخِرُ يا ابنَ راعيةٍ وراعٍ ... بني الأحرارِ حسَبُكَ من خَسارِ

لعَمرُ أَبي لقد بُدِّلتَ عَيْشَاً ... بعيشِكَ والأُمورُ إلى مَجاريِ

وكنتَ إذا ظَمِئتَ إلى قَراحٍ ... شَرِكتَ الكلبَ في ذاك الإطارِ

وتُدلِجُ للقنافِذِ تَدَّريها ... وينُسِيكَ المَكارِمَ صَيدُ فارِ

وتَغبِطُ شاويَ الحِرباء حتى ... تَروحَ إليه عن حُبِّ القتُارِ

وفَخْرُكَ بين يَرْبُوعٍ وضَبٍّ ... على مِثْلِي من الحدثِ الكِبارِ

مقَامُكَ بينا دَنَسٌ علينا ... فليتَكَ غائبٌ في حرِّ نارِ[1]

---

[1] ديوان بشار ، ط دار صادر ، ص ٣٤١ -٣٤٢.

أما أبو نواس، فشعوبيته جعلته يسخر حتى من مظاهر القصيدة العربية القديمة من وقوف على الزمن وبكاء على الأطلال وذمه للحياة البدوية، ويدعو إلى الحياة الحضرية وما فيها من ترف ولهو ومجون:

دَعِ الأطْـــلالَ تَسْـــفيها الجَنُـــوبُ وتُبلـــي عَهْـــدَ جِـــدّتِها الخطـــوبُ

وخَـــلّ لِراكـــبِ الوَجْنـــاء أَرْضـــاً تَخُـــبّ بهـــا النّجيبـــةُ والنجيـــبُ

بـــلادٌ نَبْتُهـــا عُشَـــرٌ وطَلْـــحٌ وأكثـــرُ صـــيْدها ضَـــبْعٌ وذيـــبُ

ولا تأخُـــذْ عـــن الأعْـــرَابِ لهْـــواً ولا عيْشـــاً فعيشُـــهُمُ جَـــديبْ

دَعِ الألبـــانَ يشْـــرَبُها رِجـــالٌ رقيـــقُ العَـــيْشِ بَيْـــنَهُمُ غريـــبُ

إذا رابَ الحَليـــبُ فَبُـــلْ عليـــه ولا تُحْـــرَجْ فمـــا فـــي ذاك حُـــوبُ

فأطْيَـــبْ منـــه صَـــافِيةٌ شَـــمُولٌ يَطـــوفُ بكأسِـــها سَـــاق أديـــبُ

فهنـــا العـــيش لا خِـــيمُ البـــوادي وهـــذا العـــيش لا اللـــبن الحليـــبُ

فـــأين البـــدْوُ مـــن إيـــوان كِسْـــرَى وأيْـــنَ مـــن المَيـــادِين الـــزُّرُوبُ[1]

ويقول:

دَعِ الرسْـــمَ الـــذي دثَـــرَا يقاســـي الـــرّيح والمطَـــرَا

وكـــنْ رجـــلاً أضـــاعَ العلْـــ مَ فـــي اللـــذّاتِ والخطَـــرَا

---

[1] ديوان أبي نواس، تحقيق احمد عبد المجيد الغزالي ، ط القاهرة ، ١٩٥٣م ، ص ١١ -١٢ .

أَلـــمْ تَـــرَ مـــا بنـــى كســـرى وســـــابُورٌ لِمَـــــنْ غبَـــــرَا

مَنَـــــازِهُ بـــــين دجِلَـــــةَ والـــــ فُـــــراتِ تفيّـــــأتْ شـــــجَرَا

بـــــأَرْضٍ باعَـــــدَ الرّحْمـــــ نُ عنهـــــا الطَّلْـــــحَ والعُشَـــــرَا

ولـــــم يجعـــــل مصَـــــايدَهَا يَرابِيعـــــــاً ولا وَحَـــــــرَا

ولكـــــنْ حـــــورَ غـــــزْلانٍ تُراعـــــي بـــــالملا بقَـــــرَا

وإنْ شـــــئْنا حثَثْنـــــا الطّيْـــــ ر مـــــن حافاتِهـــــا زُمَـــــرَا

أتـــــاكَ حَلِيـــــبُ صـــــافيةٍ شَـــــجَا قَطْفـــــاً ومُعْتصَـــــرَا

فـــــذاكَ العـــــيشُ لا سِـــــيداً بقفرتِهـــــــا ولا وَبَـــــــرَا

إذا مـــــا كنـــــتَ بالأشيـــــا ءِ فـــــي الأعـــــرابِ مُعْتَبَـــــرا

فإنّـــــك أيّمـــــا رجُـــــلٍ ورَدتَ فلـــــمْ تجـــــد صَـــــدرَا

ومـــــن عجـــــبٍ لعشـــــقهم الـــــ جُفـــــاةَ الجُلْـــــفَ والصّـــــحرَا

فقيـــــــل مُـــــــرقّشٌ أودى ولـــــم يعجـــــزْ وقـــــد قـــــدرَا

تعـــــدُّ الشـــــيحَ والقَيْصُـــــو مَ والفقْهـــــاءَ والســـــمُرَا

جَنِـــــيّ الآسِ والنّسْرِيـــــ نِ والسّوسْـــــانِ إنْ زهَـــــرَا

ويُغْنِيهـــــا عـــــن المرْجـــــا نِ أنْ تتقلّـــــدَ البعَـــــرَا

وتغْـــــــدُو فـــــــي بَرَاجِـــــــدِهَا تصِـــــــيدُ الـــــــذِّئْبَ والنمـــــــرَا

أمـــــــــــا واللهِ لا أشَـــــــــــرا حلفْـــــــتُ بـــــــه ولا بطَـــــــرا

لـــــــو أنّ مُرَقَّشـــــــاً حـــــــيّ تَعَلّـــــــقَ قلْبُـــــــهُ ذكَـــــــرَا[1]

وحذا حذو بشار وأبي نواس، شاعر أظهر شعوبيته، وكان شديد الغلو في فخره بأصله الفارسي وتحقير العرب، وهو أبو إسحق المتوكل، من شعراء الخليفة المتوكل ونديمه:

أنا ابنُ الأكارم من نَسْلِ جَمْ

وحائزِ إرثِ ملوك العَجَمْ

ومُحيي الذي بَادَ مِنْ عِزِّهم

وعفى عليه طِوال القِدَمْ

وطالبُ أَوتارهم جَهْرَةً

فَمَنْ نَامَ عَنْ حَقِّهم لَمْ أَنَمْ

معي عَلَمُ الكابيان[2] الذي

به أَرْتَجِي أنْ أَسُود الأُمَمْ

فَقُلْ لبَنِي هاشم أجمعين

هلموا إلى الخَلْع قبل النَّدمْ

مَلَكْنَاكُم عَنْوةً بالرِّما

حِ طَعْناً وضَرْباً بسيفٍ خَذِمْ

---

[1] ديوان أبي نواس ، ص ٥٥٧ –٥٥٨ .

[2] الكابيان: نسبة إلى كابة وهو حداد فارسي رفع علم الثورة (تيارات ثقافية، ص١٥٤ الهامش)

وأولاكُم الملكَ آباؤنا

فما إنْ وفيتم بشكر النِّعمْ

فَعُودوا إلى أَرْضِكُم بالحِجَازِ

لأكلِ الضِّبابِ ورَعِي الغَنَمْ[1]

مما تقدم، يتضح أن الشعوبية في هذا العصر، لم تكن نزعة اجتماعية وحسب وإنما كانت دعوة سياسية تستهدف الحط من شأن العرب، ومن ثم القضاء على سيادتهم، وإحلال القوميات الأخرى محلها.

أثر الزندقة في الشعر العباسي:

وهي الأمر الثاني، الذي يعتبر دخيلا على ثقافة ومعتقد العرب المسلمين في هذا العصر. فقد شاعت ظاهرة الزندقة بين شعراء هذا العصر، ومعظمهم من أصول غير عربية ، فالزندقة والشعوبية حركتان تصدران عن أصل واحد، هو كراهية العرب والانتقام منهم بتشويه الإسلام. وهي تهمة كانت تستوجب القصاص في عصر العباسيين.

ومن ذلك قول أبي نواس متهما أبان بن عبد الحميد اللاحقي بالزندقة:

جالَسْـــــتُ يوْمـــــاً أَبانـــــاً لا دَرَّ دَرُّ أبـــــــــــــانِ

ونحـــــــن حُضْـــــــرُ رِواق ا لأميـــــــــرِ بـــــــالنّهْرَوانِ

حتـــــى إذا مـــــا صَـــــلاةُ ا لأُولـــــــــى دَنَـــــــتْ لأوانِ

فقـــــام مُنْـــــذِرُ رَبـــــيّ بـــــــالبِرّ والإحْســـــــانِ

وكُلّمـــــا قَـــــالَ قُلْنـــــا إلـــــى انْقِضـــــاءِ الآذانِ

---

[1] تيارات ثقافية بين العرب والفرس، ط٣، أحمد محمد الحوافي، دار نهضة مصر، القاهرة، ص١٥٤.

فقـــــــالَ: كيَـــــــفَ شَـــــــهِدْتُمْ بـــــــذا بِغَيـــــــرِ عِيَـــــــانِ

لا أشْـــــــهَدُ الـــــــدّهْرَ حتـــــــى تُعـــــــايِنَ العَيْنـــــــانِ

فَقُلْـــــــتُ: سُـــــــبحانَ رَبـــــــيّ فقـــــــالَ: سُـــــــبَحان مـــــــاني

فقلـــــــتُ: عيســـــــى رَســـــــولٌ فقـــــــالَ: مِـــــــنْ شَـــــــيطانِ

فقلـــــــتُ: موســـــــى نَجـــــــيُّ الـــــــ مُهَـــــــيْمِنِ المَنّـــــــانَ

فقـــــــالَ: رَبّـــــــكَ ذو مُقْـــــــ لَـــــــةٍ إذاً ولســـــــانِ

أنفسُـــــــــــهُ خلَقَتْـــــــــــهُ؟ أم مَـــــــنْ؟ فقمـــــــتُ مكـــــــاني

عـــــــن كـــــــافِرٍ يتَمَـــــــرّى بـــــــالكُفْرِ بـــــــالرَّحْمَنِ

يريـــــــــدُ أنْ يَتَســـــــــاوَى بالعصـــــــــبَةِ المُجّـــــــــانِ

بعجْـــــــــرَدٍ وعبّـــــــــادٍ والـــــــــوالبيِّ الهِجـــــــــانِ

وابـــــــن الإيـــــــاسِ الـــــــذي نـــــــا حَ نَخْلَتَـــــــيْ حلـــــــوانِ

وابـــــــنِ الخَليـــــــعِ عَلـــــــيٍّ ريحانَـــــــةِ النّـــــــدْمَانِ[1]

وواضح من الأبيات، أن الصفات التي ألصقها أبو نواس بأبان هي الصفات التي كان يوصف بها الزنديق في هذا العصر.

[1] ديوان أبي نواس ، ط دار صادر ، ص ٤١٨- ٤١٩ .

ومن الشعراء الذين اتهموا بالزندقة في هذا العصر، بشار بن برد، فهناك بعض الشواهد من شعره تدل على ذلك، كتفضيل إبليس على سيدنا آدم عليه السلام:

إبْلِيسُ خيرٌ مِنْ أَبِيْكُم آدمٍ فَتَنَبَّهوا يا مَعْشَر الفُجَّارِ

النار جوهره وآدمُ طِيْنَةٌ والطينُ لا يَسْمو سُمُو النَّارِ[1]

أو كقوله:

الأرْضُ مُظْلِمَةٌ والنّارُ مُشْرِقَةٌ

والنَّارُ مَعْبُودَةٌ مُذْ كانتِ النَّارُ[2]

ورد عليه صفوان الأنصاري شاعر المعتزلة:

زعمتَ بأنَّ النار أكرمُ عنصراً وفي الأرضِ تَحْيا بالحِجَارةِ والزَّندِ

ويُخلقُ في أرْحَامِها وأَرُومِها أعاجيب لا تحصى بخطٍ ولا عَقدِ

كذلك سرُّ الأرض في البحر كله وفي الغيضةِ الغنّاء والجبل الصّلدِ

ولا بدَّ من أرضٍ لكل مطهَّرٍ وكل سَبوحٍ في الغمائرِ من جدِّ

إلى أن يقول:

مفاخرُ للطينِ الذي كان أصلُنَا ونحن بنوهُ غيرُ شكٍّ ولا جَحْدِ

فذلك تدبيرٌ ونفعٌ وحكمةٌ وأوضحُ برهانٍ على الواحد الفرْدِ

---

[1] ديوان بشار ابن برد ، ط دار صادر ، ص ٤٥١ .

[2] الأغاني ج ٣، ص ١٢٩ .

ثم يقول:

فيا ابنَ حليفِ الطين واللؤمِ والعمى

وأبعدَ خلق الله من طُرقِ الرّشْدِ

أتهجو أبابكرٍ وتخلع بعده

عليّاً وتعزو كلَّ ذاك إلى بُرْدِ

كأنك غضبانٌ على الدين كله

وطالب ذَحلٍ لا يبيت على حِقْدِ[1]

أما الزندقة، بمعنى التهتك والفجور، فلها الكثير من الشواهد الشعرية كقول بشار:

نُبدَّل من حُبِّ الصلاةِ حديثَنا

وكنتُ أَراه غاية المُتعبِّدِ

لعمرُكَ ما تزْكُ الصلاةِ بمُنكَرٍ

ولا الصوم إنْ زارتكَ أُمُّ محمدِ[2]

وشعر أبي نواس مليئ بالشواهد التي توضح صريح مجونه وتهتكه وهو يقر ويعترف بذلك:

ما مرّ يوْمٌ وليس عندي مِنْ طُرَفِ اللّهوِ خصْلتانِ

كأسُ رحيقٍ ووجهُ ظَبيٍ تضلّ في حُسنِهِ المعَاني

نِلْتُ لذيذَ الحرامِ منهُ ونالهُ النّاسُ بالأماني

---

[1] البيان والتبيين، مرجع سابق، ص٢٩-٣٠.

[2] ديوان بشار، ج٢، ص٢٠٥.

كـــم لـــذّةٍ قلـــتُ قَـــدْ وعاهـــا فـــي وســـطِ اللّـــوْحِ حافِظـــانِ[1]

وقوله داعيا إلى المجون:

بَادِرْ صَبوحَكَ وانْعَمْ أيّها الرّجلُ

واعصِ الذينَ بجَهلٍ في الهوَى عذلُوا

واخلعْ عذارَكَ، اضْحكْ كلّ ذي طَرَبٍ

واعدِلْ بنفسَكَ فيهمْ أينما عدلُوا

نالَ السّرورَ، وخفضَ العيشِ في دعةٍ

وفازَ بالطّيّباتِ الماجِنُ الهَزِلُ[2]

وله في الجرأة على الدين كقوله:

بَكَـــرَتْ علـــيّ تلـــومني فأجبتهـــا إنـــي لأَعْـــرِفُ مَـــذْهَب الأَبْـــرَارِ

فـــدعي المـــلامَ فقـــد أَطَعْـــتُ غَـــوايتِي وصَـــرَفْتُ مَعْرِفَتِـــي إلـــى الإنْكَـــارِ

ورَأيـــتُ إتْيَـــانِي اللـــذاذةَ والهـــوى وتعجُّـــلاً مـــن طِيـــب هـــذي الـــدارِ

أحْـــرَى وأحـــزمَ مـــن تَنَظُّـــر آجـــلٍ عِلْمِـــي بـــه رَجْـــمٌ مـــن الأَخْبَـــارِ

مـــا جاءنـــا أحـــدٌ يُخبِّـــر أنـــه فـــي جَنّـــةِ مَـــنْ مَـــاتَ أو فـــي النّـــارِ[3]

وكان من أثر هذه النزعة، أن كثر المجان والخلعاء، وإن لم يتزندقوا، وأطلق عليهم اسم الزنادقة كإبراهيم بن سيار، وكان يرمى بالزندقة لخلاعته، ولم يعرف عنه قول في الدين، ومثل آدم بن حميد بن عمر بن عبد العزيز كان ماجنا سكيرا ويروى عنه قوله:

---

[1] ديوان أبي نواس، ط الغزالي، ص٣٦٧.

[2] المرجع السابق، ص٨٤.

[3] تيارات ثقافية، مرجع سابق، ص١٣٧.

اسْـــــــقِنِي واسْـــــــقِ عصـــــــينا لا تَبِـــــــعْ بالنَّقـــــــدِ دِيْنـــــــا

اسْـــــــقِنِيها مُـــــــزَّة الطَّعْـــــــمِ تُرِيـــــــكَ الشَّـــــــيْنَ زَيْنَـــــــا[1]

ومـن آثارهـا، أن اتخـذها بعـض النـاس تظرفـا، كمحمـد بـن زيـاد، فقـال فيـه الشاعر:

يـــا ابـــنَ زيـــادِ يـــا أَبـــا جَعْفَـــرٍ أَظْهَـــرتَ دِيْنَـــاً غيـــر مـــا تُخْفِـــي

مُزَنْـــدَقُ الظَّـــاهِرِ بـــاللَّفظِ فـــي بـــاطِنِ إســـلامٍ فَتـــى عـــفٍّ

لَسْـــــتَ بِزِنْـــــدِيقٍ ولكنَّمـــــا أَرَدْتَ أن تُوسَـــــمَ بـــــالظُّرفِ[2]

---

[1] الأغاني/١٤، ص١٠.

[2] الأغاني/١٧، ص١٥.

المبحث الثاني

النثر في العصر العباسي الأول

شهد هذا العصر تطورا واضحا في النثر العربي، ساعد في ذلك، توافر الثقافات المختلفة، من يونانية، وهندية وفارسية، عن طريق الترجمة، فتمازجت تلك الثقافات مع الثقافة العربية فتولد أدب نثري جديد "وكان ذلك إيذانا بتعدد شعب النثر العربي، وفروعه، فقد أصبح فيه النثر العلمي، والنثر الفلسفي وأصبح فيه أيضا النثر التأريخي على شاكلة ما كان عند الأمم القديمة"[١].

معنى ذلك أن النثر في هذا العصر قد تهيأت له كل أسباب النمو والازدهار، بعد أن غزته الآداب الفارسية من سياسية واجتماعية، والآداب اليونانية وما تحمله من أفكار فلسفية جديدة، والآداب الهندية وما تحمله من حكم وأمثال، مع احتفاظ النثر العربي بمقوماته وطوابعه العربية الأصيلة.

لما استقام الملك لبني العباس، وتبوأ الفرس فيه مكانا عليا، ازداد مجال تأثيرهم اتساعا، وازدادت مظاهرهم في الأدب العربي وضوحا، شعره ونثره، ذلك أن كثيرا من كتاب الدولة كانوا فرسا، يعلمون الفارسية والعربية، وكان في العصر نفسه عرب يعرفون الفارسية، وهؤلاء وأولئك كان لهم شعر ونثر فيه أفكار فارسية في قوالب عربية. من أشهر أبناء الفرس، ابن المقفع وسهل بن هارون، والفضل بن سهل، وموسى بن مسيار الأسواري، يذكر عنه الجاحظ أنه كان قصاصا من أعاجيب الدنيا، وكانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية، يجلس في مجلسه المشهور به، فتقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره فيقرأ الآية من كتاب الله، ويفسرها للعرب بالعربية ثم يفسرها للفرس بالفارسية، فلا يدرى بأي لسان هو أبين[٢].

ومن العرب الذين يعرفون الفارسية، الشاعر العباسي كلثوم بن عمرو، المشهور بالعتابي، فهو عربي من تغلب، نهل من ثقافة الفرس، واستهوته معانيهم،

---

[١] تأريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص٤٤٢.

[٢] البيان والتبيين، ج١، ص٣٦٧، مرجع سابق.

فنقل بعض كتبهم إلى العربية، ولما سئل عن حرصه على النقل قال: إن المعاني في كتب العجم، واللغة والبلاغة للعرب.

ومن أهم مظاهر النثر الفني في العصر العباسي الأول، الخطب والمناظرات،والقصص والرسائل والتوقيعات.

أولا: **الخطب و الوعظ**:

ازدهرت الخطابة في هذا العصر، بسبب اعتماد العباسيين عليها في تثبيت دعائم ملكهم، واستئثارهم بالخلافة، دون أبناء عمومتهم من العلويين، وتأكيد هذا الحق في خطابتهم، على نحو ما جاء في خطبة أبي العباس السفاح، عند مبايعته بالخلافة في الكوفة، فقال:

(الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه تكرمة، وشرفه وعظمه، واختاره لنا وأيده بنا، وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوام به، والذابين عنه والناصرين له، وألزمنا كلمة التقوى وجعلنا أحق بها وأهلها)، ثم بين بالآيات القرآنية رحمهم وقرابتهم بالرسول الكريم (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)، وقال (قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)، وقال (مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى)، وقال (وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى). فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا وأوجب عليهم حقنا ومودتنا. وأجزل من الفيء والغنيمة نصيبنا تكرمة لنا، وفضلا علينا (والله ذو الفضل العظيم). ثم يعرض في خطبته بالسبئية قائلا: (وزعمت السبئية الضلال، أن غيرنا أحق بالرياسة والسياسة والخلافة منا، فشاهت وجوههم بم ولم أيها الناس؟ وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم، وبصرهم بعد جهالتهم، وأنقذهم بعد هلكتهم، وأظهر بنا الحق، أدحض بنا الباطل وأصلح بنا منهم ما كان فاسدا ورفع بنا الخسيسة وأتم بنا

النقيصة وجمع بنا الفرقة...) [١]. وكان موعوكا فجلس على المنبر وصعد داؤد بن علي فقام دونه فقال:

(الحمد لله شكرا شكرا؛ الذي أهلك عدونا، وأصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. أيها الناس، الآن أقشعت حنادس الدنيا وانكشف غطاؤها، وأشرقت أرضها وسماؤها وطلعت الشمس من مطلعها، وبزغ القمر من مبزغه، ورجع الحق إلى نصابه في أهل بيت نبيكم، أهل الرأفة والرحمة بكم والعطف عليكم) [٢].

وخلف السفاح أبو جعفر المنصور، وكان أخطب العباسيين. فاندلعت في عهده ثورة بقيادة محمد بن عبد الله بن الحسن العلوي، مؤكدا حقه في الخلافة. وكانت الخطب تجرى بينهما سجالا وكان محمد لا يقل عنه فصاحة، ومن بعض خطبه بعد أن حمد الله وأثنى عليه: (أيها الناس، إنه قد كان من أمر هذا الطاغية أبي جعفر من بنائه القبة الخضراء التي بناها، معاندة لله في ملكه وتصغيره الكعبة الحرام. وإنما أخذ الله فرعون حين قال: أنا ربكم الأعلى، وأن أحق الناس بالقيام في هذا الدين أبناء المهاجرين الأولين والأنصار المواسين، اللهم قد أحلوا حرامك، وحرموا حلالك، وعملوا بغير كتابك، وغيروا عهد نبيك صلى الله عليه وسلم وأمنوا من أخفت، وأخافوا من أمنت، فأحصهم عددا واقتلهم بددا، ولا تبقِ على الأرض منهم أحدا) [٣].

ولكن تمكن المنصور من القضاء عليه وعلى ثورته وبذلك كممت الأفواه، وضعفت الخطابة السياسية في هذا العصر ضعفا شديدا لأن الخطابة السياسية إنما تزدهر حين تكفل للناس حرياتهم.

وتبعا لضعف الخطابة السياسية، ضعفت الخطابة المحفلية التي كانت معروفة في عصر الدولة الأموية، وذلك لانقطاع وفود العرب التي كانت تفد على قصور

---

[١] تأريخ الطبري، تأريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، قدمه: نواف الجراح، دار صادر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م، ج٤، ص١٥٢٥.

[٢] المرجع نفسه، ص١٥٢٦.

[٣] ذيل الأمالي والنوادر، علي إسماعيل بن القاسم القالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م ، المجلد الثاني،ص١٢٠.

الخلفاء، واقتصر على المناسبات فقط، كبيعة الخليفة أو موت أحد أبنائه. ومع مرور الوقت تضاءلت كما تضاءلت الخطابة السياسية ولم يعد لها أثر يذكر.

أما الخطابة الدينية، فقد ازدهرت في هذا العصر ونشطت في المساجد على أيدي الوعاظ، وكان منهم الرسميون الذين تعينهم الدولة في الجمع والأعياد. وغير الرسميين ، وكانوا يستمدون وعظهم وقصصهم من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وقصص الأنبياء والمرسلين. (ومنهم من كان يصاحب الجيوش المجاهدة للوعظ في الحرب، وبث روح الحماسة الدينية في نفوس المجاهدين كأبي العباس الطبري) [١].

أدى ذلك إلى ظهور طبقة الوعاظ، وكانوا يسمون بالمذكرين، ويسمى مجلسهم باسم الذكر، أي ذكر الله وتسبيحه، وكانوا من الصوفية الذين دارت محاور اتجاهاتهم حول الحكايات والقصص باحتمال الصوفية لشظف العيش وقسوة الحياة. وما اعتقدته العامة من كرامات الصوفية وما حاكوه حولها من أقاصيص شعبية تدور بين الناس إلى جانب أخبارهم وحكاياتهم التي يقصها تلاميذهم، وتحمل أحوالهم وآراءهم ومعتقداتهم.

وكان الخلفاء والولاة يشاركون في الخطابة الدينية وللرشيد خطبة رائعة يقول فيها:

(عباد الله إنكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى، حصنوا إيمانكم بالأمانة ودينكم بالورع وصلاتكم بالزكاة، فقد جاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له ولا صلاة لمن لا زكاة له).[٢] إنكم سفر (الجماعة المسافرون) مجتازون وأنتم عن قريب تنتقلون من دار فناء إلى دار بقاء

---

[١] تأريخ الأدب في العصر العباسين مصطفى السيوفي، مرجع سبا، ص١٣٩.

[٢] رواه الطبراني في الأوسط عن ابن عمر (٣٨٣/٢) ، برقم (٢٢٩٢) ، وأخرجه ايضاً في الصغير ، برقم (١٦٢)، وأخرجه الديلمي ، برقم (١٥٧/٤) .

فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة وإلى الرحمة بالتقوى وإلى الهدى بالإنابة فإن الله – تعالى ذكره – أوجب رحمته للمتقين ومغفرته للتائبين وهداه للمنيبين) [١].

ولكن ضعفت الخطابة الدينية، عندما طلب الرشيد من الأصمعي أن يعد خطبة لابنه الأمين يخطب بها يوم الجمعة[٢] كما طلب من إسماعيل اليزيدي وابن أخيه أحمد أن يعدا خطبة مماثلة يخطب بها المأمون[٣]. وبذلك سن للخلفاء أن يخطبوا بكلام غيرهم.

وكان الولاة يجمعون بين الولاية والصلاة، ويذكر الحافظ عن محمد بن سليمان الفارسي والي البصرة والكوفة لعهد المنصور والمهدي أنه كان يخطب يوم الجمعة خطبة واحدة قصيرة لا يغيرها وفيها يقول:

(الحمد لله، أحمده واستعينه واستغفره، وأؤمن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، واشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، من يعتصم بالله ورسوله فقد اعتصم بالعروة الوثقى، وسعد في الأولى والآخرة. ومن يعص الله ورسوله فقد ضلَّ ضلالا بعيدا، وخسر خسرانا مبينا. أسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويتجنب سخطه، فإنما نحن له وبه. أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعة الله، وأرضى لكم ما عند الله. فإن تقوى الله أفضل ما تحاثّ الناس عليه، وتداعوا إليه، وتواصوا به فاتقوا الله ما استطعتم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) [٤].

كما أدت كثرة العلماء والأدباء، وازدهار العلوم إلى وجود نوع من التنافس بين العلماء، والتناظر بينهم، وإظهار ذلك للناس في مجالس العلم أو عند أهل الدين ردا على الشبهات التي انتشرت نتيجة لشيوع البدع والزندقة.

---

[١] العقد الفريد، ج٤، ص ١٩١ .

[٢] الأغاني، ج١٨، ص٨٢.

[٣] تأريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص٤٥٢.

[٤] البيان والتبيين، ج٢، ص٢٧٩.

كان أصل المناظرات، في أول الأمر دينيا، فقد كان خصوم العقيدة يحاولون النيل من المسلمين بإثارة الجدل في بعض القضايا، فهب علماء المسلمين للزود عن العقيدة، والفضل في نمو المناظرات وازدهارها، يعود إلى المتكلمين، وخاصة المعتزلة، حيث اتخذوا الجدل والمناظرة وسيلة اعتمدوا عليها في مباحثهم ونشر مبادئهم – (نضج علم الكلام في العصر العباسي الأول والثاني، وكان الفضل الأكبر في نضوجه للمعتزلة، فإنهم وقفوا أنفسهم موقف الدفاع عن الإسلام، وكان مركزهم في الغالب في العراق، وفي البصرة، أو في بغداد، أو الكوفة. وكان العراق محطا للثقافات المختلفة والديانات المختلفة إذ كان موردا لكثير من الفرس والهنود والسريان والنصارى واليهود. فكان كثير من أجداد العراقيين أو آبائهم يعتنقون قبل الإسلام ديانات مختلفة. فلما أسلموا كانت آراؤهم ومعتقداتهم عالقة في ذهنهم كلها أو بعضها) [١].

ويذكر شوقي ضيف أن مؤرخي الأدب العباسي قلما عنوا بالحديث عن المناظرات، التي يرى أنها (احتدمت بين المتكلمين والفقهاء وأصحاب الملل والنحل لهذا العصر، مع أنها كانت من أهم الفنون النثرية وكانت تشغل الناس على اختلاف طبقاتهم) [٢].

من المعلوم من تأريخ الفكر الإسلامي أن المعتزلة أعطوا للعقل نصيبا وافرا للفصل بين الأمور يعتمد الحجة المنطقية في الرد، ويقدمون القياس للوصول إلى نتائج، فشهد العصر العباسي الأول نشاطهم في مضمار البحث والمناظرة. ومنذ بواكر ظهورهم كانوا يحاورون أصحاب الملل والنحل في المساجد ومجالس العلم. فكثرت مسائل العلم وقضاياه، وتتطلب ذلك أن يكون للاجتهاد مكانته في نشاط العلماء، وكل مجتهد يحاول أن يظهر رأيه ويدافع عنه ويثبت نفسه في ميدان العلم أخذا وردا، فانتشرت المناظرات بين الفرق المختلفة. وبرعت كل فرقة بالعناية في البيان والأسلوب، فعرفوا اللغة، واطلعوا على كثير من دقائقها وأسرارها، دأبوا على جمع الأدب شعره ونثره وذلك بهدف التأثير في السامع بالحجة البالغة فكرا ولغة.

---

[١] ظهر الإسلام، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٥، ١٩٦٩م، ج٤، ص٢.

[٢] العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، مرجع سابق، ص٤٥٧.

من الأدلة على براعة وفصاحة المعتزلة هذه المناظرة التي جرت بين أبي الهذيل العلاف، وكان في حداثته، ويهودي. ناظر أبو الهذيل ذلك اليهودي، الذي كان يسعى بين الناس ويقول لهم:

(ألا تقرون بنبوة موسى عليه السلام؟ حتى إذا اعترفوا بها قال نحن على ما اتفقنا عليه إلى أن نجتمع على ما تدعونه. فتقدم إليه أبو الهذيل وقال له: أسألك أم تسألني؟ فقال له اليهودي: بل أسألك. فقال: ذاك إليك. فقال اليهودي: أتعترف بأن موسى نبي صادق أم تنكر ذلك فتخالف صاحبك فقال له أبو الهذيل: إن كان موسى الذي تسألني عنه هو الذي بشر بنبيٍّ عليه السلام وشهد بنبوته وصدقه فهو نبي صادق، وإن كان غير من وصفت فذلك شيطان لا اعترف بنبوته. فورد على اليهودي ما لم يكن في حسبانه. ولم يلبث أن سأل أبا الهذيل: أتقول إن التوراة حق؟ فقال: هذه المسألة تجري مجرى الأولى، إن كانت التوراة التي تسألني عنها هي التي تتضمن البشارة بنبيٍّ عليه السلام فتلك حق وإن لم تكن كذلك فليست بحق ولا أقر بها، فبهت اليهودي وأفحم ولم يدر ما يقول) [1].

وفي أمالي المرتضى (أن أبا الهزيل في حداثته بلغه أن رجلا يهوديا قدم البصرة، وقطع جماعة من متكلميها، فقال لعمه: يا عم امض بي إلى هذا اليهودي حتى أكلمه، وألح عليه في ذلك فذهب إليه وما زال به حتى أفحمه) [2].

وناظر يوما مجوسيا فسأله ما تقول في النار؟ قال: بنت الله قال: فالبقر؟ قال: ملائكة الله قص أجنحتها وحطها على الأرض يحرث عليها، قال: فالماء؟ قال: نور الله، قال أبو الهذيل: فما الجوع والعطش؟ قال: فقر الشيطان وفاقته، قال أبو الهذيل فمن يحمل الأرض؟ قال: بهمن الملك. حينئذ قال أبو الهذيل: فما في الدنيا شر من المجوس، أخذوا ملائكة الله فذبحوها ثم غسلوها بنور الله ثم شووها ببنت الله ثم دفعوها

---

[1] تأريخ الأدب، العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص٤٥٨.

[2] أمالي المرتضى، ص١٢٤.

إلى فقر الشيطان وفاقته ثم سلخوها على رأس بهمن الملك أعز ملائكة الله، فانقطع المجوسي وخجل مما لزمه[١].

ويذكر مصطفى السيوفي بأن الظروف التي لازمت نشأة هذا الفن التعبيري تكمن في النقاط التالية[٢]:

- اتساع جذوة المناظرة بين طوائف المعتزلة وطوائف المتكلمين وبينهم وبين أصحاب الملل والنحل.
- ظهور كثير من المناظرين في شؤون الدين والعقل كما هيأ بسط المعاني ومدها بالجديد من الأفكار والتعمق فيها.
- على الرغم من ضياع سطوة المعتزلة، إلا أنهم لم يتراجعوا عن الوظيفة التي نصبوا أنفسهم من أجلها وهي الوقوف في وجوه أصحاب الملل والنحل والملاحدة.

إذاً فقد كانت المناظرات والمحاورات لغة العصر الفكرية في كل مكان وفي كل موضوع علمي أو فلسفي أو أدبي.

ثانيا: **القصص**:

ترجم كثير من الفرس الذين حذقوا اللغة العربية، كتبا شتى من الفارسية إلى العربية أهمها كليلة ودمنة، الذي ترجمه ابن المقفع وابن المقفع يقول عنه ابن النديم (واسمه بالفارسية روزبه وهو عبد الله بن المقفع ، ويكنى قبل اسلامه ابا عمرو، فلما اسلم اكتنى بابي محمد ... واصله من خوز مدينة من كور فارس ... وكان في نهاية الفصاحة والبلاغة ، كاتباً شاعراً فصيحاً ... وكان احد النقلة من اللسان الفارسي إلى اللسان العربي، مضطلعاً باللغتين فصيحاً بهما)[٣] وعدد ابن النديم كتبه (منها كتاب خداينامه في السير . كتاب آئيننامه في الأيين. وكتاب كتاب كليلة ودمنة . كتاب

---

[١] تأريخ الأدب، مرجع سابق، ص٤٥٨.

[٢] تأريخ الأدب في العصر العباسي، مصطفى السيوفي، مرجع سابق، ص١٤١.

[٣] الفهرست ، ص ١٩٠ .

مزدك. كتاب التاج في سيرة انشروان . كتاب الأدب الكبير . كتاب الأدب الصغير . كتاب اليتيمة في الرسائل ... كتاب رسالته في الصحابة)[١]

وعن كتابيه الأدب الكبير والأدب الصغير يقول أحمد أمين (في الكتابين اثر كبير من الثقافة الفارسية ، ففيهما حكم كثيرة من حكم الفرس ، وفيهما بعض نظم الساسانيين في الحكم وكثيراً ما يقول : (أحفظ قول الحكيم) (وقالت الحكماء) وهو يقصد حكماء الفرس)[٢] .

جمع عباد بن عباد المهلبي ، المقفع بالخليل بن أحمد (فتحادثا ثلاثة أيام ولياليهن فقيل للخليل كيف رأيت عبد الله قال ما رأيت مثله وعلمه أكثر من عقله)[٣] .

وعليه (فيمكننا ان نقول ان اغلب استمداد ابن المقفع في كتبه ن الثقافة الفارسية ، وقليل منها من الثقافة العربية الإسلامية ، وأوضح دليل على ذلك أن الروح الدينية في حكم ابن المقفع نادرة جداً قلّ ان تلمسها)[٤] .

ومن القصص المترجمة ايضاً (قصة رستم واسنفديار التي ترجمها جبلة بن سالم) [٥] وكتب مثل (هزار أفسانه – ألف خرافة – هو أصل من أصول ألف ليلة وليلة وكتاب خرافة ونزهة وكتاب الدب والثعلب وكتاب نمرود وغيرها) [٦].

ذكر ابن النديم عن محمد بن إسحق أن (أول من صنف الخرافات، وجعل لها كتبا، وأودعها الخزائن، وجعل بعض ذلك على ألسنة الحيوانات، الفرس الأول..... ونقلته العرب إلى اللغة العربية، وتناوله الفصحاء والبلغاء، فهذبوه ونمقوه وصنفوا في

---

[١] الفهرست ، ص ١٩٠ .

[٢] ضحى الإسلام ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٢٠٣ .

[٣] خزانة الأدب ، ص ٤٦٠ .

[٤] ضحى الإسلام ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٢٠٤ .

[٥] الفهرست، ص٣٠٥.

[٦] تيارات ثقافية، مرجع سابق، ص١٨٨.

معناه ما يشبهه) [١]. كما ذكر بأن أول كاتب كتب في هذا المعنى كتاب هزار أفسانه ومعناه ألف خرافة.

أما (كليلة ودمنة) فإنه قد نقل في أيام كسرى أنوشروان من الهندية إلى الفهلوية، (وكان الباحثون في شك من ذلك حتى عثر الأستاذ هرتل على بعض الأصول الهندية الأولى، كما عثر غيره على بعض أبواب من الكتاب مفرقة، ويرجحون أن باب (بعثه برزويه) وباب (ملك الجرذان) من زيادات الفرس، وأن في الكتاب فصولا زادها ابن المقفع) [٢].

وورد في كتاب (كليلة ودمنة) (كتاب كليلة ودمنة من الكتب التي ترجمت في صدر الدولة العباسية من اللغة الأعجمية إلى اللغة العربية، لأنه في ضروب السياسة أكبر آية، وفي جوامع الحكم والآداب من أبلغ غاية) [٣].

لا شك أن كليلة ودمنة أول كتاب يقص على ألسنة الحيوان قصصا مفصلة متداخلة، ويورد على ألسنتها حكما وأمثالا وعظات (كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع، وهي مجموعة من القصص وضعت على ألسنة الحيوانات. وكتاب كليلة ودمنة لا يعد قصة واحدة طويلة، وإنما هو مجموعة قصص يربط بينها خيط واحد هو الرغبة في النصيحة والتعليم) [٤].

ومن يقرأ هذا الكتاب يستطيع أن يقف على كثير من القصص والأمثال التي جاءت فيه وتحمل معنيين، معنى ظاهري يصلح للتسلية والترويح وآخر باطني يحمل الحكم والمواعظ.

وقد ذكر عبد الله بن المقفع في نهاية الباب الثالث من هذا الكتاب (أن الفيلسوف "بيدبا" وضع هذا الكتاب على ألسنة الحيوانات والطيور ليقبل أهل الهزل

---

[١] الفهرست، ص٤٧٥.

[٢] ضحى الإسلام، مرجع سابق، ص١٩٦.

[٣] كليلة ودمنة، بيديا الفيلسوف الهندي، ترجمة: عبد الله بن المقفع، دار مصر للطباعة، بدون تأريخ، مقدمة الكتاب.

[٤] فنون النثر في العصر العباسي، أحمد أمين مصطفى، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٩٩٦م، ص١٤.

من الشباب على قراءته وأن القصد من صور الحيوانات الملونة التي جاءت في هذا الكتاب هو إسعاد قلوب الملوك عندما تنظر إليها وهي تقرأه وبذلك يحبه الملوك والسوقة فيكثر انتساخه وتداوله) [١].

وعن هذا الكتاب يقول بروكلمان (فهذا الكتاب الذي يضم مجموعة كبيرة من القصص والحكم والأمثال المروية على ألسنة الحيوانات والطيور، ألف كثير من أدباء العرب كثيراً من الكتب على منواله مثل كتاب "سلوان المتاع" الذي ألفه ابن ظفر وكتاب "فاكهة الخلفاء ومناظرة الظرفاء" لابن عربشاه وكتاب "الصادح والباغم" الذي ألفه ابن الهبارية وكذلك كتاب "ثعلة وعفراء" وكتاب "النمر والثعلب" لسهل بن هارون) [٢].

وأما كتاب "ألف ليلة وليلة" فذكر ابن النديم (فأول كتاب عمل في هذا المعنى كتاب هزار أفسان، ومعناه ألف خرافة) [٣].

تعددت الآراء حول أصل الكتاب، فمن قائل إن أصله فارسي وقائل بأن أصله هندي، ورأي آخر يقول بأنه حكايات فارسية وهندية. (وأغلب الظن أن أرجح هذه الأقوال هو الأصل الأصيل للكتاب، القصص الفارسية، وهي التي ترد فيها أسماء وأحداث فارسية مثل: شهرزاد، وشاه زمان، وبه قصص هندية مثل قصة التاجر العارف بلغة الحيوان) [٤].

وقد تأثر العرب بألف ليلة وليلة، فألفوا قصصا على غراره، أضافوها إليه، بعضها كتبوه في بغداد وبعضها كتبوه في القاهرة، ثم ألفوا قصصا أخرى كما فعل الجهشياري (إذا ألف كتابا فيه ألف سمر من أسمار العرب والعجم، واجتمع له

---

[١] كليلة ودمنة، ترجمة ابن المقفع، طبعة مكتبة المتنبيء بالقاهرة، ص٨٦.

[٢] تأريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، من الترجمة العربية، د. عبد الحليم النجار، طبع مصر، ١٩٧٤م، ج٣، ص٣٥.

[٣] الفهرست، ص٤٧٥.

[٤] تيارات ثقافية، مرجع سابق، ص١٩١.

أربعمائة ليلة وثمانون، كل ليلة سمر تام، يحتوي على خمسين ورقة ولكن المنية عاجلته قبل إكماله) [١].

وكذلك ألفوا قصصا عن أخبار العرب وحروبهم في الجاهلية (مثل قصة البراق، وقصة عنترة، وسيف بن ذي يزن، ومجنون ليلى والظاهر بيبرس) [٢].

ومن كتاب هذا العصر، سهل بن هارون، واسمه سهل بن هارون بن راهبون، ويكنى بأبي محمد[٣]. من أصل فارسي، ولد في كورة دستميان التي تقع بين الأهواز والبصرة وواسط[٤]. ثم رحل في مطلع شبابه إلى البصرة وأقام بها، واتصل بيحيى البرمكي وزير هارون الرشيد فأسند له عملا بالدواوين. وحينما أسس هارون الرشيد دار الحكمة عين سهلاً بن هارون مشرفا على بعض الكتب التي بها.

ومن مؤلفات سهل بن هارون كتاب (ثعلة وعفراء) وكتاب (النمر والثعلب)[٥]. ومن مؤلفاته الأخرى كتاب (الوامق والعذراء) وكتاب (أسياسيوس في اتحاد الأخوان) و(كتاب الغزالين)، كتاب (ديوان الرسائل)، كتاب (تدبير الملك والسياسة) [٦].

وقد اشتهرت كتب سهل بن هارون وأقبل كثير من القراء عليها، مما جعل الجاحظ ينسب بعض مؤلفاته إلى سهل ابن هارون طمعا في رواجها واشتهارها[٧].

ثالثا: الرسائل:

---

[١] الفهرست، ص٣٠٤.

[٢] تيارات ثقافية بين العرب والفرس، مرجع سابق، ص١٩١.

[٣] معجم الأدباء، ياقوت الحموي (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله)، طبع مصر ١٩٢٧م، ص٢٥٩.

[٤] البيان والتبيين، ج١، ص٥٢ (الهامش).

[٥] تأريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، مرجع سابق، ج٣،ص٣٥.

[٦] زهراي خانلري: فرهنك، أدبيات فارسي دري، ص٢٨٢.

[٧] تأريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، مرجع سابق، ج٣، ص٣٤.

ينتمي أدب الرسائل إلى النثر الفني بشكل عام، فازدهار الأدب مرتبط في كثير من جوانبه بازدهار هذا النثر، فإذا ما تتبعنا حركة النثر، وجدنا أنه كان في العصر الجاهلي بسيطا غلب عليه لون واحد، هو الخطابة التي احتاج إليها الخطباء الناطقون باسم القبائل في مناسبات شتى منها الحرب والأفراح والصلح بين المتخاصمين.

ولما جاء الإسلام قوى فن الخطابة، وتنوعت أسبابه واختلفت مراميه بفضل الدين الجديد، الذي قلب مفاهيم الناس ومنذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، بدأ الاهتمام بلون نثري جديد، هو الرسائل، فقد احتاج المسلمون إلى أن يكتبوا رسائل الرسول صلى اله عليه وسلم التي كان يوجهها إلى من يريده للإسلام كرسالته إلى هرقل عظيم الروم، والنجاشي ملك الحبشة والمقوقس صاحب مصر. (لكن هذه الرسائل كانت قصيرة تهدف إلى أداء فكري لا إثارة جمال فني، وقد ينسحب مثل هذا الحكم أيضا على رسائل الخلفاء الراشدين) [١].

ومع تقدم الفتوحات الإسلامية، بدأ العرب يحتكون بالأمم الأخرى عن طريق المخالطة وعن طريق التواصل الثقافي بعد أن ازدادت حركة الترجمة، هذا بالإضافة إلى أن أفواجا كثيرة من الأمم الأجنبية دخلت في دين الله، وتعلمت اللغة العربية وأسهمت بفاعلية في عمليات الكتابة والترجمة.

لقد نشطت الكتابة في هذا العصر نشاطا واسعا، وذلك بسبب كثرة الدواوين وتنوع أنشطتها على ساحة الحكم العباسي، فكان له الأثر في ازدهار الكتابة الأدبية، ويقول شوقي ضيف (وقد توافد عليها مئات من أصحاب الأقلام يحدوهم في ذلك ما كانت تدره عليهم من أرزاق واسعة. وكان من يظهر منهم مهارة في دواوين الخلافة سرعان ما يرقى إلى رياسة الديوان الذي يعمل فيه) [٢].

---

[١] الحياة الأدبية في عصر الرسالة والراشدين، مصطفى محمد السيوفي، المطبعة الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٤من ص١٢٠ وما بعدها.

[٢] تأريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص٤٦٥.

لذلك كانت الكتابة في هذا العصر، الوسيلة التي تؤدي إلى أرفع المناصب، فكان على الكاتب الإلمام بألوان الثقافات، وبخاصة الثقافة اللغوية. وكان منصب الكاتب يقتضي أن يكون واسع الثقافة، متجدد المعرفة لأنه يعرض على الخليفة أو الوالي ما يرسل إليه ويكتب عنه ما يرسل منه، (فلم يكن بد للكتّاب من إجادتهم العربية ومعرفتهم بالأدب الفارسي، لهذا ألموا بحكم العرب وحكم الفرس، ووقفوا على تأريخ العرب وتأريخ الفرس، وجمعوا بين حكم الخلفاء الراشدين وأكثم بن صيفي، وحكم بزرجمهر وكسرى أنشروان) [١].

وكان الفرس يشترطون في الكاتب أن يكون ملما بكثير من العلوم الموجودة في عصره. يقول ابن قتيبة (كانت العجم تقول: من لم يكن عالما بإجراء المياه، وبحفر المسارب، وردم المهاوي ومجاري الأيام في الزيادة والنقصان، واستغلال القمر، ووزن الموازين وزرع المثلث والمربع المختلف الزوايا، ونصب القناطر والجسور والدوالي والنواعير على المياه، وحال أدوات الصناع، ودقائق الحساب، كان ناقصا في حال كتابته) [٢].

وهذا الشرط بعينه كان يشترط في الكاتب العباسي، فقد كان يطلب منه أن يكون ملما بكثير من الثقافات الموجودة في عصره وعلى رأسها الثقافة الفارسية. يقول الجاحظ عن الكتّاب في هذا العصر:

(ثم أن الناشئ فيهم إذا وطئ مقعد الرياسة، وتورك مشورة الخلافة، وحجزت السلة دونه، وصارت الدواة أمامه، وحفظ من الكلام فيقه ومن العلم ملحه وروى لبزرجمهر أمثاله، ولارد شير عهده، ولعبد الحميد رسائله، ولابن المقفع أدبه، وصير كتاب مزدك معدن علمه، ودفتر كليلة ودمنة كنز حكمته) [٣].

---

[١] أثر اللغة الفارسية في الأدب العربي في العصر العباسي، سعيد السيد الباجوري، ط الأولى ١٩٨٣م، مكتبة العبور، القاهرة، ص٦٨.

[٢] عيون الأخبار، ابن قتيبة، مرجع سابق، ج١، ص٤٤-٤٥.

[٣] كتاب ذم أخلاق الكتاب، ضمن مجموعة من رسائله، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي، مصر، ١٩٦٥م، ص١٩١-١٩٢.

وقد كان (يشترط في الكاتب عند الساسنيين صفات أخرى غير العلم والثقافة، كالأمانة والعفة، وحسن المظهر، ونظافة الملبس، بالإضافة إلى الذكاء والفطنة) [١]. وهذه أيضا كانت أهم صفات الكاتب في العصر العباسي.

موضوعات الرسائل:

وهي متنوعة، وستتناول الباحثة في هذا الجزء، الرسائل الديوانية، والإخوانية، والتوقيعات.

أما الرسائل الديوانية، فتعنى بالكتابة في شؤون الدولة، كبيعة الخلفاء، وتولية الولاة والوصايا في تدبير السياسة والحكم للوزراء والحكام وما شابه ذلك. ويذكر شوقي ضيف ذلك ويضيف إليه (ومن الفتوح والجهاد ومواسم الحج والأعياد والأمان وأخبار الولايات، وأحوالها في المطر والخصب والجدب) [٢].

وتفننوا في مقدمة رسائلهم، وما يتصل بها من التحميدات وبخاصة منها التي كانت إلى الولاة حين يستولي الخليفة على مقاليد الحكم.

وينسب إلى الرشيد أنه أول من بدأ رسائله بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد البسملة.

من كتاب الدواوين في هذا العصر، عمارة بن حمزة، كاتب السفاح والمنصور، يقول عنه ابن النديم (كاتب أبي جعفر المنصور، وكان تائها معجبا، كريما، بليغا، فصيحا، أعور، وكان أبو جعفر والمهدي يقدمانه ويحتملان أخلاقه لفضله وبلاغته، وولي الأعمال الكبار، وله رسائل مجموعة، من جملتها رسالة الجيش التي تقر لبني العباس) وله رسالة لقبت باسم الماهانية لعامل يستشير فيها عيسى بن ماهان كتبها ابن حمزة على لسان الخليفة : [٣].

---

[١] الوزراء والكتاب، الجهشياري، مرجع سابق، ص٤.

[٢] تأريخ الأدب العبي، العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص٤٦٨.

[٣] الفهرست، ص١٨٩.

(أمير المؤمنين لا ينكر قرب الطاعة من المعصية ، قرب بعض الأمور من بعض، لسرعة تقلب القلوب واختلاف الحالات عند ميل الهوى ولا ينكر جري المقادير بغيب ذلك عن العباد واستئثار الله بعلم ما لم يأتهم إلا بغتة. بل قد علم أمير المؤمنين أن أقواما في قلوبهم ضغائن، دونها الغدر، يظهر أسرارهم ويخرج أضغانهم ثم يبلغ بغضبه منهم ما لم يكن في ذلك عنده عزيزا، ولم يكن بهم امتناع. غير أنه قد أنكر أن تعجل إلى ابن ماهان، وإن كان محلا بارزا – بأمر دون مؤامرته (مشاورته) ويكره لك العجلة فإنها موكل بها الندم وإنه كان يقال: أصاب متأمل أو كاد. وقالت العرب: فإما ترين أمراً رشداً فتبين ثم ارعو أو أقدم واحكم. ولحق ما أمر الله عز وجل به من التبين وما حذر ، يصاب قوم بجاهلة وما خوّف على ذلك من الندامة، فليس يبرح المرء بخير ما فرغ بقول الله عز وجل واتعظ واستيقظ) [1].

وأحيانا يحتاج الخليفة لإذاعة أمر بين الناس، فيقوم الكاتب بكتابة رسالة تقرأ على الملأ – كرسالة أحمد بن يوسف، على لسان طاهر بن الحسين، قائد المأمون في صراعه مع الأمين، مضمونها اعتذار عن قتل الأمين، وتبرير لذلك القتل:

(أما بعد، فإن المخلوع وإن كان قسيم أمير المؤمنين في النسب واللحمة، فقد فرق الكتاب والسنة بينه وبينه في الولاية والحرمة لمفارقته عصمة الدين، وخروجه من الأمر الجامع للمسلمين. يقول الله عز وجل فيما اقتص علينا من نبأ نوح وابنه: "قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح" ولا صلة لأحد في معصية الله، ولا قطيعة ما كانت القطيعة في ذات الله والحمد الله الآخذ لأمير المؤمنين بحقه، والكائد له من خان عهده، ونكث عقده، حتى رد به الإلفة بعد فرقتها وجمع الأمة شتاتها) [2].

فالرسالة – حسبما يرى الكاتب – تبين المبررات التي تعطي الأخ حق قتل أخيه غيرة على الدين، وجمع الأمة أفضل من الاحتفاظ بحياة فرد من أجل قرابته للخليفة لا سيما إن كان ناكثاً لعهد الخليفة.

---

[1] تأريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص٤٦٩.

[2] تأريخ الأدب العربي في العصر العباسي، مصطفى السوفي، مرجع سابق، ص١٥٣.

أما الرسائل الإخوانية، فقد كان موضوعها التعبير عن المشاعر، والانفعالات النفسية، والمواقف، كالعتاب والاعتذار والتعزية والرثاء والاستعطاف، وغيرها مما كان يعبر عنه قبل العصر العباسي بالشعر وحده وكان النادر أن تؤدى بالنثر، ولعل ذلك يرجع إلى ظهور طبقة من الكتاب المجيدين له إجادة تامة، وإلى مرونة النثر في تطويع المعاني. والشعر تكبله قواعده الموسيقية المعقدة لذلك نجد عدداً من الشعراء مالوا إلى التعبير عن عواطفهم بالنثر، وضمنوا كلامهم الإشارات التأريخية، والأمثال السائرة، والأخبار النادرة، والأشعار المشهورة. ومنهم أبو العتاهية والعتابي، ومحمد بن زياد الحارثي وأخوه يحيى. وفيهما يقول ابن النديم (شاعران مترسلان بليغان) [1]. وممن اشتهر بكتابة الرسائل في العصر العباسي الأول، ابن المقفع.

ولمحمد بن زياد الحارثي رسالة في الشكر تقول:

(قد يحب من يتقلب في ظل كرامتك، ويأوي إلى كنف نعمتك، أن يقول بما هو أولى ويخبر عما هو به مرتهن من شكر بلائك "إحسانك" وحق نعمتك، فنحن الذين سبقت نعمتك عليهم، وعظمت منتك لديهم فيما أبليت وأوليت من جميل رأيك، وحسن أثرك، بعطفك وتحننك واستخلاصك إياه مقة وأنسا... في أياد من أياديك عظمت فلا تُجْحَدُ، ونعم من نعمك شُهرت فلا تنكر، ولا يحصى عددها وإن اجتهدنا في حفظها، ولا نبلغ في شكرها، وإن دأبنا في بلوغ تأديته، فقد اعتقدتها منة علينا، ويدا عندنا، فنحن لك صنيعة ما بقينا وبقي الخَلَفُ منا) [2].

ولهم رسائل في الاعتذار، منها رسالة ابن سيابة إلى يحيى بن خالد بن برمك، وفيها يقول الجاحظ:

(وبلغني أن عامة أهل بغداد يحفظونها في تلك الأيام) [3].

والرسالة تقول:

---

[1] الفهرست، ص١٨٩.

[2] العباسي الأول، ص٤٩٢.

[3] البيان والتبيين، ج٣، ص٤٩٣.

(للأصيد الجواد، الوارى الزناد، الماجد الأجداد، الوزير الفاضل، الأشم الباذل، اللباب الحلاحل، من المستكين المستجير، البائس الضرير: فإني أحمد الله ذا العزة القدير، إليك وإلى الصغير والكبير، بالرحمة العامة، والبركة التامة: أما بعد، فاغنم واسلم، وأعلم إن كنت تعلم، أنه من لا يرحم لا يُرحم، ومن يحرم يُحرم، ومن يُحسن يغنم، ومن يصنع المعروف لا يعدم وقد سبق تغضبك علي، وأطراحك لي، وغفلتك عني، بما لا أقوم له ولا أقعد، ولا أنتبه ولا أرقد، فلست بحي صحيح، ولا بميت مستريح، فررت بعد الله منك إليك، وتحملت بك عليك، ولذلك قلت:

أَسْــرَعتْ بــي حثّــاً إليــكَ خُطَــائي فَأَنَاخَــــتْ بِمَــــذْهَبِ ذي رَجَــــاءِ

راغــــبٌ راهــــبٌ إليــــك يرجــــى مِنْــكَ عَفْــواً عنــه وفَضْــلُ عَطَــاءِ

ولَعَمْــرِي مــا مَــنْ أصــرَّ ومَــنْ تــا ب مقــــرّاً مِــــنْ ذَنْبِــــه بسَــــواءِ

فإن رأيت، أراك الله ما تحب، وأبقاك في خير، أن لا تزهد فيما ترى من تضرعي وتخشعي، وتذللي وتخضعي، فإن ذلك ليس مني بنجيزة ولا طبيعة، ولا على وجه تصنع ولا تخدع ولكنه تذلل وتخشع، وتضرع من غير ضارع ولا مهين، ولا خاشع لمن لا يستحق ذلك إلا لمن التضرع له عز ورفعة وشرف) [1].

وقد أكثروا في رسائل التعازي، ووصفهم صبر المنكوب على فقده، والرضاء بقضاء الله، فعندما جزع المهدي بفقد ابنته عزاه إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي برسالة موجزة:

(أما بعد فإن أحق من عرف حق الله عليه فيما أخذ منه، من عظم حق الله عليه فيما أبقى له. وأعلم أن الماضي قبلك هو الباقي لك. وأن الباقي بعدك هو

---

[1] البيان والتبيين (ثلاثة أجزاء)، مرجع سابق، ج ٣ ، ص٤٩٣.

المأجور فيك. وأن أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون منه) [١].

ومن الخصائص الفنية للرسائل الإخوانية في هذا العصر:

- انتشار السجع في الرسائل الإخوانية طوال العصر، وغالب الظن أنه أصبح ذوقا عاما أخذ يعنى به الكتاب.
- العناية بالصور البيانية وبعض ألوان البديع.
- أخذت تسود فكرة الأنموذج في الكتابة. في التهاني والبشارة والإنذار.
- الجاحظ وشيوع أسلوب الازدواج في الكتابة. بل إن الكُتَّاب بعده أخذوا يدخلون عليه السجع ويكثرون منه[٢].

أما التوقيعات، فهي عبارات موجزة، بليغة، تكتب في ذيل الرسالة، تعليقا على ما جاء فيها من طلب أو شكوى أو تظلم وهي عادة كانت موجودة عند ملوك الفرس ووزرائهم، ثم قلدهم خلفاء بني العباس. فامتلأت بها الكتب الأدبية، وحفظها الكتاب.

(قد كان الفرس– ككل الشعوب– يرفعون إلى ولاة أمورهم أوراقاً تتضمن طلباً لشيء أو شكوى من شيء ... وكانت تسمى عند العرب (قِصَصاً)... وكانت تسمى كذلك رقاعاً لصغر حجمها)[٣] وترفع هذه الرقعة إلى الملك أو الحاكم ، والذي كان يعلق عليها بعبارة بليغة أو حكمة يتخير لها احسن اللفظ . (وقد نقل إلى أدبنا العربي الشيء الكثير من توقيعات ملوك الفرس ، من ذلك ، أن رجلاً رفع إلى كسرى بن قباذ رقعة يخبره فيها أن جماعة ن بطانته قد فسدت نّياتهم ، وخبثت ضمائرهم منهم فلان وفلان ، فّوقع في أسفل كتابه ؛ إنما املك ظاهر الأجسام لا النيات واحكم بالعدل لا بالهوى ، وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر).[٤]

---

[١] تأريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص٤٩٣.

[٢] تأريخ الأدب في العصر العباسي، مرجع سابق، ص١٤٥.

[٣] ضحى الإسلام ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ١٨٨ .

[٤] المرجع نفسه والصفحة نفسها .

ووقع أنوشروان في رقعه محبوس (من ركب ما نهي عنه حيل ما بينه وبين ما يشتهي) .[١]

ولما انتشرت الكتابة عند العرب نقلت التوقيعات بكثرة أيام الخلفاء الراشدين وبني أمية . وقد عمل بها العباسيون على نطاق واسع (وكان أكثر الكتّاب والوزراء فرساً فساروا فيها على سنن آبائهم . وكثر ذلك حتى انشأوا فيما بعد ديواناً أسموه ديوان التوقيع). [٢]

جاء في العقد الفريد، أنه كتب جماعة من أهل الأنبار إلى السفاح، يذكرون أن منازلهم أخذت منهم، وأدخلت في البناء الذي أمر به، ولم يعطوا أثمانها. فوقع: (هذا بناء أسس على غير تقوى) [٣].

ووقع أبو جعفر في كتابه إلى عبد الله بن علي عمه:

(لا تجعل للأيام في وفيك نصيبا من حوادثها) [٤].

---

[١] المرجع نفسه والصفحة نفسها .

[٢] المرجع نفسه والصفحة نفسها .

[٣] العقد الفريد المجلد الرابع ، ص٢٩٣.

[٤] المرجع نفسه، ص٢٩٤.

ووقع إلى عبد الحميد صاحب خراسان: (شكوت فأشكيناك وعتبت فاعتبناك، ثم خرجت عن العامة، فتأهب لفراق السلامة) [١].

وفي كتاب أتاه من صاحب الهند يخبره أن جندا شغبوا عليه، وكسروا أقفال بيت المال فأخذوا أرزاقهم منه: (لو عدلت لم يشغبوا ولو وفيت لم ينتهبوا) [٢].

أما المهدي، فقد وقع إلى صاحب أرمينية كتب إليه يشكو سوء طاعة رعاياه: (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) [٣].

وإلى يوسف البرم حين خرج بخراسان: (لك أماني ومؤكد أيماني) [٤].

ووقع هارون الرشيد في قصة رجل من البرامكة:

(أنبتته الطاعة وحصدته المعصية) [٥]، كتب ملك الروم إلى هارون الرشيد: إني متوجه نحوك بكل صليب في مملكتي وكل بطل في جندي. فوقع الرشيد في كتابه: (وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار) [٦].

ووقع المأمون في قصة متظلم من عمرو بن مسعدة:

(عمِّر نعمتك بالعدل فإن الجور يهدمها) [٧]. ووقع في رقعة مولى طلب كسوة: (لو أردت الكسوة للزمت الخدمة ولكنك آثرت الرقاد فحظك الرؤيا) [٨].

ولعل وزيرا لم يبدع في التوقيعات براعة جعفر بن يحيى البرمكي، (وكان إذا وقع نسخت توقيعاته وتدورست بلاغاته) [١].

---

[١] المرجع نفسه، ص ٢٩٤.

[٢] المرجع نفسه، ص ٢٩٥.

[٣] المرجع نفسه، ص٢٩٥.

[٤] المرجع نفسه، ص٢٩٦.

[٥] العقد الفريد الجلد الرابع ، ص٢٩٦.

[٦] المرجع نفسه ، ص ٢٩٦ .

[٧] المرجع نفسه، ص٢٩٨.

[٨] المرجع نفسه، ص ٢٩٨.

ومن توقيعاته في رقعة معتذر من ذنب: (قد تقدمت طاعتك وسبقت نصيحتك، فإن بدرت منك هفوة فلن تغلب سيئة حسنتين).

ووقع في رجل شكا بعض عماله: (قد كثر شاكوك، وقل شاكروك فإما عدلت وإما اعتزلت) [٢].

واشتهر الحسن بن سهل ذو الرياستين بتوقيعاته البليغة فوقع في قصة امرأة حبس زوجها: (الحق يحبسه والإنصاف يطلقه) [٣].

وكتب إليه رجل من الشعراء يقول له:

رَأيتُ في النّومِ أنّي راكبٌ فَرَساً

ولي وصِيفٌ وفي كفيّ دنانيرُ

فقالَ قومٌ لهم فهْمٌ ومعرفةٌ

رَأيتَ خَيْراً وللأحْلاَمِ تَعْبِيرُ

رؤْياكَ فسِّر غداً عند الأمير تَجِدْ

تَعْبِيرَ ذاك وفي النَّومِ التَّباشيرُ

فوقع [٤] في أسفل كتابه (قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ)[٥].

وهكذا فقد كان التوقيع أحيانا آيات قرآنية، أو أبيات من الشعر، أو مثل من الأمثال السائرة.

---

[١] العصر العباسي الأول، ص٤٩٠.

[٢] العقد الفريد المجلد الرابع ، ص٣٠٢.

[٣] المرجع نفسه، ص٣٠٤.

[٤] العقد الفريد المجلد الرابع ، ص ٣٠٤.

[٥] سورة يوسف، الآية(٤٤).

الفصل الرابع

أثر الثقافات الأجنبية في العصر العباسي
العصر الثاني (الشعر والنثر)

المبحث الأول
الشعر

أصبحت بغداد في هذا العصر، محط آمال لكل عالم أو أديب نابغ، فتقاطر إليها من كل حدب وصوب أصحاب الغايات من كل فن للارتزاق وفي مقدمتهم جمهرة الشعراء الذين اخترعوا الموضوعات الجديدة وجددوا القديمة، حتى صار الشعراء أداة الترويح عن الخلفاء والأمراء وتسليتهم، وكان إغداق الخلفاء والأمراء على الشعراء من أهم الأسباب في نهضة الشعر في هذا العصر، الذي اتسم بمعرفة الخلفاء بالشعر ونقده وتمييز غثه من سمينه.

كما شهد هذا العصر تطورا عظيما تمثل في مقدمة القصيدة والتجديد في الألفاظ والمعاني وتطور الأوزان الشعرية للقصيدة العربية وظهور الشعر التعليمي. وفي هذا الجزء من البحث تستعرض الباحثة التطور الذي حدث في أغراض الشعر المتمثلة في الغزل والهجاء والوصف، ونوع جديد اشتهر في هذا العصر وهو شعر الغلاميات والخمريات، التي أفردت لها قصائد كاملة، وكانت من قبل يستفتح بها القصائد.

أما عن منزلة الشاعر في هذا العصر فقد انحطت مقارنة بشعراء العصور السابقة، وما يتمتعون به من منزلة مرموقة إذ أنهم كانوا يقودون قومهم ويخلدون مآثرهم ومفاخرهم ويرفعون شأن قبائلهم، ولكن شاعر هذا العصر صار نديما للخلفاء على طعامهم وشرابهم وسميرهم في الليالي منتظرا على ذلك الجزاء الأوفى. من أبرز شعراء هذا العصر، ابن الرومي، البحتري، ابن المعتز، علي بن الجهم والصنوبري[1].

أولا: أثر الثقافات الأجنبية في أغراض الشعر:

تأثرت أغراض الشعر في هذا العصر بالثقافات الأجنبية وتلونت بألوانها المختلفة، وقد بدا ذلك واضحا في الأغراض التالية:

---

[1] تأريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٢، ج٤، ص ١٨٥.

الغزل:

فقد اجتاح هذا الغرض موجة من المجون والإباحة وأغلب الظن أنها ظهرت في العصر بهذه الصورة لسببين[١]: أولهما: شيوع بعض الأفكار والعقائد الأجنبية، وثانيهما: انتشار الجواري والرقيق في هذا العصر بصورة لم يسبق لها مثيل في العصور السابقة، مما أدى إلى التهتك والخلاعة في المجتمع، وفتح الطريق أمام الشعراء وبخاصة المجان، ليعبروا في صراحة فاضحة عن هذا الفساد الخلقي. فتخيروا للتعبير عن مشاعرهم كلمات عارية وألفاظ نابية، وجهروا بما لم يجهر به سابقوهم، وبما لا يصح الجهر به.

وقد نظم أبو نواس كثيرا من الأشعار في الغزل المكشوف منه الأبيات التالية:

نَضَتْ عنها القميصَ لصَبٍّ ماء ... وَرّدَ وجهها فرطُ الحياءِ

وقابلتِ النسيمَ وقد تعرّتْ ... بمعتدلٍ أرقّ من الهواءِ

ومدّتْ راحةً كالماءِ منها ... إلى ماءٍ مُعَدٍّ في إناءِ

فلمّا أنْ قضَتْ وطراً وهمّتْ ... على عجَلٍ إلى أخّذِ الرّداءِ

رأتْ شخصَ الرّقيب على التّداني ... فأسبلتِ الظلامَ على الضّياءِ

فغابَ الصبحُ منها تَحتَ ليلٍ ... وظلّ الماءُ يَقطِرُ فوقَ ماءِ

فسبحان الإله وقد بَرَاها ... كأحسنِ ما تكون من النّساءِ[٢]

ومن أشعار بشار بن برد في هذا النوع من الغزل:

---

[١] التيارات الأجنبية في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، عثمان موافي، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠م، ص٢٧٤.

[٢] ديوان أبي نواس ، ط دار صادر ، ص ١٩.

حَسْـبِي وحَسْـبُ الـذي كَلِفْـتُ بـه منِّـي ومنـه الحـديثُ والنظـرُ

أو قُبلَـةٌ مـن خـلال ذاك ولا بـأسٌ إذا لـم تُحَـلَّ لـي الأُزُرُ

أو عَضَّـةٌ فـي ذراعهـا ولهـا فـوق ذراعـي مـن عَضِّـها أثَـرُ *

أو لمـسُ مـا تحـت مِرْطِهـا بيـدي والبـابُ قـد حـال دونـه السُّـتُرُ

والسـاقُ برَّاقَـةٌ خَلاخلُهـا أو مَـصُّ رِيـقٍ وقـد عـلا البُهُـرُ [1]

ويقول ابن الرومي في قينة:

تـروح للفسـق فـإن عوتبـت اعتبـت اللائـم بالدلجـة

خراجـة للفسـق دخالـة تعجبهـا الدخلـة والخرجـة

تسـابق الوعـد بإنجازهـا وتفتـدي القبلـة بالعفجـة

مـا نهضـت عـن مجلـس سـاعة إلا وجـدنا تحتهـا محجـة

تقـول أن هاجرهـا سـاعة كـم غمـة تتبعهـا فرجـة

لا تيأسـي يـا نفـس مـن عـودة فـالكبش لا يلهـو عـن النعجـة[2]

هنالك العديد من الأمثلة والشواهد الشعرية على ما فيها من فحش وإسفاف خلقي، يعف القلم عن تسطيره، لا سيما في شعر بشار وأبي نواس. وهذا يمثل ظاهرة

---

* الأغاني، ج٣، ص١٧٨.

[1] ديوان بشار بن برد، ص١٧٠-١٧١.

[2] ديوان ابن الرومي، شرح: محمد شريف سليم، دار الكتب، ج٢، ص٥٠٢.

غريبة في نشأتها وتطورها عن القيم العربية الأصيلة التي نجدها في شعر الجاهلية وصدر الإسلام. (حقيقة أن العرب عرفوا الأدب المكشوف في الجاهلية، وعرفوه في العصر الإسلامي فقد كان للأعشى وسحيم وامرئ القيس وطرفة شعر في الخمر وفي الغزل الحسي، ثم الأخطل في العصر الأموي صاحب خمر وخمريات، وكان عمر بن أبي ربيعة يتغزل في العصر الأموي غزلا حسيا وكان للوليد بن يزيد خمر وفحش. لكن هؤلاء كانوا قلة ضئيلة، وكانوا أكثر الأحوال يتحرزون في ألفاظهم وتعابيرهم وقلما اصطنعوا التصريح الذي تتقزز منه النفوس)[١].

وفي ذلك أيضا يقول أحمد أمين (قد كان فجور الأولين بسيطا ساذجا في ألفاظه ومعانيه كمعيشتهم، وكان فجور الآخرين ممعنا في الوصف، شاملا لكل مظاهر ومشاعر الشهوة يتخير أقبح اللفظ لأقبح المعنى) [٢].

وعن هذا الشعر الفاضح يقول شوقي ضيف (وهو غزل لم يكن يعرفه العرب في العصور الماضية، عصور الوقار، والارتفاع عن درك الغرائز النوعية، حقا عرفوا الغزل الصريح، ولكنهم لم يبلغوا مبلغ العباسيين في الصراحة وما وراء الصراحة من الجهر بالفسوق والإثم دون رادع من خلق أو زاجر من دين) [٣].

وقد أدى هذا إلى نشأة نوع آخر من الغزل، أبشع صورة من النوع السابق، وهو الغزل المذكر. وهذا تحديدا يصور مدى ما وصلت إليه الحضارة من انحطاط وقد ظهر في شعر كثير من شعراء العصر العباسي. (ويبدو أن أول من أعلن ذلك منهم، الشعراء المجان في القرن الثاني، وأكثرهم تجري في عروقهم الدماء الأجنبية وعنهم انتقل إلى بقية الشعراء في القرنين الثاني والثالث وشاع وانتشر)[٤].

---

[١] تيارات ثقافية بين العرب والفرس، أحمد الحوفي، مرجع سابق، ص٢٠٦.

[٢] ضحى الإسلام، أحمد أمين، مرجع سابق، ج١، ص١٩٣.

[٣] تأريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، مرجع سابق، ص١٧٦-١٧٧.

[٤] اتجاهات الشعر العربي في العصر العباسي في القرن الثاني الهجري، محمد مصطفى هدارة، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣م، ص٢٠٤.

ومثالا لهذا النوع ما قاله أبو نواس في غلام مصورا آلامه في عشقه وصد الغلام له، واصفا جماله البديع:

بنَفسي مَنْ يُعذّبنُي هَواهُ كذاك وليس لي أمَلٌ سواهُ

يَتيهُ على العِبادِ بحُسنِ وَجْهٍ وشَعْرٍ قد أُطيلَ على قَفاهُ

وأصْداغٍ يُرَصّفُها أميري على خَدٍّ تلألأُ وَجْنتَاهُ

بَراهُ الله مِنْ ذَهبٍ ودُرٍّ فأحسَنَ خَلْقَهُ لمّا بَراهُ

فلمّا خَطّهُ بشَراً سَوِيّاً حَذا حُورَ الجنانِ على حِذاهُ[1]

أكثر أبو نواس قول الشعر في فتى من فتيان الكوفة يقال له (جمال). فلما تهدده جمال بقتله بخنجر، قال أبو نواس:

يا مُوعِدي بالقَتْل قد حالف الـ خِنْجَرُ في قَتْليَ كَفَّيْكَا

ما خِنْجَرٌ يقتُلُني سَيْدِي أُقْتَلُ مِنْ تَفْتيرِ عَينيْكَا

يا مَنْ دَعَا قَلْبي إلى حُبِّه فقال لبيَّكَ وسَعْدَيْكَا[2]

(وعن سليم بن منصور بن عمار قال : رأيت أبا نواس في مجلس أبي يبكي بكاءً شديداً فقلت : إني لأرجو أن لا يعذبك الله بعد هذا البكاء فأنشأ يقول :)

لم أبكِ في مجلسِ منصور شوقاً إلى الجنةِ والحورِ

ولا مِنَ القبرِ وأهوالِهِ ولا من النفخةِ في الصورِ

---

[1] ديوان أبي نواس ، ط دار صادر ، ص ٤٣٢.

[2] الأغاني ، ج ٢٥ (ملحق) ، ص ٩٨ .

ولا مـن النّارِ وأغلالـها ولا مـن الخذلانِ والجـورِ

لكـنْ بكائـي لبكا شـادنٍ تقيـهِ نَفْسِي كُّل مَحْذورِ[1]

ثم قال : إنما بكيت لبكاء هذا الأمرد الذي إلى جانب أبيك – وكان صبياً حسن الصورة يسمع الوعظ فيبكي خوفاً من الله عز وجل .

ولعبت الأديرة الأجنبية دورا كبيرا في انتشار هذه الظاهرة، وقد كان كثير من الشعراء يذهبون إليها ويعبثون مع غلمانها ومما يصور ذلك عبد الله بن عباس بن الفضل بن الربيع في غلام بدير قوطا:

وشـــادنٍ مـــا رأتْ عَيْنِـــي لـــه شَـــبَهاً فـــي النّـــاسِ لا عجمـــاً مـــنهم ولا عَرَبـــا

إذا بـــدا مُقْـــبِلاً، نَاديْـــتَ وا طَرَبَـــا وإنْ مَضَـــى مُعْرِضَـــاً نَادَيْـــتَ وا حَرْبَـــا

أَقَمْـتُ بالـدِّير حتـى صـار لـي وطنـاً مِـنْ أَجْلِـه ولَبِسْـتُ المُسْـحَ والصّـلبَا

وصـــار شَمّاسُـــه لـــي صـــاحباً وأخـــاً وصـــار قسيســـه والـــداً وأَبَـــا[2]

وقول محمد بن أمية الكاتب في غلام دير الجاثليق:

تَـــذَكَّرْتُ دَيْـــرَ الجَـــاثُلِيقِ وفتيـــةً بهـــم تَـــمّ لـــي السُّـــرورُ واسْـــعَفا

ألا رُبَّ يَـــوْمٍ قـــد نِعَمْـــتُ بظلِّـــه أبـادرُ مـن لـذاتِ عَيْشِـي مـا صَـفَا

---

[1] البداية والنهاية ، مرجع سابق ، ص ٢٤٩– ٢٥٠ .

[2] الديارات ، مرجع سابق ، ص ٤٢ .

أُغــازِلُ فيــه أدْعَــجَ الطّــرْفِ أهْيفَــا وأسْــقِي بــه مِسْــكِيِّة الطَّعْــمِ قَرْقَفَــا[١]

وقول عمر بن عبد الملك الوراق ، الذي اشتهر بالخلاعة والمجون متشوقاً إلى دير حنا ، ومشيراً إلى ذكريات له فيه مع بعض غلمانه :

ارى قَلْبِــــــي قَــــــدْ حَنّــــــا إلــــــى دَيْــــــرِ مَرِيحنّــــــا

إلــــــى غَيْطَانِــــــه الفِــــــيْحِ إلــــــى بِرْكَتِــــــه الغَنّــــــا

إلــــــى ظَبْــــــيٍ مِــــــنَ الإنْــــــسِ يَصِــــــيْدُ الإنْــــــسَ والجِنِّــــــا

إلــــــى غُصــــــنٍ مِــــــنَ البَــــــانِ بــــــه قَلْبِــــــي قَــــــدْ جَنّــــــا[٢]

ويقول بكر بن خارجة :

بِمــــــارة مــــــريم وبِــــــدَيْر زكــــــي ومــــــر تومــــــا وديــــــر الجَــــــاثْلِيقِ

وبالانْجِيــــــلِ يَتْلُــــــوه شُــــــيْوخٌ مــــن القِسَّــــانِ فــــي البيــــتِ العَتِيْــــقِ

وبالقُربَــــــــانِ والصُّــــــــلبَان ألا رَثَيْــــتَ لقلبــــي الــــدَّنِفِ المَشُــــوقِ[٣]

---

[١] الديارات ، مرجع سابق ، ص ٤٢ .

[٢] الديارات ، مرجع سابق ، ص ١١٠ .

[٣] www.annabaa.org .

قال أبو الفرج: هذا الشعر يقوله في غلام امرئ نصراني من أهل الحيرة يقال له عشير بن البراء الصراف ، وله فيه شعر كثير يذكر فيه اعياد النصارى وبيعهم ، وكان دعبل يستحسن قوله :

زِنَـــادهُ فـــي خَصْـــرِهِ مَعْقُـــودٌ كأنَّـــه مِـــنْ كَبِـــدي مَقْـــدُودُ

ويقول : ليت هذين لي بمائه بيت من شعري .[١]

الهجاء:

وقد اختلف الهجاء في هذا العصر أيضا عن العصور السابقة التي كان الهجاء فيها يصور القيم الخلقية والاجتماعية للعرب في قالب من النقد دون الإسفاف والابتذال، باستثناء نقائض جرير والفرزدق والأخطل.

أما في هذا العصر، بلا شك قد تأثر بالمسلك العام في الحياة، الذي يقوم على التحلل من القيم والمثل الخلقية، وعلى الاستمتاع بكل ما تدعو إليه الشهوات، ومن ثم لم (تعد تقف أمام الشاعر الماجن أية عقبة، تحول بينه وبين السب والشتم واللعن واختلاق الأكاذيب التي تصور الخصم على أنه سليل الدعارة أو مقصد اللذة الآثمة) [٢].

ومن الهجاء الذي يكون باختلاق الأكاذيب ما قيل عن الجاحظ واتهامه بالزندقة والانحراف عن الدين، وهو بريئ من ذلك:

يـــــا فتـــــىً نَفْسُـــــهُ إلـــــي مِلَّـــــةِ الكُفْـــــرِ تَائِقَـــــهْ

لـــــك فـــــي الفَضْـــــلِ والتَّزَهـــــ ـــدِ والنُّسْـــــــــــكِ سَـــــــــابِقهْ

فَـــــدَعِ الكُفْـــــرِ جَانِبَـــــا يـــــا دَعِـــــيَّ الزَّنَادِقَـــــهْ[٣]

---

[١] orgwww.annabaa .

[٢] حركات الشيعة المتطرفين وأثرها في الحياة الأدبية والاجتماعية لمدن العراق إبان العصر العباسي الأول، محمد جابر عبد العال، طبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٤م،ص١١٣-١١٤.

[٣] تأريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، مرجع سابق، ص٤٣١.

ومن مثل هذا الافتراء قيل عن محمد بن يزيد المبرد النحوي المعروف:

سَـــألْنَا عَـــنْ ثُمالَـــةَ كَّـــل حـــيٍّ فقـــال القـــائلون ومَـــنْ ثَمالـــةْ

فقلـــتُ محمـــد بـــن يزيـــد مـــنهم فقـــالوا زدتنـــا بِهـــمُ جَهَالَـــةْ[١]

وهناك نوع آخر من الهجاء يقوم على الذم بقبح الخلقة وعلى ثقل الظل أحيانا، من ذلك قول أبي تمام في ابن الأعمش واصفا قبح صورته:

دع ابـــنَ الأعمـــشِ المســـكينَ يبكـــي لـــداءٍ ظـــلَّ منـــهُ فـــي وثـــاقِ

فصـــفرةُ وجهـــه مـــن غيـــر ســـقمِ تـــتمُّ علـــى الشـــقيِّ بمـــا يُلاقـــي

كحلِـــتُ بقـــبحِ صـــورتِهِ وأضـــحى لهـــا إنســـانُ عينـــي فـــي الســـياقِ

مَســـاوٍ لـــو قُسِـــمَن علـــى الغـــواني لمـــا جَهِّـــزنَ إلا بـــالطلاقِ[٢]

ونجد في هجاء ابن الرومي، لونين من الهجاء، لون يشبه شعر المجان، يتخير فيه أقذع الصور، وفيه هتك للأعراض[٣]، ولون فيه السخرية والإضحاك. ولكن أطرف ما قال في الهجاء هو طمس معالم الشخصية المهجوة حتى كأنها لم تكن موجودة.

---

[١] المرجع نفسه والصفحة نفسها .

[٢] شرح ديوان أبي تمام ، الأديب شاهين عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٣ ، ٢٠٠٣م ، ص ٥٢٨.

[٣] انظر ديوان ابن الرومي (اختيار كامل كيلاني)، ٣ أجزاء، ط دار الكتب المصرية، تحقيق: حسين نصار.

يـــا بـــاطلاً وهَمْتنيـــهِ مَخَائِلُـــهُ بـــلا دليـــلٍ ولا تَثْبِيـــتِ بُرْهَـــانِ

قُـلْ لابـن بَـوران إنْ كـان ابـن بـورانٍ ومـــا إخَـــالُ ابـــن بـــورانٍ بإنْســـانِ

مـــا أنـــت إلا خيـــالٌ طَـــافَ طَائِفُـــهُ ولا هِجَائِيـــكَ إلا هَجْـــرُ وسْـــنَانِ

قَـــدْ كنـــتُ أَحْسَـــبُهُ شـــيئاً فـــأهْجُوه حتـــى أزالَ ظُنُـــوني فيـــه حُسْـــبَانِي[1]

الوصف:

دأب الشعراء في هذا العصر، على البحث عن كل جديد محاولين كشف خصائص الأشياء وأسرارها الدقيقة، وكانت وسيلتهم إلى ذلك التصوير. (وهذا شيء جديد لم يألفه شعراء العرب الأولين أو إن شئت فقل إنهم لم يتوسعوا فيه توسع العباسيين، فقد كان الشعر عندهم فنا لغويا أداته الألفاظ) [2]، ولكن بعد أن اختلط العرب بالأمم الأخرى، ذات الثقافات الكلامية، كالتمثيل والتصوير، أكثر المحدثون من شعر الوصف، لا سيما عندما سيطرت تلك الأمم على السيادة في العصر العباسي (وأصبحت هي القابضة على زمام الفن الأدبي، زاد الشعر التصويري زيادة كبيرة) [3].

والوصف كان معروفا قبل العصر العباسي، كوصف الرحلة والصحراء وحياة البادية، ولكن استحدثت أشياء في العصر العباسي نتيجة لحياة الحضارة المترفة الوافدة من بيئات أجنبية، لأن صور الحياة الصحراوية الموحشة تختلف عن حياة البساتين الوارفة والعيون الجارية، لذلك كان الخيال غني ومترف في العصر العباسي.

---

[1] ديوان ابن الرومي ، ط دار الكتب العلمية ، ج٣، ص ٣٩٠.

[2] التيارات العربية في الشعر العربي ، مرجع سابق ، ص٣٣٠.

[3] العمدة في صناعة الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، الطبعة التجارية بمصر، ١٩٦٣م، ص٢٣٨.

وفي هذا الغرض من الشعر، اشتهر ابن الرومي بإجادة الوصف، وكانت لديه المقدرة على وصف كل ما يقع عليه حسه بجميع جزئياته كما برع في وصف ألوان الطعام والفاكهة.

وله من بدائع التشبيه والتمثيل والاستعارة ما لم يحظ به غيره كقوله في رجل يقلي الزلابية:

رَأَيْتُـــهُ سَـــحَراً يَقْلِـــي زَلاَبيـــةً فـي رِقَّـة القِشْـر والتَّجويـف كالقَصَـبِ

كأنَّمـــا زَيْتُـــهُ المَغْلَـــيُّ حـــين بَـــدأ كالكيميـاء التـي قـالوا ولـم تُصَـبِ

يُلْقَـــي العَجِـــيْنُ لُجَيْنَـــاً مـــن أناملِـــهِ فَيَسْـتَحِيلُ شَـبَابِيطاً مـن الـذَّهَبِ[1]

والبحتري أيضا لا يبارى في تصويره الحسي. (حتى كأنما ينقل المشهد بحذافيره لا لنبصره فحسب بل أيضا لنلمسه بأيدينا) [2].

ففي وصفه لإيوان كسرى نجد وصفا حسيا رائعا لصورة معركة رسمت على أحد جدران القصر:

فـــإذا مـــا رَأَيْـــتَ صَـــوَرَةَ أَنْطـــا كِيَـــةَ أَرْتَعْـــتَ بَـــيْنَ رُومٍ وفُـــرْسِ

والمَنَايَـــــا مَوَاثِـــــلٌ وَأَنُوشَـــــرْ وَانَ يُزْجِـي الصُّـفُوفَ تَحْـتَ الـدِّرَفْسِ

فـي اخْضِـرارٍ مـن اللِّبـاسِ علـى أَصْـفَرِ يَخْتَـــــالُ فـــــي صَـــــبِيغَة وَرْسِ

وعِـــــرَاكُ الرِّجَـــــالِ بَـــــيْنَ يَدَيْـــــهِ فـي خُفُـوتٍ مـنهم وإغْمَـاضِ جَـرْسِ

مِـــنْ مُشِـــيحٍ يَهْـــوِي بِعَامِـــلِ رُمْـــحٍ ومُلِـــيحٍ مـــن السِّـــنَانِ بِتُـــرْسِ[3]

---

[1] ديوان ابن الرومي ، ط دار الكتب العلمية ، ج١ ، ص ٢٤٦.

[2] تأريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، مرجع سابق، ص٢٣٠.

[3] ديوان البحتري ، شرح يوسف الشيخ محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٠م ، ص ١٦٢ .

وهذا ابن المعتز يصف الهلال كأنه زورق من فضة أثقلته حمولة:

وانظـــرْ إليـــه كَـــزَورقٍ مـــن فِضَّـــة قَـــدْ أَثْقَلَتـــه حُمولـــةٌ مـــن عَنْبـــر[1]

ويصف روضة قد ارتفع صوت الحمائم بالغناء وجرت الأنهار فيها خمرا ورقصت الأغصان طربا.

رَوْضَـــــةٌ مِـــــنْ قَرْقَـــــفٍ أَنْهَارُهـــــا وغِنَـــــاءُ الـــــورْقُ فيهـــــا ارتِفَـــــاعُ

لا تَلُـــــمْ أغْصَـــــانِها إنْ رَقَصَـــــتْ فهـــي مـــا بـــين شَـــرَابٍ وسَـــمَاعِ[2]

وأيضا هنالك الأثر الأجنبي من فارسي وبيزنطي من المعمار واضح في وصف الشعراء لقصور الخلفاء والتي تحاكي في أناقتها وبزخها قصور الساسانيين، ومثل ذلك وصف البحتري للقصر المعروف بالكامل:

ذُعِـــرَ الحَمَـــامُ وقَـــدْ تَـــرَنَّمَ فَوْقَـــهُ مِـــنْ مَنْظَـــرٍ خَطِـــرِ المَزَلَّـــةِ هائِـــلِ

رُفِعَـــتْ لمُخْتَـــرَقِ الرِّيَـــاحِ سُـــمُوكُهُ وَزَهَـــتْ عَجَائِـــبُ حُسْـــنِهِ المُتَخَايِـــلِ

وكـــأنَّ حِيطَـــانِ الزُّجَـــاجِ بَجـــوِّهِ لُجَـــجٌ يَمُجْـــنَ عَلَـــى جُنُـــوبِ سَـــوَاحِلِ

وكـــأنَّ تَفْوِيـــفَ الرَّخَـــامِ إذا التَقَـــى تأليفُـــــهُ بـــــالمَنْظَرِ المُتَقَابِـــــلِ

حُبُـــكُ الغَمَـــامِ رُصِـــفْنَ بـــين مُنّمـــرٍ وَمُسَـــــيّرٍ ومُقَـــــارِبٍ ومُشَـــــاكِلِ

لَبِسَـــتْ مـــن الـــذَّهَبِ الصَّـــقِيلِ سُـــقُوفُهُ نُـــوراً يُضِـــيئُ عَلَـــى الظَّـــلامِ الحَافِـــلِ

---

[1] ديوان ابن المعتز ، شرح مجيد طراد ، ص ١٠٥.

[2] التيارات الأجنبية في الشعر العربي، مرجع سابق، ص٣٣٤.

فَتَــرَى العُيُــونَ يَجُلْــنَ فــي ذي رَوْنَــقٍ مُتَلَهِّـــبِ العَـــالَي أنيِـــقِ السَّـــافِلِ

وكأنَّمـــــا نُشِـــــرَتْ عَلَـــــى بُسْـــــتَانِهِ سِـــيَراءُ وَشْـــي اليُمْنَـــةِ المُتَواصِـــلِ

أَغْنَتْـــــهُ دِجْلَـــــةُ إذ تلاَحَـــــقَ فَيْضُـــــهَا عَنْ صَوْبِ مُنْسَجِمِ الرَّبَابِ الهَاطِلِ[1]

ووصف ابن المعتز قصر الثريا، في صورة بديعة، إذ علت الشرفات فأصبحت كأنها نساء في أزرهن وتفجرت مياه الأنهار كالسلاسل لتسقي الأزهار وهنالك ساحة كبيرة هي ميدان لسباق الخيل:

وبُنْيَانُ قَصْرٍ قد عَلَتْ شُرُفَاتُهُ

كَصَفِّ نساءٍ قَدْ تَرَبَّعنَ في الأُزُرِ

وأَنْهَارُ ماءٍ كالسّلاسِلِ فُجِّرَتْ

لتُرْضِعَ أَوْلادَ الرَّياحينِ والزَّهرِ

وميدانُ وَحْشٍ تَرْكُضُ الخَيْلُ وَسْطَهُ

فيؤخذ منها ما يشاءُ على قَدْرِ[2]

كما أثرت الثقافات الأجنبية في وصف فصول السنة، لا سيما فصل الربيع. وأغلب الظن أن الربيع لم يلق مثل هذا الاهتمام في العصور السابقة للعصر العباسي (فلم يرو عن العرب في الجاهلية أنهم كانوا يقدسون الربيع، ويحتفلون بقدومه مثل ما روي عن غيرهم من الأمم الأجنبية كاليونان الذين كانوا يعتبرونه رمزا لبداية الحياة،

---

[1] ديوان البحتري ، ط دار الكتب العلمية ، ص ١٢٦.

[2] ديوان ابن المعتز ، تحقيق الخياط ، المكتبة العربية ، دمشق ، ص ١٣٨-١٣٩.

والفرس الذين خصصوا للاحتفال به يوما، أسموه النوروز وعنهم أخذ العباسيون هذه العادة) [1].

الصنوبري، شاعر هذا العصر، يصف قدوم الربيع وقد تحولت الرياض إلى أعياد وأعراس:

ما الدهر إلاّ الربيعُ المستنير إذا أتى الربيع أتاك والنَّوْرُ والنُّورُ

فالأرض ياقوته والجو لؤلؤةٌ والنبت فيروزجٌ والماء بَلُّورُ

تظلُّ تنثر فيه السُّحْبُ لُؤلؤَها فالأرض ضاحكةٌ والطير مسرورُ

حيث التفتَّ فقُمْريٌّ وفاختةٌ يغنيِّانِ وشِفنينٌ وزرزورُ

إذا الهزارانِ فيه صوتا فهما السُّرنايُ والناي بل عودٌ وطنبورُ [2]

وهذا أبو تمام يصور الربيع وكأنه إنسان مبتسما للحياة:

إنَّ الربيع أثرُ الزمانِ لو كان ذا روحٍ وذا جثمانِ

مصوَّراً في صورةِ الإنسانِ لكان بسَّاماً من الفتيانِ [3]

وارتبط وصف الربيع في العصر العباسي، يوصف أنواع الزهور. ومعظم أسماء الزهور التي وردت في أشعار هذا العصر، هي أسماء أجنبية، لم يعرفها العرب من قبل، مثل النرجس والورد والياسمين وغيرها على نحو ما نرى في قول الصنوبري:

أَرَأيتَ أحسن من عُيونِ النَّرجسِ أَمْ مِنْ تَلاحُظِهن وَسْطِ المَجْلِسِ

---

[1] التيارات الأجنبية ، مرجع سابق ، ص٣٤٠.

[2] ديوان الصنوبري ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط ١، ١٩٩٨م ، ج١ ، ص ٤٢.

[3] شرح ديوان أبي تمام ، دار الكتب العلمية ، ص ٤٢٥.

دُرٌّ تشـــقق عـــن يواقيـــتٍ علـــى قُضْـبِ الزَّمـردِ فـوق بُسْـطِ السَّـنْدسِ

أجْفَـــانُ كـــافورٍ حُبِـــيْنَ بـــأعْيُنٍ مِـــنْ زَعْفَـــرانِ ناعمـــاتِ المَلْمَـــسِ[1]

وقوله:

فهـــــذا قَيْصُـــــومُه وخِزَامَـــــا هُ وذا الـــورْدُ فيـــه واليَاسَـــمِينِ[2]

وقول ابن المعتز وقد جسم النرجس في صورة إنسان:

أمـــا تَـــرَى النَّـــرجِسَ الميَّـــاسِ يَلْحَظُنَـــا ذي فَـــــرَحٍ بالغَيّـــــثِ مسْـــــرُورُ

كـــأنَّ أَحْـــدَاقِها فـــي حُسْـــنِ صُـــفْرَتِها مَـــدَاهِنُ التِّبـــرِ فـــي أوْرَاقِ كَـــافُورِ[3]

الخمر:

انتشرت في هذا العصر، ظاهرة احتساء الخمر، وتعددت مجالسه وأقبل الناس عليها من غير تحرج أو شعور بالإثم، وهذا بلا شك نتيجة لحياة الترف والمخالطة اللصيقة للفرس وغيرهم.

وحقيقة إن الجاهليين تحدثوا عن الخمر في شعرهم، (ولكن الذين اشتهروا بذلك منهم، كانوا قلة، كالأعشى، وحسان وعدي بن زيد) [4].

إلا أن العباسيين، قد بالغوا في وصفها، وتشبيهها بالمعشوقة وقد استحوذت على قلوبهم. وعادة الإفراط في شربها مأخوذ عن الفرس وعاداتهم (والفرس من قديم

---

[1] تأريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، مرجع سابق، ص٣٦٥.

[2] المعجم المفصل في المعرب والدخيل، سعدي ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ٢٠٠٤م، ص٤٥٩، (باب الياء).

[3] التيارات الأجنبية في الشعر العربي، مرجع سابق، ص٣٤٥.

[4] أساليب الصناعة في شعر الخمر والناقة، محمد حسين، منشأة المعارف، ١٩٦٠م، ص٩.

الزمان ميالون إلى الإفراط في الشراب والإفراط في الغناء، حتى وصفهم هيرودت بالإمعان في ذلك والغلو فيه، وتصريف شؤون الدولة وهم سكارى) [1].

وكل من كان متهما في دينه، متبعا لعادات الفرس والروم، حذا حذوهم، وتشبه بهم في الانغماس في لذاتها. وكان إمام هؤلاء وزعيمهم، أبو نواس، الذي دعا لشربها وزيّنها كثيرا في شعره، وهو أول من أفرد لها قصائد بأكملها، عرفت في شعر العصر بالخمريات، وفيها وصف الخمر وصف من خبر أسرارها بتجربته الشخصية في معاقرتها:

قامَـــتْ بإبريقِهـــا واللّيْـــلُ مُعتَكِـــرٌ فَـلاحَ مِـنْ وَجْهِهـا فـي البيـت لألاءُ

فأرْســلَتْ مِــنْ فَــم الإبْريــق صــافيةً كأنّمـــا أخْـــذُها بـــالعَينِ إغْفـــاءُ

رَقّــتْ عَــنْ المــاء حتــى مــا يُلائِمُهــا لَطَافــةً وَجَفَــا عَــنْ شَــكلِها المــاءُ

فَلْـــو مَزَجْـــتَ بهـــا نـــوراً لَمَازجَهـــا حتـــى تَوَلّـــدُ أنْـــوارٌ وأضْـــوَاءُ

دارَتْ علـــى فتْيَـــةٍ دانَ الزّمـــانُ لَهُـــمْ فمـــا يُصـــيْبُهُمُ إلاّ بمـــا شَـــاؤوا[2]

ويقول عنه ابن قتيبة وقد سبق إلى معان في الخمر لم يأت بها غيره، كقوله في وصفها :

وخـــدَينِ لـــذّاتٍ مُعلِّـــلِ صـــاحبٍ يَقْتَـــاتُ منـــه فُكاهـــةً ومُزاحَـــا

قـال: أَبْغِنـي المصْـباحَ قلـتُ لـه: اتّئـدْ حَسـبي وحسـبُك ضَـوؤها مصْـباحا

---

[1] ضحى الإسلام، أحمد أمين، مرجع سابق، ج١ ، ص١٩١.

[2] أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، مرجع ساق، ص١٣١.

فسكَبتُ منها في الزّجاجةِ شَرْبةً كانتْ له حتى الصّباحِ صَباحا[1]

ويصور ابن المعتز نشوة الخمر فيقول:

شَرِبْنا بالصّغِير و بالكَبِير ولم نَحْفَل بأحْداثِ الدُّهُورِ

فَقَدْ رَكَضَتْ بِنَا خَيلُ المَلاهي وَقَدْ طِرنا بأَجْنِحة السُّرُورِ[2]

ويصور ابن الرومي ما يجري في خيال شارب الخمر حتى ليتمنى المستحيلات:

ومُدامةٍ كحشاشة النفسِ لَطُفَتْ عن الإدراك باللمسِ

لنسيمُها في قلب شاربها رُوْحُ الرجاءِ وراحةُ النفسِ

وتمد في أملٍ ابن نشوتِها حتى يُؤملَ مَرْجِعَ الأمسِ

وكأنَّها وكأنَّ شاربها قمرٌ يُقبِّلُ عارضَ الشمسِ[3]

وهذه الخمر التي فتنتهم، لم تكن خمرا عربية، وإنما هي أجنبية قديمة، حذق صانعوها في عملها، فهي مفضلة لدى هؤلاء الشعراء، لأنها تجمع بالإضافة إلى القدم، الأصل الأجنبي. كقول أبي نواس، يصف قدمها:

شمولاً تخَطّتها المَنونُ فقد أتتْ سنونٌ لها في دنّها وسِنونُ

تراثُ أناسٍ عن أناسٍ تُخرّموا توارثَها بعدَ البنين بنونُ[4]

---

[1] ديوان أبي نواس ، ط دار صادر ، ص ٨٩.

[2] ديوان ابن المعتز ، ط دار الكتاب العربي ، ج ٢، ص ٢١٠.

[3] ديوان ابن الرومي ، ط دار الكتب العلمية ، ج٢، ص ١٧٢.

[4] ديوان أبي نواس ، ط دار صادر ، ص ٣٧٩- ٣٨٠ .

ويقول أيضا:

أكـــلَ الـــدّهْرُ مـــا تجَسّـــمَ منهـــا وتَبقّـــــى لُبابُهـــــا المَكْنُونَـــــا

ثـــم شُـــجّتْ فاستَضْـــحكتْ عـــن لآلٍ لَـــوْ تجَمّعْـــنَ فـــي يـــدٍ لاقَتُنينَـــا[١]

وهذه الخمر مع قدمها فهي ليست عربية، وينكر عروبتها أبو نواس قائلا:

تراثُ أنوشرْوانَ كِسرَى ولم تكنْ

مواريثَ ما أبْقَتْ تميمٌ ولا بَكْرُ[٢]

ويتصل بالخمريات، وصف مجالسها، وكؤوسها، وآثارها في النفوس، وسقاتها، ووصف الندامى. إذاً البيئة التي كانت مسرحا للندماء، كانت في الأغلب الأعم أجنبية مثل الحانات والأديرة وباعتها كانوا إما يهودا أو نصارى أو مجوسا.

وينسبها مسلم بن الوليد إلى اليهود:

ومانحة شُرَّابِها المُلْكَ قَهْوةٌ

يهودية الأصْهارِ مُسْلَمِة البَعْلِ[٣]

وينسبها ابن المعتز إلى المجوس:

سُلاَفةٌ وَرَثَتْها عادُ عَنْ إرَم

كانت ذَخِيرة كِسرى عَنْ أَب وأَبِ[٤]

---

[١] ديوان أبي نواس ، ط دار صادر ، ص ٣٧٦.

[٢]ديوان أبي نواس ، ط دار صادر ، ص ١٥٥.

[٣] الشعر والشعراء، مرجع سابق، ص٨٢٥.

[٤] التيارات الأجنبية في الشعر العربي، مرجع سابق، ص٣١٣.

وينسبها أبو نواس إلى النصارى:

دراستهُ الإنجيلَ حوْلَ دنانهِ بصيرٌ ببزلِ الدّنّ، والكَيلانِ[١]

والثرواني لا يهمه شيء في الحياة سوى كأس وندمان وغناء في دير وسط طبيعة آسرة :

دَعِ الأيـــــامّ تَفْعَـــــلُ مـــــا أَرَادتْ إذا جَادتْ بندمانٍ وكاسِ

ومارت مريم والصّحْنِ فيه ظَبيّ حديقتانِ من وردٍ وآسٍ نُعاسِ

وخلٌّ لا يحول عن التّصَابي ذَكوُرٍ للمودّةِ غير نَاسِي

ومُحْتضنٍ لطنبور فصيحٍ يُغْنّيني بشعْرِ أبي نوُاسِ [٢]

ويقول إسحق الموصلي لما خرجت مع الواثق إلى النجف بالحيرة ومررنا بدياراتها، فرأيت دير مريم بالحيرة، فأعجبني موقعه وحسن بنائه فقلت :

نِعْـــمَ المَحـــل لمـــن يَسْـــعَى للذّتـــه ديرٌ لمريم فوق الظَّهرِ مَعْمُورُ

ظلِّ ظَلِيل وماءٍ غير ذي أسنٍ وقاصراتٌ كأمثال الدُّمى حُورُ [٣]

---

[١] ديوان أبي نواس ، ط دار صادر ، ص ٣٨١.

[٢] www.annabaa.org

[٣] الموقع نفسه .

وهناك دير الثعالب بمكان يعرف بباب الحديد لا يكاد هذا الدير يخلو من قاصد ومن طارق. وله عيد لا يتخلف عنه أحد من النصارى والمسلمين. قال والي البصرة أيام ثورة الزنج (دهاقنة الهاشمي) :

دَيْر الثَّعالبِ وارفُ الظِّلالِ ومحل كُّل غَزَالـةٍ وغزَالِ

سَقَيْتُه وشَرِبْتُ فَضْلَةَ كاسِهِ فَشَرِبْتُ من عَذْبِ المَذَاقِ زَلالِ [1]

وهنالك تصوير شامل في خمريات أبي نواس عن أماكن الشرب، ومن يديرها من الأجانب، حتى سقاتها أجانب، يبين ذلك زيهم، ويذكر أبو نواس حوارا طريفا في حانة يهودي:

وفتيانِ صِدْقٍ قد صَرَفْتُ مَطِيّهُمْ

إلى بيْتِ خمّارٍ نَزَلْنا به ظُهَرا

فلمّا حكَى الزُّنّارُ أنْ ليس مسلماً

ظنَنّا به خيْراً فظنّ بنا شرّا

فقلنا على دينِ المسيحِ ابن مريمٍ؟

فأعْرَضَ مُزْوَراً وقال لنا هُجَرا

ولكنْ يهوديّ يحبّك ظاهراً

ويُضْمِرُ في المكْنونِ منه لك الخترا

فقلت له ما الاسمُ قال سَموْألٌ

على أنّي أُكنَى بعَمْروٍ ولا عمْرَا

وما شرّفَتْني كُنْيَةٌ عَربيّةٌ

ولا أكْسَبَتْني لا ثناءً ولا فَخْرَا

---

[1] www.annabaa.org .

ولكنّها خَفّتْ وقَلّتْ حروفُها

وليسَتْ كأخرَى إنّما جُعِلتْ وَقْرَا

فقلنا له عُجْباً بظْرفِ لسانِهِ

أجدْتَ أبا عمرو فجوّدْ لنا الخمرا[١]

الشعر التعليمي:ـ

عرف العباسيون نوعا جديدا من الشعر لم يكن معروف من قبل، وهو الشعر التعليمي وذلك نتيجة لرقى الحياة العقلية. غير أنه كان موجودا في الأمم الأخرى (ولقد عرفت اليونان هذا اللون من الأدب عند جماعة من شعرائها القدامى، ومن أشهرهم "هزيود" في القرن الثامن قبل الميلاد)[٢] ولقد كانت للشاعر (هزيود) أعمال منسوبة إليه[٣]:

- (الأعمال والأيام) التي تتناول موضوعي الأخلاق والعقائد.
- (التيوجونيا) أو أنساب الآلهة.

وقد نظم الهنود في هذا اللون من الشعر (وكان للهنود شعر وولع بالشعر والنظم، حتى شكا "البيروني" من نظمهم لقواعد الرياضة والفلك. لأن ذلك يخرجهم أحيانا عن ضبط القواعد، وما يستلزمه من دقة في تعبير لا يتسنى في النظم"[٤].

أما الذي عمل على إشاعة هذا النوع من الشعر في الأدب العربي، هو أبان ابن عبد الحميد إلى جانب نظمه في القصص من مثل كتاب كليلة ودمنة:

هـــــذا كِتَـــــابُ أدبٍ ومِحْنَـــــهْ وهــو الــذي يُــدْعَى كليلــة ودِمْنَــهْ

---

[١] ديوان أبي نواس ، ط دار صادر ، ص ١٤٩.

[٢] الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصداها في الأدب، مرجع سابق، ص٢٧٠.

[٣] المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[٤] ضحى الإسلام، ج١، ص٢٤٦.

فيـــــه دلالاتٌ وفيـــــه رُشْـــــدُ وهـــو كتـــابٌ وضَـــعْتهُ الهِنْـــدُ

فوصـــــفوا آداب كـــــلِّ عَـــــالَمِ حكايـــةً علـــى أَلسُـــنِ البهـــائمِ

فالحكمـــــاءُ يعرفـــــون فَضْـــــلَهُ والســـــخفاءُ يشـــــتهون هَزْلَـــــهُ

وهـــو علـــى ذاك يســـيرُ الحفـــظِ لـــذٌّ علـــى اللســـان عنـــد اللَّفْـــظِ[1]

وله من الأعمال أيضا (القصيدة التي ذكر فيها مبدأ الخلق وأمر الدنيا وشيئا من المنطق وسماها ذات الحلل) [2].

ويقول أبان في الحديث عن الصيام:

هـــذا كِتَـــابُ الصَّـــومِ وهـــو جـــامعُ لكـــلِّ مـــا قَامَـــتْ بـــه الشَّـــرائعُ

مـــن ذلـــك المُنْـــزَل فـــي القـــرآنِ فضـــلاً علـــى مَـــنْ كـــان ذا بَيَـــانِ

ومنـــه مـــا جـــاء عـــن النّبَـــيّ مـــن عهـــده المتَّبَـــع المرضـــيّ

صـــلّى الإلـــهُ عليـــه وســـلَّما كمـــا هَـــدَى اللهُ بـــه وعَلّمـــا

وبعضـــه علـــى اخـــتِلافِ النَّـــاسِ مِـــنْ أَثَـــرِ مـــاضٍ ومِـــنْ قِيَـــاسِ

والجَـــامِعُ الـــذي إليـــه صـــاروا رَأْي أَبـــي يُوسُـــفُ ممـــا اختـــاروا

قـــال أبـــو يوســـف: أمّـــا المُفْتَـــرضْ فرمضـــان صـــومه إذا عَـــرَضْ

---

[1] تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص١٩١.

[2] الأغاني، ج٢٣، ص١٦٥.

ومعـــــه الحَـــــجّ وفـــــي الظِّهـــــارِ الصَّـــــومُ لا يُـــــدْفَع بالإنْكَـــــارِ

وخَطَـــــأُ القَتْـــــلِ وحَلْـــــقُ المُحْـــــرِمِ لرأْسَـــــهُ فيـــــه الصِّـــــيَام فَـــــافْهَم

فرمضـــــــانْ شَـــــــهْرُه مَعْـــــــرُوفٌ وصـــــومه مُفْتَـــــرضٌ موصُـــــوفٌ

والصـــوم فـــي الظِّهـــارِ إنْ لَـــمْ يَقْـــدَرِ مُظَـــاهِر يومـــا علـــى مُحَـــرَرِ

والقَتْـــلُ إنْ لَـــمْ يَكُـــنْ عَمْـــداً قَتَلَـــهُ فـــإنَّ ذاك فـــي الصِّـــيامِ مَثلـــهُ

شَـــــهْرانِ فـــــي العَـــــدَّةِ كـــــاملانِ مُتَّصِـــــــــــلانِ لا مُفْرَقَـــــــــانِ

والحَنْـــــثُ فـــــي روايـــــةٍ مَقْبَولـــــةْ ثلاثـــــــةٌ أيامُهَـــــا مَوْصُـــــولَةْ

ومِثْلُهـــــا فـــــي العِـــــدّة الأيّـــــامِ للمُحْـــــرِمِ الحَـــــالِقِ فـــــي الإحْـــــرَامِ

ثلاثـــــــةٌ يصـــــــومها إن حَلَقَـــــــا لا بـــــأس إنْ تابعهـــــا أو فَرَّقَـــــا[1]

وسار على درب أبان بعض الشعراء منهم علي بن الجهم وابن المعتز وابن دريد (أما ابن الجهم فعني بنظم مزدوجة في التاريخ تقع في أكثر من ثلثمائة بيت)[2].

ويقول ابن الجهم في قصة سيدنا آدم وبداية الخلق:

يـــا سَـــائِلِي عَـــنْ ابْتِـــداءِ الخَلْـــقِ مســـألةَ القاصـــدِ قَصْـــدَ الحـــقِّ

أَخْبَرنِـــي قـــومٌ مـــن الثِّقـــاتِ أولـــو علـــومٍ وأولـــو هَيْئَـــاتِ

---

[1] الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصداها في الأدب، مرجع سابق، ص٢٨١. .

[2] تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، مرجع سابق، ص٢٤٧.

تَفّرغـــوا فـــي طلـــب الآثـــارِ وعَرِفُـــوا مَـــوَارِد الأَخْبَـــارِ

ودَرَسُـــوا التَّـــورَاة والإنجـــيلا وأَحْكَمُـــوا التأويـــلَ والتَّنـــزِيلا

أنَّ الـــذي يَفْعَـــل مـــا يَشَـــاءُ ومَـــنْ لـــه القُـــدْرَةَ والبَقَـــاءُ

أنشـــأ خَلْـــقَ آدمٍ إنْشَـــاءَ وقَـــدَّ منـــه زوجـــه حَـــوَّاءَ[1]

ثم يتحدث عن سلالة آدم من الأنبياء فيأتي إلى نوح:

فأَرْسَـــلَ اللهُ إلـــيهم نُوحَـــا عَبْـــداً لِمَـــنْ أَرْسَـــلَهُ نَصُـــوحَا

فَعَـــاشَ ألفـــاً غيـــر خمســـين ســـنةْ يَـــدْعُو إلـــى الله وتَمْضِـــي الأَزْمِنَـــةْ

يَـــدْعُوهم سِـــرّاً ويـــدعو جَهْـــرا فَلَـــمْ يَـــزِدْهُم ذاك إلاَّ كُفْـــرَا

وانْهَمَكُـــوا فـــي الكُفْـــرِ والطُّغْيَـــانِ وأَظْهَـــرُوا عِبَـــادةَ الأَوْثَـــانِ[2]

وكان ابن المعتز يعتني بنظم سيرة الخليفة المعتضد فقد كانت أيامه أيام رفاهية ورخاء. فنظم فيه ابن المعتز أرجوزة تبين حالة الأمن والاستقرار التي شهدتها خلافته (وهي نحو أربعمائة بيت، وقد افتتحها بحمد الله والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم) [3].

ثم يتحدث عن الثورات التي أخمدها المعتضد، ومنها ثورة القرامطة، فيقول في ذم الكوفة مستقر الفرق الشيعية التي يرى أنها أصل لفرقة القرامطة:

---

[1] تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، مرجع سابق، ص٢٤٧.

[2] الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصداها في الأدب، مرجع سابق، ص٢٩٧.

[3] تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، مرجع سابق، ص٢٤٩.

واسْـــــتَمِع الآن حـــــديثَ الكُوفَـــــةْ مدينـــــــةٌ بِعَيْنِهـــــا مَعْرَوفـــــةْ

كَثيـــــــرةُ الأدْيَـــــــانِ والأئِمَّـــــــةْ وَهَمُّهـــا تَشْـــتِيْتُ أَمْـــرِ الأُمَـــةْ[1]

وأما ابن دريد فقد كان عالما لغويا، وكانت أشعاره تتضمن بعض المعارف. وفي الشعر التعليمي له مقصورته المشهورة في مدح عبد الله بن محمد بن ميكال وإلى الأهواز وابنه إسماعيل.

والنَّـــاسُ كالنَّبْـــتِ فَمِنْـــهُ رَائِـــق غَـضٌّ نَضِـيرٌ عُـودُه مُـر الجَنَـى

ومنـــه مـــا تَقْـــتَحِمُ العـــين فـــإنْ ذُقْـتَ جَنَـاه انْسَـاغَ عَـذْباً فـي اللَّهـا

يُقَـــوَّمُ الشَّـــارِخُ مِـــنْ زَيغانِـــهِ فيســتوي مـا انْعَـاجَ منـه وانْحَنَـى

والشَّـــيخُ إنْ قَوَّمْتَـــه مِـــنْ زَيْغِـــهِ لَـمْ يُقِـمِ التَّثْقِيـفُ منـه مـا الْتَـوى[2]

الزهد:

اختلفت الأقوال حوله، فمنهم من قائل أنه لا صلة لنشأته بأي مؤثر خارج البيئة الإسلامية. وبعض المستشرقين نسبوا نشوء حركة الزهد إلى عناصر أجنبية يرتد بعضها إلى رهبنة المسيحية، وإلى البوذية الهندية، وبعضها يرتد إلى الفلسفة الأفلاطونية. وفي العصر العباسي، ازدهر شعر الزهد والتذكير بالآخرة كرد فعل للتهالك على الترف والملذات والخروج عن آداب الدين.

---

[1] المرجع نفسه ، ص ٢٥٠ .

[2] خزانة الأدب، ص٤٨٩ –٤٩٠.

وكان الشعراء ينظمون قصائدهم ويلقونها على أسماع الخلفاء ولو كانوا في مجلس شرب (على نحو ما يروى عن المتوكل فإن الحماني نقيب العلويين في الكوفة، دخل عليه وهو في مجلس شرب، فأنشده:

باتو على قُلَلِ الأجْبال تحرسهم ... غُلْبُ الرِّجال فما أَغْنَتْهُمُ القُلَلُ

واستُنْزِلوا بعد عِزٍّ من معاقلهم ... فأُودِعُوا حُفَراً يا بئسَ ما نزلوا

ناداهم صارخٌ من بعد ما قُبروا ... أين الأسرَّة والتِّيجان والحُلَلُ

وأفْصح القَبْرُ عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدودُ يَقْتتِلُ

قَدْ طَالَما عَمَرُوا دوراً لتُحَصّنهم ... فَفَارقُوا الدُّور والأهْلِينَ وانْتَقَلُوا[1]

فبكى المتوكل طويلا حتى بلت دموعه لحيته وبكى من كان معه.

ونجد أن شعراء المجون أنفسهم كان لهم شعرا في الزهد بعد رجوعهم إلى الله، وأشعرهم أبو نواس، في آخر أيامه أعلن توبته وكتب شعرا مؤثرا في العزوف عن الحياة واللجوء إلى الله وطلب الرحمة والمغفرة منه. ونجده يتضرع إلى الله بقوله:

يا ربّ إنْ عَظُمَتْ ذُنوبيّ كثْرةً ... فلَقَدْ علِمْتُ بأنّ عفْوكَ أعظمُ

إنْ كان لا يرْجوكَ إلاّ مُحسنٌ ... فبِمَنْ يَلوذُ ويَسْتَجِيرُ المُجْرِمُ

أدعوكَ ربّ كما أمرْتَ تضرّعاً ... فإذا ردَدْتَ يدي فمَنْ ذا يرْحمُ

مالي إليكَ وسيلةٌ إلا الرّجَا ... وجَميلُ عَفْوِكَ ثم إنّي مُسِلمُ[2]

---

[1] تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، مرجع سابق، ص٤٧٤.

[2] ديوان أبي نواس ، دار صادر ، ص ٣٧٢ ، انظر الأغاني، ج٢٥ (ملحق)، ص٣١١-٣١٢.

ويقول:

إنِّـــي رضـــيتُ أَبـــا حَفْـــص وصـــاحِبَه كمـــا رَضـــيتُ عَتِيقـــاً صـــاحبَ الغَـــارِ

وقـــد رضِـــيتُ عَليّـــا قُـــدوةٍ عَلَمـــاً ومـــا رَضِـــيتُ بقَتْـــلِ الشَّـــيخ فـــي الـــدّارِ

كـــل الصـــحابة عنـــدي فاضـــل عَلَـــم فهـــل علـــيَّ بهـــذا القـــولُ مِـــنْ عَـــارِ

إنْ كنـــــتَ تعلَـــــم أَنِّـــــي لا أَحـــــبهمُ إلاّ لِوَجْهـــك فـــاعتِقني مـــن النّـــارِ[1]

ومنهم أيضا محمد بن يسير، وكان ماجنا، فقد ألم يوما بمجلس محمد الزاهد صاحب الفضيل بن عياض فأنشد[2]:

كأنَّـــــه قَـــــدْ قِيْـــــلَ فـــــي مَجْلِـــــسٍ قَـــــدْ كُنـــــت آتيـــــه وأَغْشَـــــاهُ

مُحَمَّـــــدٌ صـّــــارَ إلـــــى ربِّـــــه يَرْحَمُنَـــــــــا اللهُ وإيـــــــــاهُ[3]

وقال أيضا:

عجبـــاً لِـــيْ ومِـــنْ رِضَـــائي بحـــالِ أنـــا منهـــا علـــى شَـــفَا تغريـــرِ

عَالِمَـــاً لا أشـــك أنِّـــي إذا مِـــتُّ إلـــى عَـــدْنٍ أو عَـــذَابِ السَّـــعيرِ

كلمّـــا مـــرَّ بـــي عَلَـــى أَهْـــلِ نَـــادٍ كنـــتُ حينـــاً بهـــم كثيـــر المـــرورِ

قيـــل: مـــن ذا علـــى ســـرير المَنَايـــا؟ قيـــل: هـــذا محمـــد بـــن يســـيرِ[4]

ومن أشهر شعراء الزهد في العصر العباسي، وزعيم هذه النزعة في الأدب، أبو العتاهية الفارسي الأصل. فقد عرف الزهد وفي العصر الإسلامي (ولكن أبا العتاهية أتى في هذا الباب بما لم يسبق إليه.. واصح تعبير في ذلك أن تقول أنه

---

[1] الأغاني، ج٢٥ (ملحق)، ص٣١٣.

[2] تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص٤٠٠.

[3] البيان والتبيين، مرجع سابق، ص٤٧٣.

[4] المرجع نفسه ، ص ٤٧٦.

فلسف الزهد، وملأ الأدب العربي – في عصره – بالموت والتخويف منه ومما بعده، واحتقار اللذة، والجد في الهرب منها) [١].

فيقول:

طَلَبْتُكِ يا دُنْيا فأعْذَرِتِ في الطَّلَبِ فما نِلْتُ إلاّ الهمَّ والغمَّ والنَّصَبْ

فَلَمّا بدأ لي أنَّني لستُ وَاصِلاً إلى لَذَّةٍ إلاّ بأَضْعَافِها تَعَبْ

وأسْرَعتُ في ديني وَلَمْ أَقْضِ بُغْيَتِي هَرَبْتُ بديني منك إنْ نَفَع الهَرَبْ[٢]

فقد تحول أبو العتاهية من حياة اللهو والمجون إلى حياة الزهد والتقشف (وقد تشكك معاصروه في هذا الزهد الذي طرأ عليه وردته كثرتهم إلى عناصر مانوية) [٣] فيقول عنه أحمد أمين (إنه إن كان في نزعة بشار الإباحية عنصر مزدكي، ففي نزعة أبي العتاهية الزاهدة عنصر مانوي) [٤].

ويقول صاحب الأغاني (وكان يقول بالوعيد وبتحريم المكاسب، يتشيع بمذهب الزيدية البترية المبتدعة لا ينتقص أحداً ولا يرى مع ذلك الخروج على السلطان وكان مجبرا) [٥].

ويقال أن منصور بن عمار هتف فيه في بعض وعظه وقال إنه زنديق مستدلا على ذلك بأنه يكثر من ذكر الموت في شعره ولا يذكر الجنة والنار[٦].

---

[١] ضحى الإسلام، ج١، مرجع سابق، ص١٨٥.

[٢] المرجع نفسه، ص١٨٦.

[٣] تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص٢٤١.

[٤] ضحى الإسلام، ج١، ص١٨٧.

[٥] الأغاني٣/١٨٧.

[٦] الأغاني٤/٣٤.

ومن المعروف أن المانوية كانوا يدعون للزهد في الدنيا والعمل للآخرة كما كانوا يدعون إلى ظاهر حسن كاجتناب الفواحش. كما نجد في شعر أبو العتاهية في الزهد، ما يراه المانوية من أن العالم نشأ من أصلين هما النور والظلمة، فنشأ كل خير من النور ونشأ كل شر من الظلمة. وفي ذلك يقول أبو العتاهية:

لكـــلِّ شـــيءٍ مَعْـــدنٌ وجَـــوْهَرُ وَأَوْسَـــــــطُ وَأَصْـــــــغَرُ

وكـــلّ شـــيءٍ لاحـــقٌ بجُـــوهَرِهِ أصْـــــغَرهُ مُتَّصـــــلٌ بـــأكْبرِهِ

الخَيّـــرُ والشَّـــرُ همـــا أزواجْ لـــذا نَتَـــاجٌ ولـــذا نتـــاجْ

لكـــلِّ إنســـانٍ طَبِيْعتَـــانْ خيّـــرٌ وشَـــرٌّ وهمـــا ضِـــدَانْ

والخيَّـــرُ والشَّـــرُ إذا مـــا عُـــدا بينُهمـــا بـــونٌ بعيـــدٌ جـــدا[1]

ولكنه يدين بالتوحيد حين يقول:

فيـــا عَجَبـــاً كيـــف يُعْصَـــى الإل هـ أم كيـــف يَجْحَـــدهُ الجَاحِـــدُ

وفـــي كـــلِّ شَـــيءٍ لـــه آيـــة تـــدل علـــى أنَّـــه واحـــدُ[2]

إذا فهو يمزج بين عقيدة الإسلام وعقيدة المانوية. وفي ذلك يقول أحمد بن حرب (كان مذهب أبي العتاهية القول بالتوحيد وأن الله خلق جوهرين متضادين لا من شيء، ثم أنه بنى العالم هذه البنية منهما، كان يزعم أن الله سيرد كل شيء إلى

---

[1] الأغاني ٤/٣٧.

[2] ديوان أبي العتاهية ، شرح مجيد طراد ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ، ٢٠٠٨م، ص ٤٧٧.

الجوهرين المتضادين قبل تفنى الأعيان جميعا) [1] والجوهرين هنا هما النور والظلمة أو الخير والشر.

ولأبي العتاهية شعر مؤثر بليغ في الزهد والتذكر بالموت ومفارقة الحياة ولذاتها فيقول:

أذنُ حـــــــــيٍّ تَسَـــــــــمّعي واسْـــمَعِي ثـــم عِـــي وعِـــي

عِشْـــــتُ تِسْـــــعِينَ حَجْـــــةً ثـــــم وافَيْـــــتُ مَضْـــــجَعِي

أنـــــا رهـــــنٌ لمصْـــــرَعي فاحـــــذري مثـــــل مَصْـــــرَعِي

لـــــيس زاداً ســـــوى التَّقـــــى فَخُـــــذي منـــــه أو دَعِـــــي[2]

وقال أيضا:

لـو أنّ عبـداً لـه خـزائن مـا فـي الـ أَرْضِ مـا عـاشَ خَـوفَ إمْـلاقِ

يـا عجَبَـاً كلّنَـا يَحِيْـدُ عـن الـ حـين وكـلٌّ لحِينِـهِ لاقِ

كـأنَّ حيّـاً قـد قَـامَ نَادُبُـه والتقّـتِ السَّـاقُ منـه بالسَّـاقِ

واسْـتَل منـه حَيَاتُـهُ مَلِـكُ المـو تِ خُفْيـاً وقِيْـلَ مَـنْ رَاقِ[3]

وهكذا فقد كان التأثير الأجنبي واضحا في أغراض الشعر في هذا العصر، وذلك في الغزل وما اجتاحه من مجون وفسوق وتهتك، نشأ عنه غزل أبشع منه وهو الغزل بالمذكر، كما نال الهجاء نصيبه من الفحش والابتذال وتطرف في التصوير

---

[1] البيان والتبيين، ج٣، ص٤٧٨.

[2] المرجع نفسه، ص٤٨٩.

[3] المرجع نفسه، ص٤٨٩.

الهزلي والسخرية، كما أثرت الثقافات الأجنبية وما فيها من حضارة مترفة بالوصف لا سيما وصف الربيع والأزهار، ثم كان افتتانهم وشغفهم بالخمر وكثرة الحديث عنها غير ان العباسيين اظهروا نوعاً جديداً من الشعر وهو الشعر التعليمي، وكان معروفاً في الأدب اليوناني والهندي . وأخيرا شاع وانتشر شعر الزهد كنوع من رد الفعل المعاكس لحياة المجون والانحلال التي كانت سائدة في هذا العصر .

ثانيا: **الأخيلة والمعاني**:

وتركزت الأخيلة على التجسيد والتجسيم في صورهم التعبيرية، وإفراطهم في ذلك غاية الإفراط ، وهذا بلا شك ناتج عن التأثيرات الأجنبية (ومن أدق وسائل التصوير، التجسيم والتشخيص. والتشخيص ليس سمة من سمات الأدب العربي القديم ولكنه سمة من سمات الأدب اليوناني) [١] لأنهم صوروا آلهتهم في شكل أشخاص بشرية. (فقد تصور شعراء اليونان وأدباؤها الطبيعة على أنها مليئة بالآلهة المختلفة، ومن ثم جعلوا لكل عنصر من عناصرها رب، حتى الأمور المعنوية كالحب والخير والشر والجمال والقبح وهكذا صوروا عناصرها في صور أشخاص بشرية) [٢].

وقول أبي تمام:

لا تَسْقِني ماءَ المَلامِ فإنِّني

صَبٌّ قَدْ اسْتَعذَبْتُ ماءَ بُكائِي[٣]

---

[١] قصة الأدب في العالم، أحمد أمين، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٢م، ص١٢٥.

[٢] التيارات الأجنبية في الشعر العربي، مرجع سابق، ص٣٩٥.

[٣] ديوان أبي تمام ، ط دار الكتب العلمية ، ص ١٤ .

وقوله في المأمون:

وَلَقَدْ أرَاكَ فهل أَرَاك بغبطةٍ

والعَيْشُ غَضٌّ والزَّمانُ غلامُ[١]

وقول البحتري:

أتَاكَ الرَّبِيعُ الطَّلْقُ يَخْتَالُ ضَاحِكاً

من الحُسْنِ حتّى كَادَ أنْ يَتَكَلَّما[٢]

شخص أبو تمام الملام على أنه كائن ملموس له ماء، وفي مدحه للمأمون جعل العيش كأنه شيء غض وجسد الزمان في صورة غلام وجسد البحتري الربيع كائنا يمشي ضاحكا مختالا. وهذا نوع من استخدام الألفاظ والمعاني في هذا العصر بلغ مداه في تطور الخيال.

كما أن الشعراء من ذوي الأصول الفارسية، وأولئك المتأثرين بحضارة الفرس، قد زودوا الشعر العربي بمعان وأخيلة مستخدمة بكثرة في الشعر الفارسي، ونادرة الاستخدام في الشعر العربي، ومن أشهرهم بشار بن برد وأبو نواس، يقول بشار:

يا قومُ أُذْنِي لِبعْضِ الحيِّ عَاشِقَةٌ

والأُذُنُ تَعْشَقُ قَبْل العَيْنِ أَحْيَانا

قالوا بِمَنْ لا تَرَى تَهْذِي فقلتُ لَهُم

الأُذُنُ كالعَيْنِ تُوفِي القَلْبَ ما كانَا[٣]

وقول أبي نواس في وصف الخمر:

ونـــدمانٍ سَـــقَيْتُ الـــرَّاح صِـــرْفاً وسَـــتَرُ اللّيْـــلِ مُنْسِـــدلُ السُّـــجوفِ

---

[١] ديوان أبي تمام ، دار الكتب العلمية ، ص ٢٦٣.

[٢]ديوان البحتري ، دار الكتب العلمية ، ص ١٢٤.

[٣] خزانة الأدب ، مرجع سابق ، ص ٥٤١.

صَـــغَتْ وصَـــفَتْ زجاجتهـــا عليهـــا كمَعْنَـــى دَقَّ فـــي ذهـــنٍ لَطِيـــفِ[١]

وقوله:

قُلْ لزُهْيرٍ إذا اتّكأ وشدَا

أقْلِلْ أو أكْثِرْ فأنْتَ مِهذارُ

سخُنْتَ من شدّة البُرودَةِ حتى

صرْتَ عندي كأنّك النّارُ

لا يعجبِ السامعون من صفتي

كذلك الثّلْجُ باردٌ حارُ[٢]

والعتابي شاعر مولع بالثقافة الفارسية، لذلك هو عميق في أفكار ومعانيه، يقول في الشكر:

فلـــو كـــان للشُّـــكرِ شَـــخْصٌ بَيِـــينُ إذا مـــــا تَأملّـــــه النَّـــــاظِرْ

لَمَثَّلتُـــــه لـــــك حتـــــى تَـــــرَاهُ لِـــتَعْلَم أنِّـــي امـــرؤ شَـــاكِرْ[٣]

وفي النثر من حكمه قوله: الأقلام مطايا الفطن، عشيرك من أحسن عشرتك. أهدى الناس إلى مودتك من أهدى بره إليك[٤].

---

[١] خزانة الأدب ، مرجع سابق ، ص ٥٤١.

[٢] ديوان أبي نواس ، ط دار صادر ، ص ٢١١.

[٣] تيارات ثقافية بين الفرس والعرب، مرجع سابق، ص٢١٦.

[٤] الشعر والشعراء، ص٨٥١.

قال لـه المأمون: بلغتني وفاتك فساءتني، ثم بلغتني وفادتك فسرتني. فقال: العتابي: يا أمير المؤمنين، لو قسمت هذه الكلمات على أهل الأرض لوسعتهم، وذلك لأنه لا دين إلا بك، ولا دنيا إلا معك. قال: سلني. قال: يدك بالعطاء أطلق من لساني[1].

وهنالك أيضا معاني الرهبة والقداسة التي كان يحسها الشعب تجاه الخليفة، ظهرت في شعرهم، وهي مأخوذة من ملوك آل ساسان ببلاد فارس، وكل مظاهر إمبراطوريتهم من احتجاب الخليفة عن رعيته، واتخاذ الوزير والسياف، حتى أن ظهور الخليفة بين أفراد الشعب في المناسبات العامة، كان يعد حدثا كبيرا.

من ذلك وصف البحتري خروج المتوكل يوم عيد الفطر:

أَظْهَـرْتَ عِـزَّ الملْـكِ فيـه بجَحْفَـلٍ لَجِـبٍ يُحَـاطُ الـدّينُ فيـه ويُنْصَـرُ

خِلْنَـا الجِبَـالَ تَسِـيرُ فيـه وقَـدْ غَـدَتْ عُـدَداً يَسِـيرُ بهـا العَدِيـدُ الأكْثَـرُ

فالخَيْـلُ تَصْـهَلُ والفَـوَارِسُ تـدّعى والبَـيْضُ تَلْمَـعُ والأسـنّةُ تَزْهَـرُ

والأرْضُ خَاشِـعَةٌ تَمِيـدُ بثُقْلِهـا والجَـوُّ مُعْتَكِـرُ الجَوَانِـبِ أَغْبَـرُ

حتـى طَلَعْـتَ بضَـوْءِ وَجْهِـكَ فانْجَلَـتْ تِلـكَ الـدُّجَى وانْجَـابَ ذاك العثْيَـرُ

وَرَنَـا إليـك النَّـاظِرُونَ فإصْـبَعٌ يُومَـا إليَـكَ بهـا وعَـيْنٌ تَنْظُـرُ

يَجِـدُونَ رُؤَيتَـكَ التـي فـازُوا بهـا مِـنْ أَنْعُـمِ الله التـي لا تُكْفَـرُ[2]

وقوله أيضا في المتوكل:

---

[1] الشعر والشعراء، ص٨٥١.

[2] ديوان البحتري ، ط دار الكتب العلمية ، ص ٢٠.

إنَّ الرَّعِيَّةَ لم تَزَلْ في سِيرةٍ

عُمَرِيَّةٍ مُذْ سَاسَهَا المُتَوكِّلُ

الله آثَرَ بالخِلاَفَةِ جَعْفَراً

وَرَآهُ ناصِرَهَا الذي لا يُخْذَلُ

هِيَ أَفْضَلُ الرُّتَبِ التي جُعِلَتْ له

دُونَ البَرِيَّةِ وهو منها أفْضَلُ

مَلِكٌ إذا عَاذَ المُسِيءُ بعَفْوِهِ

غَفَرَ الإساءةَ قادِراً لا يَعْجَلُ

وعَفَا كما صَفَحَ السَّحَابُ وَرَعْدُهُ

قَصْفٌ وبَارِقُهُ حَرِيقٌ مُشْعَلُ

شَرَفٌ خُصِصْتَ به ومَجْدٌ بَاذِخٌ

مُتَمَكِّنٌ فوق النُّجُومِ مُؤثَّلُ

لا يَعْدِمَنْكَ المُسْلِمُونَ فإنَّهُمْ

في ظِلِّ ملْكٍ أدْرَكُوا ما أمَّلُوا

حَصَّنْتَ بَيْضَتُهمْ وحُطْتَ حَرِيمَهُمْ

وحَمَلْتَ مِنْ أَعْبَائِهِمْ ما اسْتَثْقَلُوا[1]

وتبلغ القداسة مداها في قول أبي نواس عندما يساوي بين تقبيل راحة الخليفة وتقبيل الركن:

يا نَاقُ لا تَسَالمي أو تَبْلغِي مَلِكاً

تَقْبِيلُ رَاحَتَه والرُّكْنِ سَيّانِ[1]

---

[1] ديوان البحتري ، ط دار الكتب العلمية ، ص ٢٥.

ومن شعره أيضاً يمدح بعض الأمراء :

أوْجَـــــــدَه اللهُ فمـــــــا مِثْلُـــــــهُ بطـالبٍ ذَاكَ ولا نَـاشِـدِ

لـــــيس عَلَـــــى اللهِ بِمُسْـــــتَنكِرٍ أنْ يَجْمَـــعَ العَـــالَم فـــي واحـــدِ[٢]

وقول مروان بن أبي الجنوب في المتوكل:

كانـــتْ خِلاَفَـــةُ جَعْفَـــرٍ كنُبَّـــوةٍ جَـــاءَتْ بـــلا طَلَـــبٍ ولا بِتَنَحَّـــلِ

وهَـــبَ الإلـــهُ لـــه الخِلاَفَـــةَ مثلمـــا وهَـــبَ النُّبّـــوةَ للنّبـــيّ المُرْسَـــلِ[٣]

وقوله :

تَخيَّر ربُّ النَّاس للنَّاسِ جَعْفَرا

فَمَلَّكَهُ أمْرَ العِبَادِ تَخَيُّرا[٤]

وكذلك يصور أبو العتاهية المهدي بصورة ملك عليه تاجان، تاج جلالة وتاج إخبات، وقد بلغ من القوة مبلغا كبيرا:

يـــا نـــاقُ خِبّـــي بنـــا ولا تَعِـــدي نَفْسَـــكِ ممّـــا تَـــرَينَ راحـــاتِ

حتـــى تُنـــاخي بنـــا إلـــى مَلِـــكٍ تَوَّجَـــــــهُ اللهُ بالمَهابـــــــاتِ

عليـــه تاجـــانِ فـــوق مَفرِقِـــهِ تـــاجُ جَـــلالٍ وتـــاجُ إخبـــاتِ

---

[١] ديوان أبي نواس ، ط الغزالي ، ص ٤٢٠.

[٢] البداية والنهاية ، مرجع سابق ، ص ٢٤٨ .

[٣] تأريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، مرجع سابق، ص٣٧٤.

[٤]المرجع نفسه ، ص٣٧٥.

يقـــولُ للـــرّيحِ كُلّمـــا عَصَـــفتْ هَـلْ لـكِ يـا ريـحُ فـي مُبـاراتِي[1]

وفـي مجلـس للخليفـة المهـدي ، يضـم بشـاراً بـن بـرد وأبـا العتاهيـة ، قـال أبـو العتاهية قصيدته التي اولها :

ألا مـــا لســـيِّدَتِي مـــا لَهـــا أدلَّتْ فأجمـلَ إدلالـها

إلى قوله :

أتتـــــهُ الخلافـــــةُ منقـــــادةً إليـهِ تجـررُ أَذْيَالـها

فَلْـــم تـــكُ تَصْـــلحُ إلاّ لـــهُ وَلَـمْ يَكُ يصلـحُ إلاّ لها

ولـو رَامَهـا أحدٌ غيرهُ لَزُلْـزِلَت الأَرْضُ زِلْزَالهـا

وَلَوْ لَمْ تُطْعُه بناتُ القلـوبِ لما قَبِلَ اللهُ أَعْمَالهـا[2]

فقال بشار لجليسه : انظر أطار الخليفة عن فراشه أم لا ؟

---

[1] ديوان أبي العتاهية ، ط دار الكتاب العربي ، ص ٩٧.

[2] البداية والنهاية ، مرجع سابق ، ص ٢٨٩.

المبحث الثاني

الألفاظ والمفردات الأجنبية في الأدب العباسي

دخلت اللغة العربية كثير من الألفاظ والمفردات الأجنبية وذلك نتيجة لاحتكاك تلك الثقافات الأجنبية بالثقافة العربية، عن طريق النقل والترجمة من جانب، وعن طريق التزاوج والتصاهر من جانب آخر.

فاليونانية والهندية، زخرت بها كتب الأدب والفلسفة التي تناولها كتاب عرب. وأما الفارسية فكانت هي الأغلب نتيجة للتأثير العميق في حياة الناس اليومية، فقد توغلت الألفاظ الفارسية في الحياة السياسية والاجتماعية إلى حد بعيد في حياة العرب في فترة الدولة العباسية. يقول الجواليقي في المعرب: (إن معظم الكلمات الدخيلة في اللغة العربية من اللغة الفارسية) [١].

وما قاله الأزهري في (التهذيب: من كلام الفرس ما لا يحصى مما قد أعربته العرب) [٢].

وفي تعريف الدخيل يقول سعدى ضناوي (فكل كلمة دخلت إلى العربية ليست من العربية، فهي دخيلة سواء أعربت أم تركت على حالها) [٣].

وجاء في المزهر (يطلق على المعرب دخيل، وكثيرا ما يقع ذلك في كتاب العين والجمهرة وغيرهما) [٤] ويسوق السيوطي أيضا تعريفاً للمعرب (هو ما استعملته

---

[١] المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، أبو منصور الجواليقي، دار القلم، دمشق، ١٩٩٠م، ص٣١.

[٢] تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٦٧م، ج١، ص٥٨٥.

[٣] المعجم المفصل في المعرب والدخيل، سعدى ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ٢٠٠٤م، ص٦.

[٤] المزهر في علوم اللغة وانواعها ، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، دار الفكر ، المجلد الأول ، ص ٢٦٩ .

العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها)[١]، (تعريف الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها) [٢].

وينقل السيوطي عن أبي حيان (الأسماء الأعجمية على ثلاثة أقسام: قسم غيرته العرب وألحقته بكلامها، فحكم أبنيته باعتبار الأصلي والزائد والوزن، حكم أبنية الأسماء العربية الوضع نحو درهم، وقسم غيرته لم تلحقه بأبنية كلامها فلا يعتبر فيه ما يعتبر في القسم الذي قبله نحو آجر وسِفْسير، وقسم تركوه غير مغير. فما لم يلحقوه بأبنية كلامهم لم يعد منها وما ألحقوه بها عد منها، مثال الأول خراسان لا يثبت به فعالان ومثال الثاني خُرَّم ألحق بسُلَّم) [٣] ، إذاً الأول هو الدخيل والثاني هو المعرب.

يقول الجواليقي في باب (تغيير المعرب) اعلم أنهم كثيرا ما يجبرون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها، فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجا وربما أبدلوا مخرجه، والأبدال لازم لئلا يدخلوا في كلامهم ما ليس من حروفهم وربما غيروا البناء من الكلام الفارسي إلى أبنية العرب) [٤]. وقال سيبويه: (واعلم أنهم إنما يغيرون من الحروف ما ليس من حروفهم فربما ألحقوه بكلامهم وربما لم يلحقوه) [٥].

---

[١] المزهر في علوم اللغة وانواعها ، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، دار الفكر ، المجلد الأول ، ص ٢٦٨ .

[٢] المرجع نفسه والصفحة نفسها .

[٣] المزهر ، مرجع سابق ، ص ٢٧٠ .

[٤] المعرب، الجواليقي، مرجع سابق، ص٦٥.

[٥] الكتاب، سيبويه، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، ط بيروت، ١٩٩٠م، ج١، ص٧٧.

أولا: **المفردات اليونانية والهندية**:

وهي ليست كثيرة مقارنة بالفارسية، ففي اليونانية مثلا نجد: ديماس وهو الحمام العمومي Deemosion، في الحديث في صفة الدّجال (أنه سبط الشعر، كثير خيلان الوجه، كأنه خرج من ديماس) [١].

- دين: القرض، وكل شي غير حاضر دين وهي من اليونانية قال الشاعر:

فإنْ يَكُ، يا جناحُ، عليَّ دَيْنٌ فعمران بن موسى يَسُتَدينُ[٢]

- الدرياق والترياق: وهي يونانية (وحكى ابن خالوية أنه يقال طرياق لأن الطاء والدال والتاء من مخرج واحد، وكلها معناها واحد دواء السموم)[٣]. قال الراجز: ريقى ودرياقى شفاء السم[٤].

والدرياقة: الخمر.

مِنْ خَمْرِ بِيْسَان تَخْيّرتها دِرْيَاقةً تُوشِك فَتْر العِظَامِ[٥]

- الرساطون: شراب يتخذه أهل الشام من الخمر والعسل.

(أهل الشام يسمون الخمر الرساطون، وسائر العرب لا يعرفونه، وأراها رومية دخلت في كلام من جاورهم من أهل الشام ومنهم من يقلب السين شينا فيقول رشاطون) [٦].

- أبنوس: شجر من الأبنوسيات، خشبة في غاية الصلابة، من اليونانية عن المصرية القديمة. قال أبو طالب المكفوف:

---

[١] المعجم المفصل في المعرب والدخيل، سعدى ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ص٢٣٠، (باب الدال).

[٢] المرجع نفسه، ص٢٣٠.

[٣] المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، أبو منصور الجواليقي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط٤، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ص١٤٢، الهامش.

[٤] المعجم المفصل، مرجع سابق.، ص١٤٢.

[٥] المرجع نفسه ، ص١٤٢.

[٦] المرجع نفسه ، ص١٥٧.

يَتَثَنَّـــــى بِحُسْـــــنِ جِيِـــــد غَـــــزَالٍ ذي صـــليب مُغَضَـــضٍ أَبَنُـــوسِ[١]

- أنسون، أَنْسُون: حب معروف يدخل في صناعة الأدوية من اليونانية aneeson، قال الشاعر:

يـــــا طَبِيَبـــــاً بالأنْسُـــــون يُـــــدَاوي لـــيس مـــا بِـــيْ يَـــزُولُ بالأنُسُـــونِ[٢]

- إبريز: في اليونانية obryzan، ومعناها الذهب الخالص.

قال النابغة:

مُزيّنة بالإبرزي وَحَشْوها

رَضِيعُ النَّدى والمُرْشَفَاتِ الحَواصِنِ

- إبريسم: في اليونانية prasions وتعني الحرير الأخضر، قال ذو الرمة:

كأنَّمـــــا اعتمـــــت ذُرى الجِبَـــــالِ بـــــالقَّزِ والإبريســـــم الهَلْهَـــــالِ[٣]

وأيضا أخذ من اليونانية كائنات بحرية مثل أخطبوط وأصلها Oktopus وتعني ذا ثمانية أرجل. وأخنوس من اليونانية كائن بحري مغلف بالشوك[٤].

- إزميل: في اليونانية Smill-ee بمعنى شفرة الحذّاء، قال عبدة بن الطبيب:

عَيْرانةٌ يَنْتَحِي في الأرض مِنْسَمُها

كما انْتَحى في أَدِيمِ الصّرِف إزميلُ[٥]

---

[١]المعجم المفصل، مرجع سابق ، ص١٣.

[٢]المرجع نفسه ، ص١٦.

[٣] المعجم المفصل، مرجع سابق، ص١٩.

[٤]المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[٥]المعجم المفصل، مرجع سابق ، ص٢٤.

- أسطرلاب: آلة قياس دوائر الأرض وارتفاع الكواكب عن الأفق في اليونانية astron أي نجم أو كوكب[١].
- أسطورة: من اليونانية hestoria الخرافة الملفقة[٢].
- أسطول: مجموعة من السفن المتشابهة تبحر سوية في اليونانية stol-os ، قال البحتري:

يَسُوقونَ أسطولاً كأنَّ سَفِينَهُ سَحَائِبُ صَيْفٍ مِنْ جَهامٍ ومُمطِرِ[٣]

- أسفنج: جسم كثير المسام كبيرها، قابل لامتصاص السوائل وللعصر من اليونانية Spoggia ويعني (المنعصر) [٤].
- طلسم: أشياء نقشت عليها أو رسمت إشارات لها علاقة بالعالم الخفي أو السحر، ينسب إليها القدرة على تحقيق السعادة أو التمتع بقوة فائقة. من اليونانية Telesma وتعني الطقس (في العبادة). قال ابن الرومي:

وفي لُطْفِكَ طَلْسَمٌ لحالي أي طَلْسَمِ[٥]

- قرطاس: الصحيفة الثابتة التي يكتب فيها، جمعها قراطيس من اليونانية Kartees أي ورقة، خارطة. قال المتنبئ:

فَالخَيْلُ واللَّيْلُ والبَيْدَاءُ تَعْرِفُني

والسَّيْفُ والرُّمْحُ والقِرطَاسُ والقَلَمُ[٦]

---

[١]المرجع نفسه ، ص٢٩.

[٢]المرجع نفسه ، ص٣٣.

[٣] المعجم المفصل، مرجع سابق، ص٣٤.

[٤]المرجع نفسه ، ص٣٤.

[٥]المرجع نفسه ، ص٣٣٧.

[٦]شرح ديوان المتنبئ ، ط دار الكتاب العربي ، ج ٤، ص ٨٥ .

ومن الهندية نجد كلمة شاش قماش رقيق، إذا لُف على الرأس يغدو (العمامة). قال الصنوبري:

أُهْدِيتْ لِيْ مِنْكَ شَاشَاً لا أزال أَرَى

به لك المِنَّة العُظْمَى عَلَى رَأْسِي[١]

- طوبى: قيل أنه اسم الجنة بالهندية، أنشد قتادة:

طُوبَى لَمْن يَسْتَبْدِل الطُّودَ بالقرى

ورسلا بِيَقْطِين العراق وفُومِها[٢]

- مسك: ضرب من الطيب، الأصل هندي، قال جران العود:

لَقَدْ عَاجَلَتْنِي بالسِّباب وثوبها

جديدٌ ومِنْ أَرْدَانِها المِسْكُ يَنْفَحُ[٣]

- مندل/ مندلي:

العود المندلي أجود أنواعه، نسبة إلى "مندل" وهو بلد بالهند، "مندل" و"مندلي" عود الطيب الذي يتبخر به، العود الرطب، العود المطري بالمسك والعنبر واللبان. مركبة من "مندل" البلد الهندي و"ي" النسبة. قال العجير السلولي:

إذا ما مَشَتْ نَادَى بما في ثِيَابِها ذَكيُّ الشَّذا والمَنْدليّ والمَطِيْرُ

وقال كشاجم:

كأنَّما في جَوْفِه قَهْوةً ينقع فيها مَنْدَل هِنْديّ[٤]

ثانيا: المفردات والألفاظ الفارسية :

لقد تسربت إلى العربية ألفاظ فارسية كثيرة على مراحل زمنية متفاوتة، وكان مجالها واسع الآفاق متعدد الوجهات والأسباب، بحيث أصبحت هذه الألفاظ جزءا من

---

[١] المرجع نفسه ، ص٢٩٨.

[٢] المعجم المفصل، مرجع سابق، ص٣٣٨.

[٣] المرجع نفسه ، ص٤٢٣.

[٤] المرجع نفسه ، ص٤٢٨.

العربية لا يمكن التخلص منه. وحين نعود إلى الشعر العربي في مختلف العصور نجد فيه الكثير من الألفاظ الفارسية المتناثرة ابتداء من أوائل الشعر الجاهلي وحتى عصرنا الحالي. ولكن من الملاحظ أن نسبة هذه الألفاظ تزداد في العصر العباسي، وتكثر لدى الشعراء من ذوي الصلات بفارس.

ويرى الأستاذ حامد عبد القادر أن العربية مع تأثرها بالفارسية في أساليبها فإنها لم تأخذ منها إلا ألفاظا ولم تأخذ منها عبارات أو جملا. ويلاحظ أن الكلمات الفارسية الدخيلة لها بوجه عام خصائص منها:

- أنها قليلة القدر بالنسبة للكلمات الأصلية وذلك أنها دخلت في العربية بعد أن تم للعربية كيانها ولم تكن محتاجة إلى الاقتباس إلا في ألفاظ نادرة تدل على معان أو أشياء مستحدثة لم يكن لها نظائر في العربية الأولى.
- أن جميع ما أخذته العربية من غيرها، أسماء ولم يكن حروفا ولا أفعالاً غير أن العرب بما طبعوا عليه من مرونة لغوية كثيرا ما كانوا يشتقون من هذه الأسماء الدخيلة أفعالا.
- أنها أسماء من نوع خاص، كأسماء نبات أو حيوان أو معانٍ أو مأكولات أو مشروبات لم يعهدها العرب من قبل[١].

المفردات والألفاظ المركبة :

ومن الألفاظ، تمحض تركيبه من اللفظ الأعجمي وذكر القلقشندي (وقاعدة اللغات العجمية تقديم المضاف إليه على المضاف والصفة على الموصوف، بخلاف اللغة العربية) [٢].

فمثلا في حال أن تكون الإضافة إلى لفظ "دار" يقول: (وهي لفظة فارسية معناها ممسك فاعل من الإمساك) [١] .

---

[١] قصة الأدب الفارسي، حامد عبد القادر، نهضة مصرة، الفجالة، ١٩٥١م، ص١٩٣.

[٢] صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي القلقشندي، شرحه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج٥، ص ٤٢٩ .

وليس كما يتبادر إلى ذهن العامة بمعنى المحل، كدار السلطان أو الأمير. ويذكر القلقشندي المضاف إلى لفظ دار من وظائف منها[٢]:

- **الإستدَّار**: بكسر الهمزة وهو لقب على الذي يتولى قبض مال السلطان أو الأمير وصرفه و تُمتثل أوامره فيه. وهو مركب من لفظتين فارسيتين: استذ ومعناها الأخذ والثانية دار ومعناها الممسك والمعنى المتولى للأخذ.
- **الجوكاندار**: وهو لقب الذي يحمل الجو كان مع السلطان في لعب الكرة وهو مركب من لفظتين فارسيتين أيضا إحداهما جوكان وهو المحجن الذي تضرب به الكرة والثانية دار فيكون المعنى ممسك الجوكان.

وغيرها من الألفاظ مثل:

- **الطبردار**: ممسك الطبر أي الفأس وهو الشخص الذي يحمل الطبر حول السلطان غير ركوبه في المواكب وغيرها.
- **والسنجقدار**: وسنجق لفظ تركي معناه الرمح ومعناه ممسك الرمح والمراد العلم أو الراية.

وهنالك ضرب آخر فيما تركب من لفظ عربي ولفظ أعجمي وله حالتان. يقول القلقشندي في الحالة الأولى (أن يصدر بلفظ أمير وهو لفظ عربي كما تقدم فيا لكلام على ألقاب أرباب الوظائف، وفيها أربعة ألقاب:

- الأول: **أمير آخور**: وهو الذي يتولى أمر اصطبل السلطان أو الأمير وهو مركب من لفظين أحدهما عربي وهو أمير والثاني فارسي وهو آخور ومعناه المعلف والمعنى أمير المعلف المتولي لأمر الدواب.
- الثاني: **أمير جاندار**: وهو لقب على الذي يستأذن على الأمراء وغيرهم في أيام المواكب. وهو مركب من ثلاثة ألفاظ أحدهما عربي وهو أمير والثاني

---

[١] المرجع نفسه والصفحة نفسها .

[٢] المرجع نفسه ، ص ٤٢٩– ٤٣٠ .

جان ومعناه الروح بالفارسية والتركية جميعا والثالث: دار: ومعناه ممسك كما تقدم – فيكون المعنى "الأمير الممسك للروح"، على أن المراد أنه الحافظ لدم السلطان فلا يأذن عليه إلا لمن يأمن عاقبته.

- الثالث: **أمير شكار**: وهو لقب على الذي يتحدث على الجوارح من الطيور وهو مركب من لفظين أحدهما عربي وهو أمير والثاني فارسي وهو شكار ومعناه الصيد فيكون المراد "أمير الصيد".
- والرابع: أمير طبر: وهو لقب على الذي يتحدث على الطبردارية الذين يحملون الأطبار حول السلطان في المواكب ونحوها. وهو مركب من لفظين: أحدهما عربي وهو أمير، والثاني طبر وهو بالفارسية الفأس.

وأما الحالة الثانية كما يقول القلقشندي أن لا يُصدّر اللقب بلفظ أمير.

- الأول: **الدَّوادار**: وهو لقب الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير وهو مركب من لفظين أحدهما عربي وهو الدواة والمراد التي يكتب بها. والثاني فارسي وهو دار ومعناه ممسك ويكون المعنى (ممسك الدواة).
- الثاني: **السلاح دار**: وهو لقب على الذي يحمل سلاح السلطان أو الأمير. وهو مركب من لفظين: أحدهما عربي وهو السلاح، والثاني فارسي وهو دارس معناه ممسك، ويكون المعنى (ممسك السلاح).
- الثالث: **الخِزندار**: وهو لقب الذي يتحدث على خزانة السلطان أو الأمير أو غيرهما. وهو مركب من لفظين أحدهما عربي وهو خزانة وهي ما يُخْزَن فيه المال والثاني فارسي وهو دار ومعناه ممسك ويكون المعنى (ممسك الخزانة) والمراد المتولي أمرها.
- الرابع: **العلم دار**: وهو لقب على الذي يحمل العلم مع السلطان في المواكب وهو مركب من لفظين: أحدهما عربي وهو العلم أو الراية والثاني فارسي وهو دار ومعنا ممسك، ويكون المعنى (ممسك العلم).

دخلت كثير من المفردات الفارسية إلى اللغة العربية نظرا لخفتها وسهولة النطق بها وبقيت مترادفة مع المفردات الأصلية تعيش جنبا إلى جنب. ولقد عبر الجاحظ عن هذه النزعة فقال: (ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم ولذلك يسمون:

- البطيخ الخريز
- ويسمون السميط الروذق
- ويسمون المصوص المزوز

وكذا أهل الكوفة فهم يسمون:

- المسحاة بال بالفارسية
- الحوك باذروج[١]

وأهل البصرة إذا التقت أربعة طرق يسمونها مربعة، ويسميها أهل الكوفة جهارسو وجهارسو بالفارسية. ويسمون السوق أو السويقة وازار والوازار بالفارسية، ويسمون القثاء خيارا والخيار فارسية ويسمون المجزوم ويزي بالفارسية[٢].

وهناك بعض المفردات التي قل من يعرف أنها ليست عربية أصلا (وأنها مقترضة من الفارسية مثل كلمة ديباج واصلها فارسي من "ديو" أي شيطان و"باف" من الفعل "بافتن" أي نسيج ومعناه الحرفي نسيج الشيطان، لجودته وعجز عامة الناس عن صنعه) [٣].

وكلمة مهندس التي يحللها الخوارزمي في مفاتيح العلوم فيقول: (وأما الهندسة فكلمة فارسية معربة وهي بالفارسية أندازة أي المقادير. قال الخليل: المهندس الذي

---

[١] الحيوان، ، الجاحظ ، ط دار المعارف، تونس، تحقيق: حسن السندوبي، ج، ١ص٢١.

[٢] البيان والتبيين، أبو عمرو الجاحظ، حققه وقدم له: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ١٩٦٨م، ص٢٦.

[٣] مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، معهد العلوم الثقافية، نصف سنوية، العدد: الثالث عشر، مارس ٢٠٠٤م، طهران، ص١٨، مقال: لمحمد الهادي عياد.

يقدر مجاري القنى ومواضعها وهو مشتق من الهندزة وهي فارسية فغيرت الزاي سينا في الإعراب لأنه ليس بعد الدال زاي في كلام العرب) [١].

وقال الخفاجي في لفظ فنجان: (هو إناء صغير من الخزف تشرب منه القهوة وهو معربة بنكان بالفارسية) [٢]. ولعل أسماء الأزهار من أكثرها ورودا في الشعر العربي ولاسيما لدى الشعراء الذين عنوا بوصف الطبيعة. فالأعشى أكثرهم ذكرا للأزهار. وهنا نماذج[٣] من الألفاظ الأعجمية الفارسية في الشعر العربي، يقول الأعشى:

لنـــا جُلّســـان عنـــدها وَبَنفْسَـــجٌ وسيســـنبر والمرزجـــوش مُنَمْنَمَـــا

(جلسان) من الكلمة (كلشن) أي روضة الورد، والبنفسج وسيسنبر والمرزجوش أنواع من الأزهار.

قال البحتري:

والخُـــدُود الحِسَـــان يبهـــي عليهـــا جُلْنَـــار الرَّبيـــع طَلْقـــاً ورودُهُ

وقال أبو نواس :

يـــــامَنْ بمقلتِيـــــهِ العُقَـــــارُ وبوَجْنَتَيْـــــهِ الجلُّنَـــــارُ[٤]

(الجلنار) أصلها (كل) بمعنى زهرة و (نار) بمعنى الرومان فصارت زهرة الرمان.

ومن الألفاظ التي لها علاقة بالأرض والبناء:

دست: البيد أو الصحراء، أصلها كانت دشت.

---

[١] مفاتيح العلوم، أبو عبد الله الخوارزمي، تحقيق: نهى النجار، ط دار الفكر اللبناني، ١٩٩٣م، ص٢١٧.

[٢] معجز الألفاظ والتراكيب المولدة في شفاء الغليل في كلام العرب من دخيل، شهاب الدين الخفاجي، تحقيق: قصي الحسين، لبنان، ١٩٨٧م، ص١٨١.

[٣] أثر اللغة العربية على اللغة الفارسية، إسحق حسن رحماني، بحث غير منشور، لنيل درجة الماجستير، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية ١٩٩٨م، ص٤٨٣.

[٤] ديوان أبي نواس ، ط دار صادر ، ص ١٨٣.

وَقَـــدْ لُمْـــتُ فَـــارِسَ وحِمْيَـــر والـــ أَعْـــرَابِ الدّشْـــتَ أَيْهُـــم نَـــزَلا

الخندق:

أول من أدخلها إلى العربية سلمان الفارسي رضي الله عنه في واقعة الخندق، أصل معناها المحفور، من المصدر (كندن) بمعنى الحفر ومن (كنده) المحفور، وحولت الهاء إلى قاف عند التعريب.

قال أبو نواس :

عَلَـــى تَمَاثِيـــلِ بَنـــي بِابـــك مُحْتَفَـــرٌ مـــا بيـــنهم خَنْـــدقُ[1]

إيوان:

الشرفة أو هي قسم مكشوف من المنزل، يشرف على صحن الدار. قال البحتري:

له بُنَي الإيوانُ مِنْ عَهْدِ هرمز

وأَحْكَم طبع الخسراونية القُضْبُ

ولون آخر من الألفاظ لا يقل أهمية عما ذكر وهو الألفاظ العامية الأعجمية التي دخلت العربية وهي كثيرة ولكن هذه بعض منها[2].

- ميخانة: الخمارة. مركبة من (مي) بمعنى الخمرة و(خانة) بمعنى البيت.
- كمانجة: (كمان) بمعنى القوس و(جه) علامة التصغير، المعنى القوس الصغير.
- أستاذ: معلم
- كباب: كل لحم مشوي.

---

[1] ديوان أبي نواس ، ط دار صادر ، ص ١٥٧.

[2] أثر اللغة العربية على اللغة الفارسية، إسحق حسن رحماني، بحث غير منشور، لنيل درجة الماجستير، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية ١٩٩٨م، ص٤٨٥.

- كهرباء: معناها جاذب القش. مركبة من (كاه) بمعنى التبن و(رباه) جاذب.
- بارود: مفرقعات تستعمل في التفجير.
- برنامج: نظام، منهاج، في الفارسية يكتب برنامه.
- بخت: حظ.
- جنزير: سلسلة غليظة في الفارسية زنجير.
- دهليز: ممر.
- زلابية: حلوى من عجين وسكر.
- سفرة: مائدة.
- سمسار: وسيط في المعاملة.
- زفت: قار.
- شاكوش: مطرقة صغيرة .
- اسطوانة: قرص يسجل عليه الصوت .

والجدير بالذكر، أنه لا يوجد فيما دخل في العربية من ألفاظ فارسية، أصواتها فارسية محتفظة بشكلها الأصلي كما كانت عليه الفارسية، وهي الأصوات التي لم تكن موجودة أصلا في العربية. ذلك أن اللفظة الفارسية التي تدخل إلى العربية يعتريها غالبا بعض التغيير الصوتي، الذي يجعلها تتلائم مع اللسان العربي، بحيث يتم استبدال الأصوات الموجودة في هذه الألفاظ بأصوات أخرى معروفة بالنسبة للعرب، مثلا الجيم الفارسية قد أبدلت كافا أو قاف، والفاء المجهورة أبدلوها واوا.

ويقول الدكتور صبحي الصالح (والعربية على اتساع مدرجها الصوتي ازداد سعة على سعة يوم أدخلت بين حروفها الهجائية أصواتا تقاربها مخرجا أو صفة، إذ عربت هذه الأصوات الدخيلة وحددت لها مواقعها من جهاز النطق) [1].

وجاء في البيان والتبيين (وقد يتلمح الأعرابي بأن يدخل في شعره شيئا من كلام الفارسية كقول العماني للرشيد في قصيدته التي مدحه فيها:

---

[1] دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، ط٩، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٠م، ص٣١٩.

مـــن يلقـــه مـــن بطـــل مســـرند فـــي زعفـــة محكمـــة بالســـرد

بجول بين راسه و"الكرد"[1]

يعني العنق. ويقول فيه أيضا:

لمـــا هـــوى بـــين غيـــاض الأســـد وصـــار فـــي كـــف الهزبـــر الـــورد

آلي يذوق الدهر "آب سرد"[2]

وكقول الآخر:

وولهنـــي وقـــع الأســـنة والقنـــا و"كـــافر كوبـــات" لهـــا عجـــز قفـــد

بأيـــدي رجـــال مـــا كلامـــي كلامهـــم يســـومونني "مـــردا" ومـــا أنـــا "والمـــرد"

وقال أسود بن أبي كريمة:

لـــــــزم الغُـــــــرَّام ثـــــــوبي بكـــــرة فـــــي يـــــوم ســـــبت

فتمايلـــــــــــت علـــــــــــيهم ميـــــــل زنكـــــــي بمســـــــت

قـــــد حســـــا الـــــداذي صـــــرفا أو عقـــــــــارا بايخســـــــــت

ثـــــــم كفـــــــتم ذو زيـــــــاد وبحكـــــــم إن خـــــــر كفـــــــت

إن جلـــــــــــدي دبغتـــــــــــه أهـــــــل صـــــــنعاء بحفـــــــت

---

[1] البيان والتبيين، ص٨٩.

[2] المرجع نفسه، ص٩٠.

وأبـــــــو عمـــــــرة عنـــــــدي ان كـــــــور يـــــــز نمســـــــت

جـــــــالس انـــــــدر مكنـــــــاد أبـــــــا عمـــــــر بنهشـــــــت[1]

[1]البيان والتبيين ، ص٩٠.

المبحث الثالث

أثر الثقافات الأجنبية في النثر العباسي الثاني

أما النثر في هذا العصر، فقد كانت العناية بفصاحة عباراته وسلامتها هي السمة الظاهرة له. ويذكر شوقي ضيف بأن هنالك ثلاثة أذواق سادت في العصر العباسي. ذوق ينادي باتباع معايير اليونان البلاغية، وكان يمثله المترجمون السريان ومن تبعهم من الكتاب. وذوق يرفض الاحتكام لتلك المقاييس، فالأدب أدب عربي له أساليبه العربية الأصيلة، ويمثله ابن قتيبة وعلماء اللغة المحافظون. وبين هذين الذوقين، ذوق ثالث معتدل، فهو يعتد بالمقاييس العربية وينظر في المقاييس الأجنبية ويأخذ منها ما يتفق وروح البيان العربي، ويمثل هذا الذوق المتكلمون وعلى رأسهم الجاحظ[1].

يعتبر المتكلمون منذ العصر العباسي الأول وما تلاه من عصور، أول من وضع قواعد النثر البلاغية وما ساعدهم على ذلك حرصهم على مهارة الخطابة والبيان في التغلب على خصومهم ومناظرتهم مع أصحاب الفرق الأخرى، فكانوا يهتمون بوضوح العبارة وما ينبغي في ألفاظ العبارات من رشاقة وعذوبة وجزالة.

وخير من يمثل كتاب هذا العصر، الذين أثرت فيهم الثقافات الأجنبية، الجاحظ، زعيم المتكلمين من المعتزلة، وابن قتيبة زعيم أهل السنة، وابن حنيفة الدينوري زعيم علماء النبات، فقد كان ثلاثتهم (دائرة معارف زمنهم، نستطيع إذا ألممنا بكتبهم أن نعرف أي شيء من العلم كان في عصرهم وأي شيء لم يكن)[2].

وقد ظهر أثر اللغة الفارسية بوضوح في بعض كتب النثر العربي التي ألفت في العصر العباسي، ككتاب البيان والتبيين للجاحظ الذي نجد فيه كثيرا من الحكم الفارسية المنسوبة إلى بزر جمهر وغيره من حكماء الفرس.

---

[1] تأريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، ص ٥١٧ .

[2] ضحى الإسلام، أحمد أمين، ص٣٨٦.

يعتبر الجاحظ[١] إمام كتاب النثر في العصر العباسي الثاني، وطريقته أشبه بطريقة كتاب العصر العباسي الأول في سهولة العبارة وجزالتها، تمتاز بتقطيع الجملة إلى فقرات كثيرة مقفاة أو مرسلة، وزيادة الإطناب في الألفاظ والجمل، ومزج بين الجد والهزل لرفع سأمة القارئ، وتحليل المعنى وتحكيم العقل والمنطق. (تثقف الثقافة العربية من المربد، ومن علمائها أمثال الأصمعي وأبي زيد، وأتت له الثقافة اليونانية من طريق علماء الكلام ومشافهته لحنين بن إسحق وسلمويه وأمثالهما وحذق الثقافة الفارسية من كتب ابن المقفع وأخذه عن أبي عبيدة) [٢].

وهو الذي عايش هذا العصر، وترك آثارا واضحة فيه وكان يردد فكرة مطابقة الكلام للسامعين. (فلا يصح لمتكلم أن يكلم العامة بمصطلحات علم الكلام، أو يكلم علماء الكلام بكلام الأعراب الممتلئ بالغريب) [٣]. وتراه ينوه بالسجع وأثره في نفوس السامعين كما ينوه بالازدواج وما فيه من جمال صوتي (وكأنه هو الذي أعد لهذين الأسلوبين كي يشيعا على ألسنة الأدباء منذ عصره وكان هو نفسه يستخدم الازدواج كثيرا في أسلوبه واستخدم السجع قليلا) [٤].

في كتابه البيان والتبيين، يقارن الجاحظ بين آراء الأمم وثقافاتها المختلفة في تعريفه للبلاغة: (قيل للفارسي ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل. وقيل لليوناني: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام، واختيار الكلام، وقيل للرومي: ما البلاغة؟ قال حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الإطالة. وقيل للهندي: ما البلاغة؟ قال: وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة. وقال بعض أهل الهند: جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة) [٥].

---

[١] هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (الفهرست، ص٢٩١).

[٢] ضحى الإسلام، ص٣٨٦.

[٣] تأريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ص٥١٨.

[٤] المرجع نفسه، ص٥١٩.

[٥] البيان والتبيين، ص٦١.

وعن كتابه البيان والتبيين، يقول شوقي ضيف (... يعرض ملاحظات العرب منذ الجاهلية عن البيان ومقوماته، ولا يكاد يترك ملاحظة هنا أو هناك لخطيب عربي إلا ويسجلها وينقل عن الهند واليونان والفرس آراءهم – التي استطاع الحصول عليها– في البلاغة دون أن يعلى فريقا على فريق أو ينصر فريقا ضد فريق) [١].

أما كتابه الحيوان، فنجد فيه تمازجاً كبيراً من الثقافات الأجنبية المختلفة في فترة الدولة العباسية، وأثراً واضحاً لكتب أرسطو ومدى تأثره بها. (... ما رواه في كتابه الحيوان يدل على أنه كان مستوعبا لكل الثقافات في عصره من فارسية وهندية وعربية وإسلامية) ويلخص أحمد أمين رأيه في كتاب "الحيوان" بقوله:

(وعلى الجملة فكتاب الحيوان معرض لكل الثقافات، عربية ويونانية، وفارسية، وهندية، ومعرض للثقافات الدينية من مانوية وزردشتيه، ودهرية، ويهودية ونصرانية، وإسلام) [٢].

وثاني كتّاب هذا العصر، ابن قتيبة[٣] أصله فارسي من مرو. يعتقد انه ولد في الكوفة ونشأ في بغداد ، وتعلم فيها على يد مشاهير علمائها ، فاخذ الحديث عن أئمته المشهورين وفي مقدمتهم إسحاق بن راهوية ، احد أصحاب الإمام الشافعي، وله مسند معروف. واخذ اللغة والنحو والقراءات عن أبي حاتم السجستاني . وكان اماماً كبيراً ضليعاً في العربية وكان عالماً باللغة والشعر كثير الرواية عن الأصمعي .[٤] وهو من أهل السنة، على النقيض من توجه الجاحظ الفكري، وكان كثير النقد له. ولعل أهم مظهر من مظاهر الثقافات المختلفة في كتاباته موجود في كتابه (عيون الأخبار) (أنه كان مثقفا بالثقافات الأجنبية المعاصرة) [٥].

---

[١] تأريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ص٥١٧.

[٢] ضحى الإسلام، ص٤٠١.

[٣] هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي، الفهرست، ص١٢٣.

[٤] www. Islam on line . net

[٥] تأريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ص٥٢٠.

كان صادقاً فيما يرويه ، عالماً باللغة والنحو ، كما كان إلى جانب ضلوعه باللغة أديباً واسع الاطلاع وراوية للشعر واخباره ، ومحيطاً بكثير من المعارف العامة التي ينبغي للأديب ان يتزود بها. وكان يميل إلى تحبيب اللغة للدارسين. [١]

وقد تعرض في أول الكتاب لمصادره، فقال: إنه تلقط ما فيه عمن فوقه في السن والمعرفة وعن جلسائه وإخوانه ومن كتب الأعاجم وسيرهم. و(إذ كان الكتاب أكثر ترتيبا كان مزج الثقافات فيه أكثر وضوحا، فكما كان يضم الشيء إلى مثيله كان يضم ثقافة أمة في شيء خاص إلى ثقافة الأمة الأخرى فيه. فهو إذا ذكر السؤدد عن العرب ذكر السؤدد عن العجم) [٢].

ويظهر الأثر الأجنبي في كتابه (عيون الأخبار) – الذي يتكون من عشرة كتب – في كتاب السلطان، أكثر النقل عن الفرس والهند.

(... إذا مضى ينسق مختارات ومقتطفات من الآداب الفارسية مع مقتطفات ومختارات من الآداب العربية الخالصة مع الثقافتين الهندية واليونانية، وكانت ثمرة ذلك أربعة مجلدات ضخمة ألفت كتابه عيون الأخبار) [٣].

ويتحدث شوقي ضيف عن كتابه (أدب الكاتب) ويذكر أن أحد أبوابه كان يعنى بالثقافات الأجنبية (... يعقد بابا طريفا لما يتكلم به العامة من الكلام الأعجمي، سواء أكان روميا أو بنطيا أم فارسيا أم سريانيا) [٤].

في كتابته عن الزهد، أظهرت أن ثقافة ابن قتيبة لم تكن إسلامية فقط بل أيضا ثقافته بالكتب السماوية، ونقله من التوراة والإنجيل من مثل قوله (قرأت في الإنجيل: لا تجعلوا كنوزكم في الأرض حيث يفسدها السوس والدود، وحيث ينصب السراق، ولكن أجعلوا كنوزكم في السماء فإنه حيث تكون كنوزكم تكون قلوبكم)[٥].

---

[١] www. Alrashead . net

[٢] ضحى الإسلام، ص٤٠٥.

[٣] تأريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني، ص٦١٣.

[٤] المرجع نفسه، ص٥٢١.

[٥] المرجع نفسه، ص٦١٧.

ويروي عن المسيح أنه قال: حب الدنيا أصل كل خطيئة، والمال فيها داء. قيل: ما داؤه؟ قال: لا يسلم صاحبه من الفخر والكبر. قيل: وإن سلم؟ قال: يشغله إصلاحه عن ذكر الله[١].

إذاً فقد تأثر ابن قتيبة بالثقافة الفارسية والهندية واليونانية وكذلك ثقافة أهل الكتاب.

وثالثهما: – أي– الجاحظ وابن قتيبة – هو أبو حنيفة الدينوري. وهو أحمد ابن داؤد، من أهل دينور[٢]. وهو عالم مسلم من أصل كردي ، والملقب بشيخ علماء النبات ألف كتاب النبات الذي رتب فيه النباتات على حروف المعجم واهتم بكل ما قيل فيها نثراً وشعراً حتى أواخر القرن الثالث الهجري. كان منهجه في تأليف كتابه يعتمد على وصف بضع مئات من النباتات التي رآها بنفسه، أو سمع عنها من الإعراب الثقات ، وأضاف الدينوري إلى ما نقل عن زياسقور يذوس العالم الإغريقي الذي اشتهر بمعرفته بالنباتات الطبية وأصبح بذلك عمدة الأطباء والعشابين ، ونقلت عنه اكبر كتب الصيدلة كمفردات الأدوية لابن البيطار.[٣]

قام المستشرق السويدي لوبن بجامعة أوبسالا بتحقيق مخطوطة ن هذا الكتاب تقع في ٣٣٣ صفحة من الجزء الخامس . هو أول عالم نباتي مسلم يشير إلى طريقة التهجين ، حيث تمكن من ان يستولد ثماراً ذات صفات جديدة بطريقة التطعيم ، كما استطاع ان يخرج ازهاراً جديدة بالمزاوجة بين الورد البري وشجر اللوز ، وبذلك سبق الدينوري – حسب رأي البعض – العالم النمساوي مندل في ذلك . [٤]

وهو من الذين نالوا ثقافة أجنبية واسعة (وكان مفننا في علوم كثيرة منها النحو واللغة والهندسة والحساب وعلوم الهند.وثقة فيما يرويه معروف بالصدق)[٥].

---

[١] المرجع نفسه، ص٦١٧.

[٢] الفهرست، ص١٢٤.

[٣] www. Islam on line . net

[٤] الموقع نفسه .

[٥] الفهرست ، ص١٢٥.

ويقول أحمد أمين (وقد وصل إلينا منه كتاب "الأخبار الطول" وفيه معلومات عن علاقة العرب بالفرس قد لا تجدها في غيره) [١]. ويذكر أحمد أمين أنه (اشتهر في الكتابة عن النباتات تلك التي تنبت في البيئة العربية وغيرها في البلاد الأخرى وجمع ما روى لغويو العرب في النباتات وما كتب عنها في الأمم الأخرى) [٢] ويبين أحمد أمين ما احتوته تلك الكتابات (ويصف نباتات لها أسماء غير عربية كالكسبرة والكرويا ويقول الكمون ليس من نبات بلاد العرب. وهكذا كان ذا نظر واسع وخبرة دقيقة في النباتات عربية وغير عربية) [٣].

وقيل عنه (فانه من نوادر الرجال ، جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب. له في كل فن ساق ، ورواء ، وحكم ، وهذا كتابه في الأنواء يدل على حظ وافر من علوم النجوم وأسرار الفلك).[٤]

وله من الكتب، كتاب النبات يفضله العلماء في تأليفه، كتاب الفصاحة، كتاب الأنواء، كتاب البحث في حساب الهند، كتاب البلدان وغيرها من الكتب[٥].

ويقول صاحب ضحى الإسلام (ويظهر أن ثقافته اليونانية والهندية كانت أوسع منها في صاحبيه، الجاحظ وابن قتيبة) [٦].

---

[١] ضحى الإسلام، ص٤٠٧.

[٢] المرجع نفسه والصفحة نفسها .

[٣] المرجع نفسه، ص٤٠٨.

[٤] www. Alrashead . net

[٥] الفهرست، ص١٢٥.

[٦] ضحى الإسلام، ص٤٠٧.

الخاتمة

ملخص البحث :

إن الأدب العربي، لم يستمر في حفاظه، على صيغته العربية في العصر الجاهلي، ولم تظل قدرته على التأثر والتأثير محدودة، كما في العصر الأموي، بل قويت وزادت على نطاق واسع في العصر العباسي، وذلك نسبة لضعف النفوذ العربي، وسيطرة العنصر الأجنبي، على شئون الدولة، خاصة الفرس والترك ونقلهم لحضارتهم وثقافتهم إلى المجتمع العباسي. إلى جانب نشاط حركة النقل والترجمة عن اليونانية والفارسية والهندية.

هذه العوامل جميعها ساعدت على زيادة التأثير الأجنبي في أدب تلك الحقبة، لاسيما الأدب العباسي . ومن أهم مظاهر التأثير، شيوع بعض المعتقدات الفاسدة، التي كانت تدين بها تلك الأمم، وشيوع كثير من العادات والتقاليد الأجنبية.

تناولت الباحثة، في هذا البحث، أهم العوامل المؤثرة في ظهور الثقافات الأجنبية وامتزاجها بالثقافة العربية في فترة العصر العباسي الأول والثاني ، وذلك بسرد تأريخي للحياة السياسية والثقافية والاجتماعية في تلك الحقبة بالتركيز على أهم التيارات الثقافية والأجنبية متمثلة في العادات والتقاليد والعقائد الوافدة، وتأثير كل ذلك على أدب تلك الفترة شعراً ونثراً .

كما عملت الباحثة على تأكيد ذلك الأثر بإيراد نماذج شعرية ونثرية في العصرين، وتناولت قدراً لا بأس به من نماذج للألفاظ والمفردات الأجنبية التي كانت متداولة في الحياة اليومية آنئذ وقد حاولت الباحثة في بحثها هذا ، التركيز على الثقافات الأجنبية المؤثرة على الأدب خصوصاً الفارسية لأنها كانت الأبعد عمقاً والأكبر تأثيرا في العصرين الأول والثاني من عصور الأدب في العصر العباسي .

وخرجت الباحثة بنتائج يمكن حصرها وإيجازها فيما يلي :

النتائج :

١-ظهور الثقافات الأجنبية وأثرها في الأدب العباسي كانت نتيجة الاحتكاك الاجتماعي والتوجهات الدينية والنقل والترجمة .

٢-تأثير الأدب اليوناني كان ضعيفاً، وقد يرجع ذلك إلى أنه أدب وثني، والذوق العربي ذوق مسلم .

٣-معظم علوم الفلسفة والطب والتنجيم أخذت عن علماء اليونان .

٤-أخذ العرب الكثير من الاصطلاحات الرياضية من الهنود وكذلك الكثير من النظريات في الحساب والهندسة .

٥-أخذت بعض الفرق الدينية الإسلامية نظرية الهنود في الأرواح وتناسخها .

٦-لقد تبين بعد التمحيص أن جلَّ الاقتراضات العربية كانت من الفارسية – وذلك راجع إلى عوامل موضوعية بدرجة أولى أهمها الجوار الجغرافي ، وترجمة العلوم ، وتسرب معالم الحضارة إليها .

٧-وفي مجال الشعر لاحظت الباحثة التالي :

أ- ظهور كثير من المفردات الفارسية في الشعر بسبب تمازج الحضارتين في هذا العصر.

ب-البعد عن الألفاظ الوعرة الجاهلية والغريبة واللهجة المهجورة، والميل إلى الألفاظ البسيطة والمألوفة والشائعة .

ج-التعبير عن المعاني العقلية الدقيقة وذلك نتيجة الانفتاح على الثقافات الأخرى مثل الثقافة الهندية واليونانية والفارسية .

ح-ظهور الاتجاهات المنحرفة في الغزل المكشوف على يد بشار وأبي نواس مما ترتب عليه ظهور الغزل بالمذكر.

خ-ظهور نزعة الفحش التي طالت شعر الهجاء .

د- شيوع عادة شرب الخمر وكثرة التغني لها في شعرهم وقد كانت ذات أصل أجنبي .

ذ- أثرت الحضارة المترفة والطبيعة الخلابة في شعر الوصف، مثل الربيع ووصف الحدائق والبساتين والقصور .

ر-خصوبة خيال الشعراء العباسيين، واستخدام التشخيص في صورهم التعبيرية – متأثرين بالأدب اليوناني –ما لم يكن موجوداً في الأدب العربي القديم .

ز-تأثر شعر الزهد ببعض المعتقدات الفارسية .

س- ظهور الشعر التعليمي وقد كان معروفاً في الأدب اليوناني والهندي .

٨-في الموضوعات النثرية كان واضحاً غياب الخطابة السياسية في العصر الثاني وتبعها غياب الخطابة المحفلية .

٩-ظهور الخطابة الوعظية بكثافة في المساجد.

١٠- شيوع الرسائل الإخوانية .

١١- نقل نظام التوقيعات من الأدب الفارسي وعمل به خلفاء الدولة العباسية على نطاق واسع .

التوصيات :

وتوصي الباحثة بالتالي :

- أوصي الباحثين من بعدي بتتبع الأثر الأجنبي في أدب العصور التي سبقت العصر العباسي .
- كما أوصي الباحثين بالبحث عن أثر اللغة العربية في الأدب الفارسي لأنها تفوق بكثير أثر الفارسية في الأدب العربي .

فهـــرس الآيات القرآنية

رقم	الآية	الصفحة
١.	إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ	٣٣
٢.	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ	٣٣
٣.	إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً	٤٨
٤.	وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً	٤٨
٥.	الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ	٥٢
٦.	إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ	٥٥
٧.	إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً	٩٨
٨.	قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً	٩٨
٩.	مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى	٩٨
١٠.	وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ	٩٨
١١.	قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ	١١٨

فهـــرس الأحاديث النبوية

رقم	الحديث	الصفحة
١.	ليس لعربي على عجمي فضل	٣٣
٢.	المؤمنون تتكافأ دماؤهم	٣٤
٣.	لتتبعن سنن من كان قبلكم	٥٧
٤.	لا إيمان لمن لا أمانة له	١٠٠

فهـــرس الأشعار

رقم	صدر البيت	القافية	الصفحة
	(أ)		
١.	بكيتك يا علي بدر عيني	شيا	٦٥
٢.	فقل لمن يدعي في العلم فلسفة	أشياء	٦٧– ٦٨
٣.	يوم الثلاثاء وما يوم الثلاثاء	علياء	٧٣
٤.	وعهد كسرى نعيم عيش	ملهى	٧٥
٥.	احب المهرجان لان فيه	السناء	٧٦
٦.	تهزم الجمع أو حديا وتلوي	إلواء	٨٢
٧.	اسرعت بي حثاً إليك خطائي	رجاء	١١٤
٨.	نضت عنها القميص لصب ماء	الحياء	١٢١
٩.	قامت بإبريقها والليل معتكر	لألاء	١٣٥
١٠.	والناس كالنبت فمنه رأئق	الجنى	١٤٤
	(ب)		
١١.	وقيصر خالي إذا	نسبي	٣٥
١٢.	فهذا العيش لا عيش البوادي	الحليب	٣٥
١٣.	وجدنا من اليهود رجال صدق	مريب	٥٣
١٤.	وقد حلفت يميناً غير كاذبة	الحجب	٥٨
١٥.	عجائباً زعموا الأيام مجفلة	رجب	٦٣
١٦.	اعاتبه صفحاً واعرض بالتي	دبيب	٦٧
١٧.	وأبي كسرى علا ايوانه	أبى	٧٢
١٨.	هل من رسول مخبر	العرب	٨٦
١٩.	دع الاطلال لتسفيها الجنوب	الخطوب	٨٧
٢٠.	وشادن ما رأت عيني له شبهاً	عربا	١٢٥
٢١.	رايته سحراً يقلي زلابية	كالقصب	١٣٠

٢٢.	سلافة ورثتها عاد من إرم	وأب	١٣٧
٢٣.	طلبتك يا دنيا فأعذرت في الطلب	والنصب	١٤٧
٢٤.	له بنى الإيوان من عهد هرمز	القضب	١٦٨
	(ت)		
٢٥.	تضوع مسكاً بطن نعمان ان مشت	خفرات	١٨
٢٦.	حسبك مما تبتغيه القوت	يموت	٦٤
٢٧.	ياعلي بن ثابت بان مني	بنتا	٦٥
٢٨.	وحيطان كشطرنج صفوف	ماتا	٨٣
٢٩.	تروح للفسق فإن عوتبت	بالدلجة	١٢٢
٣٠.	يافتى نفسه إلى	تائقة	١٢٧
٣١.	سألنا عن ثمالة كل حي	ثمالة	١٢٨
٣٢.	هذا كتاب أدب ومحنة	ودمنة	١٤٠
٣٣.	واستمع الآن حديث الكوفة	معروفة	١٤٤
٣٤.	ياناق خدي بنا ولا تهني	راحات	١٥٥
٣٥.	لزم الغرام ثوبي	سبت	١٧٠
	(ح)		
٣٦.	اسقني الراح صباحا	راحا	٧٧
٣٧.	ايكتنفك السرور والفرح	القدح	٧٩
٣٨.	خدين لذات معلل صاحب	مزاحا	١٣٥
٣٩.	لقد عاجلتني بالسباب وثوبها	ينفح	١٦٢
	(د)		
٤٠.	دعتني إلى الإسلام يوم لقيتها	تهودي	٥٧
٤١.	ياليالي بالمطيرة والكرخ	عودي	٥٩
٤٢.	إمام له كف يضم بنانها	عودها	٦٧

٤٣.	عاج الشقي على رسم يسائله	البلد	٧١
٤٤.	لا تبك ليلى ولا تطرب إلى هند	كالورد	٧٢
٤٥.	زعمت بان النار اكرم عنصرا	والزند	٩٣
٤٦.	تبدل من حب الصلاة حديثنا	المتعبد	٩٤
٤٧.	زناده في خصره معقود	مقدود	١٢٧
٤٨.	فيا عجباً كيف يعصى الإله	الجاحد	١٤٨
٤٩.	أحيا البكا ليلة حتى إذا تلفت	كالوقد	١٥٠
٥٠.	اوجده الله فما مثله	ناشد	١٥٥
٥١.	والخدود الحسان يبهى عليها	وروده	١٦٧
٥٢.	من يلقه من بطل مسرند	بالسرد	١٧٠
٥٣.	لما هوى بين غياض الأسد	الورد	١٧٠
٥٤.	ووهني وقع الاسنة والقنا	قفد	١٧٠
	(ل)		
٥٥.	وملحة باللوم تحسب انني	الشطار	٣٧
٥٦.	لا أزود الطير عن شجر	ثمره	٦٨
٥٧.	الأرض مظلمة والنار مشرقة	النار	٤١-٧٠-٩٣
٥٨.	افبالصليب ومار سرجس تنتقي	جمهورا	٥٨
٥٩.	تخيرت والنجوم وقف	المدار	٦٢
٦٠.	قل لزهير إذا حدا رشدا	مهزار	٦٣-١٥٢
٦١.	لله در العقل من رائد	اليسر	٦٦
٦٢.	فانفق إذا انفقت ان كنت موسرا	تعسر	٦٩
٦٣.	لكل شيء معدن وجوهر	واكبر	٦٩
٦٤.	أصبحت مولى ذي الجلال وبعضهم	فأفخر	٧١

٦٥.	يباكر النيروز في غسق الدجى	الزهر	٧٣
٦٦.	قلت والنجوم طالعة	السحر	٧٩
٦٧.	قد اشهد اللهو بفتيان غرر	البشر	٨٤
٦٨.	سأخبر فاخر الأعراب عني	للفخار	٨٧
٦٩.	دع الرسم الذي دثرا	المطرا	٨٨
٧٠.	إبليس أفضل من ابيكم آدم	الفجار	٩٣
٧١.	بكرت علي تلومني فأحببتها	الأبرار	٩٥
٧٢.	رأيت في النوم إني راكب فرسا	دنانير	١١٨
٧٣.	حسبي وحسب الذي كلفت به	النظر	١٢٢
٧٤.	لم ابك في مجلس منصور	الحور	١٢٥
٧٥.	فانظر إليه كزورق من فضة	عنبر	١٣١
٧٦.	وبنيان قصر قد علت شرفاته	الأزر	١٣٢
٧٧.	ما الدهر إلا الربيع المستنير إذا	والنُّور	١٣٣
٧٨.	أما ترى النرجس المياس يلحظنا	مسرور	١٣٤
٧٩.	شربنا بالكبير وبالصغير	الدهور	١٣٦
٨٠.	تراث أنوشروان كسرى ولم تكن	بكر	١٣٧
٨١.	نعم المحل لمن يسعى للذته	معمور	١٣٨
٨٢.	وفتيان صدق قد صرفت مطيهم	ظهرا	١٣٩
٨٣.	إني رضيت أبا حفص وصاحبه	الغار	١٤٦
٨٤.	عجباً لي ومن رضائي بحال	تغرير	١٤٦
٨٥.	لكل شيء معدن وجوهر	وأصغر	١٤٨
٨٦.	فلو كان للشكر شخص يبين	الناظر	١٥٢
٨٧.	أظهرت عزَّ الملك فيه بجحفل	وينصر	١٥٣
٨٨.	تخير رب الناس للناس جعفرا	تخيرا	١٥٥

٨٩.	يسوقون اسطولاً كأن سفينه	ممطر	١٦١
٩٠.	إذا ما مشت نادى بما في ثيابها	المطير	١٦٢
	(س)		
٩١.	لو كان يقعد فوق الشمس من كرم	آل عباس	١٧
٩٢.	ابا الفضل لو ابصرتنا يوم عيدنا	الكنائس	٥٨
٩٣.	كم بين قوم إنما نفقاتهم	نفوسا	٦٣
٩٤.	وكنا نرجى من أمام زيادة	القلانس	٨٠
٩٥.	فإذا ما رأيت صورة أنطاكية	وفرس	١٣٠
٩٦.	أرأيت أحسن من عيون النرجس	المجلس	١٣٤
٩٧.	ومدامة كحشاشة النفس	والحس	١٣٦
٩٨.	دع الأيام تفعل ما أرادت	وكاس	١٣٨
٩٩.	يتثنى بحسن جيد غزال	أبنوس	١٦٠
	(ظ)		
١٠٠.	إذا ما تحقق بالمهرجان	غاظا	٧٤
	(ع)		
١٠١.	لما رأونا والصليب طالعا	ناقعا	٥٨
١٠٢.	روضة من قرقف انهارها	ارتفاع	١٣١
١٠٣.	هذا كتاب الصوم وهو جامع	الشرائع	١٤١
	(ف)		
١٠٤.	يا ابن زياد يا ابا جعفر	تخفى	٣٨-٩٦
١٠٥.	بمارة مريم الكبرى	فقف	٧٩
١٠٦.	تذكرت دير الجاثليق وفتيه	واسعفا	١٢٦
١٠٧.	وندمان سقيت الراح صرفا	السجوف	١٥٢

	(ق)		
١٠٨.	وانني وان كانوا نصارى احبهم	ويتوق	٥٣
١٠٩.	هجائي معشر كلهم	الحمق	٧٠
١١٠.	بإنجيل الشعانين المفدى	الطريق	٧٨
١١١.	بمارة مريم وبدير زكي	الجاثليق	١٢٦
١١٢.	دع ابن الاعمش المسكين يبكي	وثاق	١٢٨
١١٣.	يا سئلي عند ابتداء الخلق	الحق	١٤٢
١١٤.	لو أن عبداً له خزائن ما في ...	إملاق	١٤٩
	(ك)		
١١٥.	يا موعدي بالقتل قد حالف ..	كفيكا	١٢٤
	(ل)		
١١٦.	تشابه يوماً بأسه ونواله	الفضل	١٧
١١٧.	سألت أخي ابا عيسى	عقل	٥٣
١١٨.	يا شادناً رام إذا مر	قتلي	٥٩
١١٩.	يا منزل القصف في سمالو	انتقال	٧٨
١٢٠.	بادر صبوحك وأنعم أيها الرجل	عزلوا	٩٥

١٢١.	ذعر الحمام وقد ترنم فوقه	هائل	١٣١
١٢٢.	ومانحة شرابها الملك قهوة	البعل	١٣٧
١٢٣.	دير الثعالب وارف الظلال	وغزال	١٣٩
١٢٤.	باتو على قلل الاجبال تحرسهم	القلل	١٤٥
١٢٥.	ان الرعية لم تزل في سيرة	المتوكل	١٥٤
١٢٦.	كانت خلافة جعفر كنبوة	بتنحل	١٥٥
١٢٧.	أتته الخلافة منقادة	أذيالها	١٥٦
١٢٨.	كأنما اعتمت ذرى الجبال	الهلهال	١٦٠
١٢٩.	عيرانة بنتحي في الأرض منسمها	إزميل	١٦٠
١٣٠.	وقد لمت فارس وحمير	نزلا	١٦٨
	(م)		
١٣١.	أحقَّ عافٍ بدمعك الهمم	القدم	٣٦
١٣٢.	أنا ابن الأكارم من نسل جم	العجم	٧١-٩٠
١٣٣.	صفة الطلول بلاغة القدم	الكرم	٧٢
١٣٤.	اتاك الربيع الطلق يختال ضاحكاً	يتكلما	٧٤-١٥٠
١٣٥.	ارض مربعة حمراء من أدم	بالكرم	٨٢
١٣٦.	يارب ان عظمت ذنوبي كثرة	أعظم	١٤٥

١٣٧.	ولقد أراك فهل أراك بغبطة	غلام	١٥٠
١٣٨.	من خمر بيسان تخيرتها	العظام	١٥٩
١٣٩.	وفي لطفك طلسم	طلسم	١٦١
١٤٠.	الخيل والليل والبيداء تعرفني	والقلم	١٦١
١٤١.	طوبى لمن يستبدل الطود بالقرى	فومها	١٦٢
١٤٢.	لنا جلسان عندها وبنفسج	منمنما	١٦٧
	(ن)		
١٤٣.	مغاني الشعب طيبا في المغاني	الزمان	٣٦
١٤٤.	يا من تشرف بالدنيا وزينتها	بالطين	٦٤
١٤٥.	بدير بهرزان لي مجلس	بساتينه	٧٨
١٤٦.	اتاك على الدخول المهرجان	القيان	٧٥
١٤٧.	ما رأت مثل مهرجانك عينا	أنوشروان	٧٦
١٤٨.	اغادي أرجو ان الراح صرفنا	ارجواني	٧٦
١٤٩.	فكأن كفك في الخوان وقد رمت	بنان	٨٣
١٥٠.	إذا وقوعها بعود الخلاف	العيونا	٨٥
١٥١.	جالست يوماً أبانا	ابان	٩١
١٥٢.	ما مر يوم وليس عندي	خصلتان	٩٤

١٥٣.	اسقني واسق عصينا	دينا	٩٦
١٥٤.	أرى قلبي قد حنّا	مريحنّا	١٢٦
١٥٥.	يا باطلاً اوهمتنيه مخائله	برهان	١٢٩
١٥٦.	إن الربيع أثر الزمان	جسمان	١٣٣
١٥٧.	شمول تختطها المنون فقد أتت	وسنون	١٣٦
١٥٨.	أكل الدهر ما تجسم منها	المكنونا	١٣٧
١٥٩.	فهذا قيصومه وخذاما	الياسمين	١٣٤
١٦٠.	دراسته الانجيل حول دنانه	والكيلان	١٣٨
١٦١.	يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة	احيانا	١٥٠
١٦٢.	يا طبيباً بالأنسون يداوي	بالأنسون	١٦٠
١٦٣.	مزينة بالابرزي وحشوها	الحواصن	١٦٠
	(هـ)		
١٦٤.	بنفسي من يعذبني هواه	سواه	١٢٤
١٦٥.	كأنه قد قيل في مجلس	وأغشاه	١٤٦
	(ي)		
١٦٦.	يا من رأى البركة الحسناء رؤيتها	مغانيها	١٣
١٦٧.	أذن حي تسمّعي	وعي	١٤٩
١٦٨.	لا تسقني ماء الملام فإنني	بكائي	١٥٠
١٦٩.	أهديت لي منك شاشاً لا أزال أرى	رأسي	١٦٢
١٧٠.	كأنما في جوفه قهوة	هندي	١٦٢

فهـــرس الأعلام

رقم	الاسم	الصفحة
	(أ)	
١.	أبان بن عبد الحميد اللاحقي	٩١-١٤٠-١٤١
٢.	إبن أصيبعة	٢٦
٣.	إبن ماجة	٢٧
٤.	إبن قتيبة	٢٨-٣٤-٥١-٦٣-٨٣-٨٤-٩٧-١١٠-١٣٥-١٧٢-١٧٤
٥.	ابن عبد ربه	٢٨-٦٣
٦.	ابن دريد	٢٩-١٤٢-١٤٤
٧.	ابن المقفع	٢٣-٢٨-٤٢-٤٧-١٠٤-١٠٥-١٠٧-١١٣-١٧٣
٨.	ابن خلدون	٣٤
٩.	ابن البطريق	٤٥
١٠.	ابن سينا	٤٤
١١.	ابن رشد	٤٤
١٢.	ابن النديم	٤٥-٤٩-٥١-٦٧-١٠٤-١٠٥-١٠٧-١١١-١١٣
١٣.	ابن المعتز	٢٩-٥٩-٨٣-١٢٠-١٣١-١٣٢-١٣٦-١٣٧-١٤٢-١٤٣

١٤.	ابن الرومي	٧٣-٧٥-٧٦-٨٠-٨٢-١٢٠-١٢٢-١٢٨-١٣٠-١٣٦-١٦١
١٥.	ابن الزيات	٨٣
١٦.	ابن ظفر	١٠٧
١٧.	ابن عريشاه	١٠٧
١٨.	ابن الهبارية	١٠٧
١٩.	ابن سيابة	١١٤
٢٠.	إبراهيم الموصلي	١٥-١٦
٢١.	إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي	١١٥
٢٢.	إبراهيم بن سيال	٩٥
٢٣.	أحمد أمين	٥٥-١٠٥-١٢٣-١٤٧-١٧٤-١٧٧
٢٤.	أبو العباس عبد الله بن محمد	٦-٩٨
٢٥.	أبو يوسف (قاضي الرشيد)	١٥-٨٠
٢٦.	أبو جعفر المنصور	٧-١٣-١٧-٢١-٢٣-٢٤-٢٧-٤٢-٤٥-٤٦-٤٧-٤٨-٥١-٨٠-٩٩-١٠١-١١١-١١٦
٢٧.	أبو موسى جابر بن حيان	٢٥
٢٨.	أبو بكر محمد بن زكريا الرازي	٢٦

٢٩.	أبو داؤود السجستاني	٢٧
٣٠.	أبو دلامة	٨٠-١٧
٣١.	أبو علي القالي	٢٨
٣٢.	أبو البركات الأنباري	٢٩
٣٣.	أبو زيد الأنصاري	٢٧
٣٤.	أبو القاسم الشطرنجي	٨٢
٣٥.	أبو حاتم السجستاني	١٧٤
٣٦.	أبو الفرج الأصفهاني	١٢٧-٤٥-٢٨
٣٧.	أبو محمد الأنباري	٢٨
٣٨.	أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي	٢٨
٣٩.	أبو بشر عمرو بن عثمان (سيبويه)	١٥٨-٢٨
٤٠.	أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي	٢٩
٤١.	أبو هلال العسكري	٢٩
٤٢.	أبو نواس	٣٥-٣٧-٤١-٥٣-٦٢-٦٣-٦٧-٦٨-٧١-٧٢-٧٣-٧٨-٨٤-٨٧-٩٠-٩١-٩٢-٩٤-١٢١-١٢٣-١٢٤-١٢٥-١٣٥-١٣٦-١٣٧-١٣٨-١٣٩-١٤٥-١٥١-١٥٤

.٤٣	أبو حنيفة الدينوري	١٧٢-١٧٦
.٤٤	أبو العتاهية	٤٥-٦٤-٦٥-١١٣-١٤٧-١٤٨-١٥٥-١٥٦
.٤٥	أبو تمام	٤٦-٦٣-١٢٨-١٣٣
.٤٦	أبو طالب المكفوف	١٥٩
.٤٧	أحمد بن حرب	١٤٨
.٤٨	أحمد بن يوسف	١١٢
.٤٩	أسحق بن راهويه	١٥-٢٧-١٧٤
.٥٠	أسحق الموصلي	١٨-١٩-١٣٨
.٥١	أصطفن بن بسيل	٥٤
.٥٢	آدم بن حميد بن عمر بن عبد العزيز	٩٥
.٥٣	أرد شير	١١١
.٥٤	امرى القيس	١٢٣
.٥٥	أبو إسحق إبراهيم بن حبيب الفزاري	٤٨
.٥٦	أبو صالح مسعود بن قنديل الفزاري	٥٣
.٥٧	أبو بشر متى بن يونس	٥٤
.٥٨	أبو منصور الأزهري	٢٩

٥٩.	أبو قابوس	٥٨
٦٠.	أبو إسحق المتوكل	٧١-٩٠
٦١.	أبو الهذيل العلاف	١٠٣
٦٢.	أبو منصور الجواليقي	١٥٧-١٥٨
٦٣.	أثيلو فيلوس	٢٢
٦٤.	أحمد بن محمد كثير الفرغاني	٢٥
٦٥.	أرسطو	٢٥-٤٤-٤٧-٥٥-٦٦
٦٦.	أسود بن أبي كريمة	١٧٠
٦٧.	إسرائيل بن زكريا بن الطيفوري	٢٦
٦٨.	إسماعيل اليزيدي	١٠١
٦٩.	أفلاطون	٤٤
٧٠.	أفريدون	٧٤
٧١.	أقليدس	٢٥-٤٥
٧٢.	أكثم بن صيفي	١١٠
٧٣.	الأخطل	٥٨-١٢٣-١٢٧
٧٤.	الأصمعي	١٥-٢٧-١٠١-١٧٣
٧٥.	الأعشى	١٢٣-١٣٤-١٦٧

.٧٦	الأسكندر	٤٣-٦٥
.٧٧	الافشين	٤٢
.٧٨	الأمين	١٥-١٧-١١٢
	(ب)	
.٧٩	بقراط	٢٦
.٨٠	بازيكر	٥٠
.٨١	باغر التركي	١١
.٨٢	البحتري	١٧-٧٤-٧٦-٧٩-١٢٠-١٣٠-١٣١-١٥١-١٥٣-١٦١-١٦٧-١٦٨
.٨٣	البخاري (الإمام)	٢٧
.٨٤	بختيشوع بن جوجيوس	٢٦-٤٦-٥٤
.٨٥	بروكلمان	١٠٧
.٨٦	بشار بن برد	٣٥-٤١-٧٠-٨٦-٩٠-٩٣-٩٤-١٢٢-١٢٣-١٥١-١٥٦
.٨٧	بشر بن المعتمر	٦٦
.٨٨	بكر بن خارجة	١٢٦
.٨٩	بطليموس	٢٥
.٩٠	برهمكت	٥١

.٩١	بوداسف	٥٠
.٩٢	بيدبا	١٠٧-٢٨
.٩٣	البيروني	١٤٠-٢٦
.٩٤	بزرجمهر	١٧٢-١١١-١١٠-٦٨
	(ت)	
.٩٥	التبريزي	٢٨
.٩٦	الترمذي	٢٧
.٩٧	توفيل بن توما النصراني	٤٦
	(ث)	
.٩٨	الثرواني	١٣٨-٧٩-٧٧-٧٥
	(ج)	
.٩٩	جالينيوس	٢٥
.١٠٠	جاكسون	٤٠
.١٠١	الجاحظ	٧-٢٥-٢٧-٢٩-٩٧-١٠٨-١١٠-١١٤-١٢٧-١٦٦-١٧٢-١٧٣
.١٠٢	جعفر بن سليمان بن علي	١٩
.١٠٣	جبرئيل بن بختيشوع	١٥-١٦-٢٦-٥٣
.١٠٤	جران العود	١٦٢

١٠٥.	جرير	١٢٧
١٠٦.	جعفر بن يحيى البرمكي	٢٨-١١٧
١٠٧.	الجهشياري	١٠٨
١٠٨.	جورجيوس بن جبرائيل بن بختيشوع	٤٦
	(ح)	
١٠٩.	حامد عبد القادر	١٦٣
١١٠.	حبيش ابن الحسن	٢٦
١١١.	الحجاج بن مطر	٤٥
١١٢.	الحسن بن سهل ذو الرياستين	١١٨
١١٣.	حماد الراوية	٢٧
١١٤.	حماد عجرد	٤١
١١٥.	حنين بن إسحق	٢٢-٢٣-٤٥-٥٤-١٧٣
١١٦.	الحماني	١٤٤
	(خ)	
١١٧.	خالد بن يزيد الكاتب	٧٧
١١٨.	الخفاجي	١٦٧
١١٩.	خلف الأحمر	٢٧

١٢٠.	الخليل بن أحمد	٢٧-٢٩-١٠٥
١٢١.	الخوارزمي	٢٥-١٦٧
	(د)	
١٢٢.	داؤود بن سرابيون	٢٦
١٢٣.	داؤود بن علي	٩٩
١٢٤.	دبشليم	٢٨
١٢٥.	دحمان الأشقر	١٨
١٢٦.	دهقانة الهاشمي	١٣٩
١٢٧.	ديك الجن	٣٣
١٢٨.	دعبل	١٢٧
	(ذ)	
١٢٩.	ذو الرمة	١٦٠
	(ر)	
١٣٠.	الرشيد	٧-١٢-١٥-١٦-١٨-١٩-٢٢-٢٤-٣٢-٤٥-٤٦-٥٠-٥٣-٥٤-١٠٠-١٠١-١٠٨-١١١-١١٧
١٣١.	الرؤاسي	٢٩

	(ز)	
١٣٢.	زرادشت	٣٨
	(س)	
١٣٣.	سحيم	١٢٣
١٣٤.	سعدي ضناوي	١٥٧
١٣٥.	سلم الخاسر	١٥
١٣٦.	سلمون بن بنان	٢٦
١٣٧.	سليم بن منصور بن عمار	١٢٥
١٣٨.	السيوطي	٧-١٥٧-١٥٨
١٣٩.	سهل بن هارون	٣٥-٩٧-١٠٧-١٠٨
١٤٠.	سنان بن ثابت بن قره	٢٦
١٤١.	سندباذ	٥٠
	(ش)	
١٤٢.	شوقي ضيف	٥٢-٦٢-١٠٢-١٠٩-١١١-١٢٣-١٧٢-١٧٥
	(ص)	
١٤٣.	صالح بن بهلة	٥٠
١٤٤.	صبحي الصالح	١٦٩

١٤٥.	الصنوبري	١٣٣-١٦٢
١٤٦.	صفوان الأنصاري	٩٣
	(ط)	
١٤٧.	طاهر بن الحسين	١١٢
١٤٨.	الطبري	٨-١٤-٢٧
١٤٩.	طرفة	١٢٣
	(ع)	
١٥٠.	عيسى عليه السلام	٥٩
١٥١.	عبد الله بن مصعب	١٧
١٥٢.	عبد القاهر الجرجاني	٢٩
١٥٣.	عبد الكريم بن أبي العوجاء	٤٢
١٥٤.	عبد الله بن سبأ	٥٦
١٥٥.	عبد الله بن طاهر	٧٤
١٥٦.	عبد الله بن علي	٥٠-١١٦
١٥٧.	عبدة بن الخطيب	١٦٠
١٥٨.	عبد الله بن عباس بن الفضل بن الربيع	١٢٥
١٥٩.	عبيد الله بن حرداذبة	٢٥

١٦٠.	علان الفارسي	٣٥
١٦١.	علي بن إبراهيم التنوخي	٣٦
١٦٢.	عباد بن عباد المهلبي	١٠٥
١٦٣.	العتابّي	٦٧-٩٨-١١٣-١٥٢-١٥٣
١٦٤.	عاصم بن حميد بن تميم الوراق	٤١
١٦٥.	عشير بن البراء الصراف	١٢٧
١٦٦.	العباس بن الأحنف	٨٥
١٦٧.	علي بن سعيد	٨٣
١٦٨.	عدي بن زيد	١٣٤
١٦٩.	علي بن الجهم	١٢٠-١٤٢
١٧٠.	عيسى بن جعفر	١٨
١٧١.	عمر فروخ	٢٣
١٧٢.	عيسى بن عمر	٢٩
١٧٣.	عيسى بن ماهان	١١٢
١٧٤.	عمارة بن حمزة	١١١
١٧٥.	عمر بن عبد الملك الوراق	١٢٦
١٧٦.	عمر بن أبي ربيعة	١٢٣

	(ف)	
١٧٧.	الفارابي أبو نصر محمد بن محمد	٢٦-٤٤
١٧٨.	الفرزدق	١٢٧
١٧٩.	الفتح بن خاقان	١٧
١٨٠.	الفضل بن يحيى البرمكي	٧-١٤-٤٢
١٨١.	الفضل بن سهل	١٤-٩٧
١٨٢.	الفضل بن الربيع	١٥
١٨٣.	فيثاغورث	٤٤
	(ق)	
١٨٤.	قسطا بن لوقا البعلبكي	٥٤
١٨٥.	قلبرقل	٥٠
١٨٦.	القاهر بالله	٢٦
١٨٧.	القلقشندي	١٦٣
	(ك)	
١٨٨.	كشاجم	١٦٢
١٨٩.	كعب الأحبار	٥٥
١٩٠.	كسرى أنوشروان	٤٤-١٠٦-١١٠-١١٦

١٩١.	كسرى بن قباذ	١١٦
١٩٢.	الكسائي	١٥
	(ل)	
١٩٣.	ليو الأرمني	٤٥
	(م)	
١٩٤.	موسى عليه السلام	٥٥-١٠٣
١٩٥.	المأمون	٨-١٥-١٦-٢٢-٢٣-٢٤-٢٥-٣٢-٤٥-٤٦-٤٧-٨٢-١٠١-١١٢-١١٧-١٥١-١٥٣
١٩٦.	المتوكل	١٠-١١-١٣-١٧-٥٤-١٤٤-١٥٣-١٥٥
١٩٧.	محمد بن يسير	١٤٦
١٩٨.	محمد بن إبراهيم العباس	١٤
١٩٩.	محمد بن حفص العجلي	١٧
٢٠٠.	محمد بن زياد	٣٨-٩٦-١١٣
٢٠١.	محمد بن خالد بن برمك	٤٢
٢٠٢.	محمد بن عبيد الله	٤٢
٢٠٣.	محمد بن عبد الله بن الحسن العلوي	٩٩
٢٠٤.	محمد بن سليمان الفارسي	١٠١

.٢٠٥	محمد بن إسحق	٤٩-١٠٥
.٢٠٦	محمد بن أمية	١٢٦
.٢٠٧	محمد بن يزيد المبرد	٢٨-١٢٨
.٢٠٨	المعتصم	٩-١٤-٤٢-٤٦
.٢٠٩	المهدي	١٤-١٨-٤٢-٤٦-١٠١-١١١-١١٥-١١٧-١٥٥-١٥٦
.٢١٠	المعتضد	١٤٣
.٢١١	منصور بن عمار	١٤٧
.٢١٢	المهتدي	١١-١٤
.٢١٣	مروان بن أبي حفصة	١٧
.٢١٤	المتنبيء	٣٦-١٦١
.٢١٥	ماسويه	٢٢
.٢١٦	مالك (الإمام)	٢٧
.٢١٧	مسلم بن الحجاج	٢٧
.٢١٨	المفضل الضبي	٢٨
.٢١٩	المرزوقي	٢٨
.٢٢٠	معاذ الهراء	٢٩

٢٢١.	ماني الحكيم	٣٨-٣٩
٢٢٢.	مزدك	٣٩
٢٢٣.	محمد بن إبراهيم الفزاري	٤٦
٢٢٤.	منكة	٥٠
٢٢٥.	مالك بن معاوية	٥٦
٢٢٦.	مهيار الديلمي	٧٢
٢٢٧.	المسعودي	٧٤
٢٢٨.	موسى بن مسيار الاسواري	٩٧
٢٢٩.	مصطفى السيوفي	١٠٤
٢٣٠.	المقوقس	١٠٩
٢٣١.	مسلم بن الوليد	١٣٧-١٥٠
٢٣٢.	مروان بن أبي الجنوب	١٥٥
	(ن)	
٢٣٣.	النابغة	١٦٠
٢٣٤.	النجاشي	١٠٩
٢٣٥.	النسائي	٢٧
٢٣٦.	النظام	٦٧

٢٣٧.	نوبخت الفارسي	٤٦
	(هـ)	
٢٣٨.	الهادي	١٧-١٨
٢٣٩.	هرقل	١٠٩
٢٤٠.	الهيثم الغنوي	٧٤
٢٤١.	هزيود	١٤٠
	(و)	
٢٤٢.	الواثق بالله	١٠-١٨-١٣٨
٢٤٣.	الوليد بن يزيد	١٢٣
٢٤٤.	وهب بن منبه	٥٥
	(ي)	
٢٤٥.	يحيى بن خالد البرمكي	٤٩-٥٠-١٠٨-١١٤
٢٤٦.	اليسع بن زكريا	٢٦
٢٤٧.	يعقوب بن إسحق (الكندي)	٢٦-٤٩
٢٤٨.	اليعقوبي أحمد بن يعقوب	٢٥
٢٤٩.	يوحنا بن ماسويه	٢٢-٢٣-٢٦-٤٦
٢٥٠.	يوسف البرم	١١٧

المصادر والمراجع :

١. القرآن الكريم .
٢. اتجاهات الشعر العربي في العصر العباسي في القرن الثاني الهجري – محمد مصطفى هدارة – دار المعارف – مصر – ١٩٦٣م .
٣. اثر اللغة الفارسية في الأدب العربي في العصر العباسي – سعيد السيد الباجوري – مكتبة العبور – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٨٣م .
٤. أساليب الصناعة في شعر الخمر والناقة – محمد حسين – منشأة المعارف ١٩٦٠م.
٥. الأغاني ج ٣ – لأبي الفرج الأصفهاني – شرح عبد أ. .علي مهَنّا– دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط ٤ .
٦. الأغاني ج ٤– //
٧. الأغاني ج ٥ – //
٨. الأغاني ج ١٤– //
٩. الأغاني ج ١٨– //
١٠. الأغاني ج ٢٥(ملحق) – //
١١. أمراء الشعر العربي في العصر العباسي – انيس المقدسي – دار العلم للملايين – أغسطس ٢٠٠٧م
١٢. البداية والنهاية – أبو الفداء – الحافظ ابن كثير الدمشقي – تحقيق احمد عبد الوهاب فتيح – المجلد الخامس – دار الحديث – القاهرة .
١٣. البيان والتبيين (٣ أجزاء)– أبو عثمان عمرو الجاحظ – تحقيق فوزي عطوي – دار صعب – بيروت – لبنان – ١٩٦٨م .
١٤. التاج في أخلاق الملوك – الجاحظ – عبد السلام هارون – الطبعة الأولى.
١٥. تاريخ الأدب العربي – العصر العباسي الأول – شوقي ضيف – دار المعارف – القاهرة – ط ١٨ .
١٦. تاريخ الأدب العربي – العصر العباسي الثاني – شوقي ضيف – دار المعارف – مصر – ط ٢ .

١٧. تاريخ الأدب العربي ج٣- كارل بروكلمان – من الترجمة العربية – د. عبد الحليم النجار – طبع مصر – ١٩٧٤م.
١٨. تاريخ الأدب في العصر العباسي – مصطفى السيوفي – الدار الدولية للاستثمارات الثقافية – الطبعة الأولى ٢٠٠٨ – القاهرة .
١٩. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ج٢- حسن إبراهيم – النهضة المصرية – ط٥ ١٩٥٩م.
٢٠. تاريخ الخلفاء – تصنيف : الحافظ جلال الدين السيوطي – دار الفكر – بيروت – لبنان .
٢١. تاريخ الطبري – تاريخ الأمم والملوك – أبو جعفر محمد بن جرير الطبري – راجعه وقدمه – نواف الجراح – دار صادر – بيروت – المجلد الخامس.
٢٢. تاريخ العلوم عند العرب – عمر فروخ – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان ١٩٨٤م.
٢٣. تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية – للإمام محمد أبو زهرة – دار الفكر العربي .
٢٤. تهذيب اللغة – أبو منصور الأزهري – دار الكتاب العربي – مصر ١٩٦٧م.
٢٥. التيارات الأجنبية في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري – عثمان موافي – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – مصر – ط٢- ٢٠٠٠م.
٢٦. تيارات ثقافية بين العرب والفرس – احمد محمد الحوفي – دار نهضة مصر – القاهرة – الطبعة الثالثة .
٢٧. الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصداها في الأدب – صالح آدم بيلو – مكة المكرمة – الطبعة الأولى – ١٩٨٨م .
٢٨. الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة – يوسف القرضاوي – مكتبة وهبة – القاهرة – ١٩٩٤م .
٢٩. الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي – محمد البهي – دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٧م .

٣٠. حركات الشيعة المتطرفين وأثرها في الحياة الأدبية والاجتماعية لمدن العراق إبان العصر العباسي الأول – حمد جابر عبد العال – طبعة السنة المحمدية – القاهرة ١٩٥٤م.
٣١. حركة الترجمة واهم أعلامها في العصر العباسي – عامر النجار – دار المعارف – مصر ١٩٩٣م .
٣٢. الحياة الأدبية في عصر الرسالة والراشدين – مصطفى محمد السيوفي – المطبعة الإسلامية – القاهرة ١٩٩٤م.
٣٣. الحيوان – الجاحظ – عبد السلام هارون – الطبعة الأولى .
٣٤. الحيوان ج ١– الجاحظ – تحقيق حسن السندوبي – دار المعارف – تونس.
٣٥. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب – الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي – دار صادر – بيروت – لبنان – المجلد الأول – الطبعة الأولى – بدون تاريخ .
٣٦. دراسات في فقه اللغة – صبحي الصالح – دار العلم للملايين – بيروت – ط٩– ١٩٦٠م.
٣٧. الديارات – أبو الحسن علي بن محمد الشابشتي – تحقيق كوركيس عواد – الطبعة الأولى – بغداد ١٩٥١م.
٣٨. ديوان ابن الرومي – ٣ أجزاء – شرح أحمد حسن بسج – ط دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .
٣٩. ديوان ابن الرومي ج١ – شرح محمد شريف سليم .
٤٠. ديوان ابن الزيات – تحقيق جميل سعيد – ط نهضة مصر بالفجّالة – ١٩٤٩م .
٤١. ديوان ابن المعتز – شرح مجيد طراد – دار الكتاب العربي – بيروت لبنان – ٢٠٠٤م .
٤٢. ديوان أبي العتاهية – شرح مجيد طراد – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – ٢٠٠٨م .
٤٣. ديوان أبي تمام – محمد محي الدين – مطبعة صبيح – طبعة محمد جمال.

٤٤. ديوان أبي نواس – دار صادر – بيروت – لبنان – ٢٠٠٨م .
٤٥. ديوان أبي نواس – المطبعة العمومية – ١٨٩٨م.
٤٦. ديوان أبي نواس – تحقيق أبي أحمد عبد المجيد الغزالي – ط القاهرة – ١٩٥٣م.
٤٧. ديوان الأخطل– تقديم وشرح كارين صادر – دار صادر – بيروت – لبنان– الطبعة الأولى – ١٩٩٩م .
٤٨. ديوان البحتري – شرح يوسف الشيخ محمد – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ٢٠٠٠م .
٤٩. ديوان البحتري – منشورات صادر – بيروت .
٥٠. ديوان بشار بن برد – تحقيق محمد الطاهر عاشور – لجنة التأليف والترجمة والنشر – ١٩٥٠م.
٥١. ديوان بشار بن برد – تقديم إحسان عباس – دار صادر – بيروت – لبنان– الطبعة الأولى – ٢٠٠٠م .
٥٢. ذيل الامالي والنوادر – علي إسماعيل بن لقاسم الغالي – المجلد الثاني – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ٢٠٠٢م .
٥٣. رسائل البلغاء – ابن قتيبة – نشرها محمد كرد علي – مطبعة البابي الحلبي – سوريا ١٩١٣م .
٥٤. رسائل الجاحظ – تحقيق عبد السلام هارون – مطبعة الخانجي – مصر ١٩٦٥م.
٥٥. شرح ديوان جرير ، قدم له وشرحه تاج الدين شلق – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – ٢٠٠٥م
٥٦. شرح ديوان أبي تمام – الأديب شاهين عطية – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة – ٢٠٠٣م .
٥٧. شرح ديوان المتنبي ج ٤ – عبد الرحمن البرقوقي – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – ١٩٨٠م.

٥٨. الشعر والشعراء ج ٢- ابن قتيبة – تحقيق احمد محمد شاكر – دار الحديث – القاهرة – ٢٠٠٢م .
٥٩. صبح الأعشى في صناعة الإنشا – أحمد بن علي القلقشندي – شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين – دار الفكر – بيروت – لبنان .
٦٠. ضحى الإسلام ج١ – احمد أمين – مكتبة النهضة المصرية – ط٧ – القاهرة .
٦١. ظهر الإسلام ج١ – احمد أمين – دار الكتاب العربي – بيروت – ط٥ ١٩٦٩م.
٦٢. العالم الإسلامي في العصر العباسي – حسن احمد حمود – احمد إبراهيم الشريف – دار الفكر العربي – القاهرة – بدون تاريخ .
٦٣. العقد الفريد – احمد بن محمد بن عبد ربه – تحقيق مفيد محمد قميحة –دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط ٣ – ٢٠٠٦م.
٦٤. العمدة في صناعة الشعر وآدابه ونقده – ابن رشيق القيرواني – طبعة تجارية بمصر – ١٩٦٣م .
٦٥. عيون الأخبار – ابن قتيبة – مطبعة دار الكتب – الجزء الثالث .
٦٦. عيون الأنباء في طبقات الأطباء – ابن أبي اصبعية – صححه محمد باسل عيون السود – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٩٩٨م .
٦٧. الفرق بين الفرق – عبد القاهر بن طاهر البغدادي – تحقيق إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة – بيروت – لبنان – دار الجيل – ١٩٨٧م.
٦٨. الفلسفة اليونانية في طريقها إلى العرب – عمر فروخ – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى .
٦٩. فنون النثر في العصر العباسي – احمد أمين مصطفى – المكتبة الازهرية للتراث ١٩٩٦م .

٧٠. الفهرست – أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالنديم – شرح وتقديم يوسف علي طويل – وضع فهارسه احمد شمس الدين – دار الكتب العلمية – لبنان – ط٢– ٢٠٠٢م .
٧١. قصة الأدب الفارسي – حامد عبد القادر – نهضة مصر – الفجالة – مصر ١٩٥١م.
٧٢. قصة الأدب في العالم – احمد أمين – لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٢م .
٧٣. الكتاب – سيبوية – تحقيق محمد عبد السلام هارون – بيروت – لبنان – ١٩٩٠م .
٧٤. كليلة ودمنة – بيدبا الفيلسوف الهندي – ترجمة عبد الله بن المقفع – دار مصر للطباعة – بدون تاريخ .
٧٥. لسان العرب – ابن منظور الأنصاري – المجلد الأول – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.
٧٦. المؤثرات الثقافية الشرقية على الحضارة الغربية من خلال الحروب الصليبية – ميخائل جميعان – المطبعة الاقتصادية – عمان – الأردن – ١٩٨٣م.
٧٧. مختارات البارودي – ج٤– تحقيق ياقوت المرسي – القاهرة ١٣٢٩هـ.
٧٨. مروج الذهب ومعادن الجوهر – أبو الحسن علي بن الحسين علي المسعودي – شرح وتقديم مفيد محمد قميحة – ج٤ – دار الكتب العلمية– بيروت – لبنان ط٢٠٠٤ .
٧٩. المزهر في علوم اللغة وانواعها – عبد الرحمن جلال الدين السيوطي – دار الفكر .
٨٠. معجز الألفاظ والتراكيب في شفاء الغليل في كلام العرب من دخيل – شهاب الدين الخفاجي – تحقيق قصي الحسيني – لبنان ١٩٨٧م.
٨١. معجم الأدباء ج١ – ياقوت الحموي – طبعة الدكتور فريد الرفاعي .
٨٢. المعجم المفصل في المعرب والدخيل – سعد ضناوي – دار الكتب العلمية – بيروت – طبعة أولى ٢٠٠٤م.

٨٣. المعجم الوسيط – مجمع اللغة بالقاهرة – الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث – دار المعارف – الطبعة الثانية ١٩٨٠م.
٨٤. المعجم في اللغة الفارسية – محمد موسى هنداوي – مكتبة مصر – القاهرة ١٩٩٢م.
٨٥. المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم – أبو منصور الجواليقي – دار القلم دمشق – ١٩٩٠م .
٨٦. مفاتيح العلوم – أبو عبد الله الخوارزمي – تحقيق نهى النجار – دار الفكر اللبناني ١٩٩٣م.
٨٧. من اجتماعيات اللغة – نير مرسي سرحان – مكتبة الأنجلو مصرية – الطبعة الثانية ١٩٧٨م.
٨٨. المناهج – محمد احمد سليم وآخرون – القاهرة ١٩٨٣م.
٨٩. الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب – تصدير وإشراف محمد كامل حسين – القاهرة .
٩٠. نهاية الارب في فنون الأدب – النويري – دار الكتب المصرية ١٩٣٥م.
٩١. الوزراء والكتاب – محمد بن عبدوس الجهشاري – تحقيق السقا والابياري شلبي – مطبعة الحلبي ١٩٣٨م.
٩٢. وفيات الأعيان ج١ – ابن خلكان – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – مطبعة بولاق – مصر ١٩٤٨م.

البحوث العلمية والمجلات :

٩٣. اثر الثقافات الأجنبية في العصر العباسي الأول – وتحليل بعض النماذج المضمنة – اعداد اعتدال عوض أبو علامة – بحث غير منشور لنيل درجة الماجستير – جامعة أفريقيا العالمية – السودان ٢٠٠١م.
٩٤. اثر اللغة العربية على اللغة الفارسية – اسحق حسن رحماني – بحث غير منشور لنيل درجة الماجستير – معهد الخرطوم الدولي للغة العربية – السودان ١٩٩٨م .

٩٥. تراث فارس (فارس والعرب)- مجموعة أبحاث لجماعة من المستشرقين – ترجمة لبعض علماء مصر – طبعة عيسى البابي الحلبي – ١٩٥٩م.
٩٦. مجلة آفاق الحضارة الإسلامية – معهد العلوم الثقافية – نصف سنوية – العدد الثالث عشر – مارس ٢٠٠٤م – طهران – إيران .

المراجع الأجنبية :

٩٧. فرهنك ادبيات فارسي دري – زهراي خانلري – طهران – ايران .
٩٨. Jackson – Early persion poetry -1920.
٩٩. Huart Histoire des Arabes .paris -1913
١٠٠. Alexander Short Hist .of phiglsoply

شبكة المعلومات الدولية :

١٠١. www.annabaa org .
١٠٢. www.islamport com.
١٠٣. www.castledu in .
١٠٤. www. Alrashead . net
١٠٥. www. Islam on line . net

فهرس الموضوعات

المحتوى	الصفحة
استهلال الآية	أ
الإهداء	ب
الشكر والعرفان	ج
المقدمة	١- ٤
الفصل الأول **الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في العصر العباسي**	٥
المبحث الأول: الحياة السياسية .	٦-١١
المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية .	١٢-٢٠
المبحث الثالث: الحياة الثقافية .	٢١- ٢٩
الفصل الثاني **التيارات الثقافية الأجنبية**	٣٠
تمهيد	٣١
المبحث الأول: التيار الفارسي .	٣٢- ٤٢
المبحث الثاني: التيار اليوناني .	٤٣- ٤٧
المبحث الثالث: الهند والأمم الأخرى .	٤٨-٦٠

الفصل الثالث **أثر الثقافات الأجنبية في الأدب العباسي الأول (الشعر والنثر)**	٦١
المبحث الأول: الشعر في العصر العباسي الأول.	٦٢-٩٦
المبحث الثاني: النثر في العصر العباسي الأول .	٩٧-١١٨
الفصل الرابع **أثر الثقافات الأجنبية في العصر العباسي الثاني (الشعر والنثر)**	١١٩
المبحث الأول: الشعر في العصر العباسي الثاني.	١٢٠-١٥٦
المبحث الثاني: الألفاظ والمفردات الأجنبية في الأدب العباسي .	١٥٧- ١٧١
المبحث الثالث: أثر الثقافات الأجنبية في النثر العباسي الثاني .	١٧٢-١٧٧
الخاتمة – النتائج – التوصيات	١٧٨- ١٨٠
الفهارس العامة	
فهرس الآيات القرآنية	١٨١
فهرس الأحاديث النبوية	١٨٢
فهرس الأشعار	١٨٣-١٩١
فهرس الأعلام	١٩٢-٢٠٨
فهرس المصادر والمراجع	٢٠٩-٢١٦
فهرس المحتوى	٢١٧-٢١٨